

للإمام الحافظ

محمد شمس الدين الذهبي

الكبائر

خَرَجَ أَجَادِيثُهُ

جَاهِي بَنِ إِسْمَاعِيلَ الرَّشِيدِي

دار الحقيقة

الكنائس

لِلْإِمَامِ الْجَافِظِ مُحَمَّدِ شَمْسِ الدِّينِ الذَّهَبِيِّ

مُصْطَفَى نَصْرَةِ دَرْجِ أَعْلَى

حَبِيبِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الرَّشِيدِ

مُتَرْجِمُهُ لِلْمُؤَلَّفِ

الْشَيْخِ أَحْمَدَ فَرِيدَ

الإسكندرية: ١٠١ من الفصح - باكوس ت: ٧٣٢١١
القاهرة: ٥٥ من الأندلس - مكتب المطابع والنشر

دار الحقيقة

سلسلة التراث المحقق بدار الحقيقة

الكبائر

للإمام الحبيب الأفطح الذهبي

حقوق الطبع محفوظة للناسخ
الطبعة الثانية

٢٠٠١ م - ١٤٢٢ هـ

تنفرد بها دار العقيدة

رقم الايداع: ٩٩/١٥٥٢.

الترقيم الدولي: 977-5458-86-2

الإبكرية: ١٠١ من الفتح: ١٢٣٦: ٥٧٤
القاهرة: ٥ من الأثر: ١٢٣٦. خلف الجامع الأزهر

دار الحقيقة

مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي - رحمه الله

١- اسمه ومولده

اسمه: - محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن الشيخ عبد الله التركماني الفارقي، ثم الدمشقي الشافعي، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي.

وقال الدكتور بشار عواد معروف: وعرف محمد بابن الذهبي نسبة إلى صناعة أبيه، وكان هو يقيد اسمه «ابن الذهبي» ويبدو أنه اتخذ صناعة أبيه مهنة له في أول أمره؛ لذا عرف عند بعض معاصريه بـ«الذهبي»؛ مثل صلاح الصفدي، وتاج الدين السبكي، والحسيني، وعماد الدين بن كثير وغيرهم^(١).

مولده: ولد ثالث شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٣هـ في قرية كفر بطنا^(٢).

٢- ثناء العلماء عليه

قال رفيقه وشيخه علم الدين البرزالي: رجل فاضل، صحيح الذهن، اشتغل ورحل وكتب الكثير، وله تصانيف واختصارات، وله معرفة بشيوخ القراءات^(٣).

وقال تلميذه صلاح الدين الصفدي: الشيخ الإمام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي حافظ لا يجارى، ولا فظ، لا يبارى، أتقن الحديث ورجاله، ونظر عله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأزال الإبهام في تواريخهم والإلباس، ذهن يتوقد ذكاؤه، ويصح إلى الذهب نسبته وانتماؤه، جمع الكثير، ونفع الجمل الغفير، وأكثر من التصنيف، ووفر بالاختصار مؤونة التطويل في التأليف، اجتمعت به وأخذت عنه وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه، ولم أجده عنده جمود المحدثين، ولا كودنة النقلة^(٤).

(١) مقدمة سير أعلام النبلاء (١/١٦).

(٢) قرية من قرى غوطة دمشق الشرقية، وهي عامرة إلى الآن، وتبعد عن دمشق بضعة كيلو مترات.

(٣) رونق الألفاظ لسبط ابن حجر ورقة (١٨٠) نقلاً عن مقدمة الدكتور بشار عواد معزوف لسير أعلام النبلاء (١/٦٩).

(٤) الوافي (٢/١٦٣) نقلاً عن مقدمة السير (١/٧٠).

وقال التاج السبكي : شيخنا وأستاذنا الإمام الحافظ محدث العصر، اشتمل عصرنا على أربعة من الحفاظ بينهم عموم وخصوص: المزي، والبرزالي، والذهبي، والشيخ الإمام الوالد، لا خامس لهؤلاء في عصرهم، وأما أستاذنا أبو عبد الله، فبصر لا نظير له، وكثر هو الملجأ إذا نزلت المعضلة، إمام الوجود حفظاً، وذهب العصر معنى ولفظاً، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل، وهو الذي خرجنا في هذه الصناعة، وأدخلنا في عداد الجماعة^(١).

وقال العماد بن كثير -رحمه الله-: الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الإسلام شيخ المحدثين، وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه^(٢).

ووصفه تلميذه الحسيني بأنه: الشيخ الإمام العلامة شيخ المحدثين، قدوة الحفاظ والقراء، محدث الشام ومؤرخه، ومفيدة^(٣).

وقال في موضع آخر: وكان أحد الأذكياء المعدودين والحفاظ المبرزين^(٤).

وقال الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي: الشيخ الإمام الحافظ الهمام، مفيد الشام، ومؤرخ الإسلام، ناقد المحدثين، وإمام المعدلين والمجرحين، وكان آية في نقد الرجال، عمدة في الجرح والتعديل، عالماً بالتفريع والتأصيل، إماماً في القراءات، فقيهاً في النظريات^(٥).

وقال الحافظ بن حجر العسقلاني: مهر في فن الحديث، وجمع فيه المجاميع المفيدة الكثيرة، حتى كان أكثر أهل عصره تصنيفاً، ورغب الناس في تواليفه، ورحلوا إليه بسببها^(٦).

وقال المحدث المؤرخ سبط بن حجر: خرج، وصحح وعدل ورجح، وأتقن هذه الصناعة، وفاق فيها فنعمت البضاعة، فهو الإمام سيد الحفاظ، فارس المعاني والألفاظ، إمام المحدثين، قدوة الناقلين^(٧).

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ١٠٠-١٠١).

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ٢٢٥).

(٣) ذيل تذكرة الحفاظ (٣٤).

(٤) ذيل تذكرة الحفاظ (٣٦).

(٥) نقلاً عن الحافظ الذهبي مؤرخ الإسلام لعبد الستار الشيخ (٥، ٦).

(٦)، (٧) نقلاً عن الحافظ الذهبي مؤرخ الإسلام لعبد الستار الشيخ (٦).

وقال الحافظ السيوطي: والذي أقوله: إن المحدثين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المزي، والذهبي، والعراقي، وابن حجر^(١). وقال تلميذه تقي الدين بن رافع السلامي المتوفى ٧٧٤هـ، وكان خيراً صالحاً متواضعاً، حسن الخلق، حلو المحاضرة، غالب أوقاته في الجمع والاختصار والاشتغال بالعبادة له ورد بالليل، وعنده مروءة وعصبية وكرم^(٢). وقال الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ: مع ما كان عليه من الزهد التام، والإيثار العام، والسبق إلى الخيرات، والرغبة بما هو آت^(٣).

٣- طلبه للعلم واجتهاده - رحمه الله

بدأ الذهبي في طلب العلم حين بلغ الثامنة عشرة من عمره، وتوجهت عنايته إلى علم القراءات والحديث الشريف. قال الدكتور بشار عواد ما ملخصه: اهتم الذهبي بدراسة القرآن الكريم، والعناية بدراسة علم القراءات، فتوجه سنة ٦٩١هـ هو ورفقة له إلى شيخ القراء جمال الدين أبي إسحاق إبراهيم بن داود العسقلاني ثم الدمشقي، المعروف بالفاضلي. وما لبث الذهبي أن أصبح على معرفة جيدة بالقراءات وأصولها ومسائلها، وهو لما يزل فتى لم يتعد العشرين من عمره. وفي الوقت نفسه، كان الذهبي وهو في الثامنة عشرة من عمره قد مال إلى سماع الحديث، واعتنى به عناية فائقة، وانطلق في هذا العلم حتي طغى علي كل تفكيره، واستغرق كل حياته بعد ذلك، فسمع ما لا يحصى كثرة من الكتب، والأجزاء، ولقي كثيراً من الشيوخ والشيخات، وأصيب بالشره في سماع الحديث وقراءته، ورافقه ذلك طيلة حياته؛ حتى كان يسمع من أناس لا يرضى عنهم قال في ترجمة علاء الدين أبي الحسن علي بن مظفر الإسكندراني ثم الدمشقي، شيخ دار الحديث النفيسية المتوفى سنة ٧١٦هـ: «ولم يكن عليه ضوء في دينه، حملني

(١) نقلاً عن الحافظ الذهبي مؤرخ الإسلام لعبد الستار الشيخ (٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/٦٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٦٨).

الشره على السماع من مثله، والله يسامحه، كان يخل بالصلوات، ويرمى بعظام الأمور» وقال في ترجمة شيخه شهاب الدين غازي بن عبد الرحمن الدمشقي المتوفي سنة ٧٠٩هـ: «وكان ذا سيرة غير محمودة، فإله يعفو عنه، كتب عنه خلق من أبناء البلد.

بل إنه ليذهب به حبه للحديث إلى القراءة على الصم، فقد ذكر في ترجمة شيخه محمود بن محمد الخرائطي الصالح المتوفي ٧١٦هـ «قرأت عليه بأقوى صوتي في أذنه»^(١).

٤- رحلاته - رحمه الله

قال الأستاذ عبد الستار الشيخ ماملخصه: لقد حرص الذهبي على الرحلة إلى البلاد العامرة بالعلماء، لكن والده لم يشجعه عليها وربما منعه في بعض الأحيان، ولعل ذلك يعود إلى أن الذهبي وحيد أبويه، ففطن الأب بابنه؛ حبا له، ومخافة عليه، وقد تحسر الإمام على تأخره في الرحلة، بيد أنه أطاع أباه والتزم بما اشترطه عليه وأوصاه به.

قال الذهبي في ترجمة عبد الرحمن بن عبد اللطيف البغدادي المقرئ (ت ٦٩٧هـ): وانتهت إليه علو الإسناد، وقد هممت بالرحلة إليه ثم تركته لمكان الوالد، وقال في موضع آخر، وانفرد عن أقرانه: وكنت أتحسر على الرحلة إليه، وما أتجسر خوفا من الوالد؛ فإنه كان يمنعني.

وفي ترجمة عبد الله بن منصور شيخ القراء بالأسكندرية (ت ٦٩٢هـ) يقول: ولما مات شيخنا الفاضلي قبل إكمالي القراءات بقيت أتلهف، فذكر لي هذا الشيخ، وإنه باق بالأسكندرية، وأنه أعلى رواية من الفاضلي، فازددت تلهفا وتحسرا على لقيه، ولم يكن الوالد يمكنني من السفر.

ثم سمح له أبوه بالسفر والرحلة عندما اشتد عوده، وبلغ نحو من عشرين سنة، واشترط عليه ألا يغيب أكثر من أربعة أشهر.

قال في ترجمة يحيى بن أحمد الجذامي الأسكندراني (ت ٧٠٥هـ): وقد وجد

(١) باختصار من مقدمة السير (١/ ٢٠-٢٣).

ترجمة الإمام الذهبي

الذهبي صعوبة في القراءة عليه لصممه، فخاف أن يضيع وقت الرحلة القصير دون فائدة «وكنت وعدت أبي وحلفت له أنني لا أقيم في الرحلة أكثر من أربعة أشهر، فخفت أعقه».

رحل الإمام الذهبي إلى الأشياخ المشهورين في دمشق وقراها، ثم طوف كثيرا في مدن وبلدان سورية، ولبنان والأردن، وفلسطين. ورحل إلى مصر في السادس عشر من رجب سنة ٦٩٥هـ. ورحل إلى الديار المقدسة للحج والسمع سنة ٦٩٨هـ.

٥- شيوخه وأقرانه

شيوخه: ذكرت أغلب مصادر ترجمته أن عدد شيوخه بالسمع، والإجازة، نحو ألف وثلاثمائة شيخ؛ فمن أعيان شيوخه: أحمد بن إسحاق الأبرقوهي، وابن الظاهري، وابن فرح الإشبيلي، وأبو العباس الحجار، وأبو الفضل بن عساكر، وإبراهيم بن داود ابن ظافر الفاضلي، وبرهان الدين الفزاري، والحافظ الدمياطي، وعبد الرحمن بن عبد الحلیم سحنون، وسنقر القضائي الزيني، وعبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي ثم المصري، وعثمان بن محمد بن عثمان التورزي، وعثمان بن يوسف النويري، وأبو الحسين اليونيني، وأبو حفص بن القواس، ومحمد بن أحمد بن تمام ابن حسان، ومحمد بن أبي الفاتح البعلبكي، ومحمود بن أبي بكر الأرموي القرافي، وأبو بكر محمد بن القاسم المرسى، وخديجة بنت يوسف بن غنيمة، وزينب بنت أحمد بن عمر، وفاطمة بنت إبراهيم.

أقرانه: أبو الحجاج المزي، (٦٥٤-٧٤٢هـ)، وشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ) علم الدين البرزالي (٦٦٥-٧٣٩هـ)، أحمد بن يعقوب بن الصابوني (٦٧٥، ٦٧٦-٧٣١هـ)، عبد الرحمن بن مسعود بن أحمد الحارثي (٦٧١-٧٣٢هـ)، تقي الدين السبكي (٦٨٣-٧٥٦هـ)، ابن سيد الناس، (٦٧١-٧٣٤هـ)، ابن قيم الجوزية، (٦٩١-٧٥١هـ).

٦- مصنفاته

وهي كثيرة متنوعة في القراءات، والحديث والعقائد، وأصول الفقه، والرقاق والتاريخ، والتراجم والسير، ونحن نشير إلى أشهرها؛ فراراً من التطويل فمن ذلك المستدرك على مستدرك الحاكم، الموقظة في علم مصطلح الحديث، العلو؛ للعلي الغفار، الكبائر، تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام، تذكرة الحافظ، سير أعلام النبلاء، العبر في خبر من غبر، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، السير النبوية؛ وهي في تاريخ الإسلام، قض نهارك بأخبار ابن المبارك، بيان رغل العلم، والطلب، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، ومن شاء مطالعة مصنفاته، فليراجع مقدمة الدكتور بشار عواد معروف لسير أعلام النبلاء؛ حيث ذكر ٢١٥ مصنفاً ما بين مطبوع، ومخطوط، ومفقود.

٧- وفاته-رحمه الله

أجمعت مصادر ترجمته على أنه مات في ليلة الاثنين، ثالث ذي القعدة، سنة (٧٤٨هـ) بدمشق، ودفن بمقبرة الباب الصغير، وحضر الصلاة عليه جملة من العلماء؛ منهم تلميذه السبكي، وقد نقل لنا تاج الدين السبكي صورة مؤثرة عن آخر ساعات شيخه الذهبي، فقال: توفي -رحمه الله تعالى- ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة بالمدرسة المنسوبة لأم الصالح في قاعة سكنه، ورآه الوالد قبل المغرب؛ وهو في السياق، ثم سأله: «أدخل وقت المغرب؟ فقال له الوالد: ألم تصل العصر؟ فقال: نعم، ولكن لم أصل المغرب إلى الآن، وسأل الوالد -رحمه الله- عن الجمع بين المغرب والعشاء تقديماً، فأفتاه بذلك، ففعله، ومات بعد العشاء قبل نصف الليل، ودفن بباب الصغير، حضرت الصلاة عليه، ودفنه، وكان قد أضر قبل موته بمدة يسيرة».

وذكر ابن كثير أنه توفي بتربة أم الصالح، وصلى عليه يوم الاثنين صلاة الظهر في جامع دمشق، ودفن بباب الصغير.

(باختصار من كتاب «من أعلام السلف»)

للشيخ أحمد فريد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد . . . فهذا كتاب مشتمل على ذكر جُمْل في الكبائر والمحرمات والمنهيات .

الكبائر

ما نهى عنه الله ورسوله في الكتاب والسنة والأثر عن السلف الصالحين ، وقد تضمن الله تعالى في كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر والمحرمات أن يكفر عنه الصغائر من السيئات لقوله تعالى :

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾^(١) فقد تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة .

وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾^(٢) . وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾^(٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر »^(٤) ، فتعين علينا الفحص عن

(١) النساء آية ٣١ .

(٢) الشوري آية ٣٧ .

(٣) النجم آية ٣٢ .

(٤) صحيح : رواه أحمد (٣٥٩/٢ و ٤٠٠) ومسلم (٢٣٣) والترمذي (٢١٤) وابن ماجه (١٠٨٦) وابن خزيمة (٣١٤) وابن حبان (١٧٣٣) عن أبي هريرة .

الكبائر، ما هي، لكي يتجنبها المسلمون، فوجدنا العلماء رحمهم الله تعالى قد اختلفوا فيها، فقل هي سبع. واحتجوا بقول النبي ﷺ: «أجتنبوا السبع الموبقات» فذكر منها: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات. متفق عليه^(١). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع^(٢)، وصدق والله ابن عباس^(٣)، وأما الحديث فما فيه حصر الكبائر، والذي يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئاً من هذه العظائم مما فيه حد في الدنيا كالقتل والزنا والسرقة، وجاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد، أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد ﷺ فإنه كبيرة. ولا بد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض. ألا ترى أنه ﷺ عد الشرك بالله من الكبائر، مع أن مرتكبه مخلد في النار ولا يغفر له أبداً.

قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»^(٤).



(١) صحيح: رواه البخاري (٢٧٦٦ و ٥٧٦٤) ومسلم (٨٩) وأبو عوانة (٥٤/١) والنسائي (٢٥٧/٦) عن أبي هريرة.

(٢) صحيح الإسناد: رواه عبد الرزاق (١٩٧٠/٢) وابن جرير (٩٢٠/٩) والبيهقي في الشعب (٢٩٠) ورجاله ثقات.

(٣) قال ذلك الذهبي وهو من أعيان المائة السابعة، ماذا لو كان الذهبي معنا الآن وبعد مرور مثلهن من الأعوام؟

(٤) سورة النساء آية (٤٨)

□ الكبيرة الأولى □

الشرك بالله

فأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى وهو نوعان: أحدهما - أن يجعل لله نداً ويعبد غيره من حجر أو شجر أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك، وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله عز وجل قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾^(٣)

والآيات في ذلك كثيرة .

فمن أشرك بالله ثم مات مشركاً فهو من أصحاب النار قطعاً ، كما أن من آمن بالله ومات مؤمناً فهو من أصحاب الجنة وإن عذب بالنار . وفي «الصحیح» أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أتبئكم بأكبر الكبائر - ثلاثاً - قالوا : بلى يا رسول الله قال : الإشراف بالله وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت^(٤) . وقال ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات »^(٥) فذكر منها الشرك بالله ، وقال ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه »^(٦) .

والنوع الثاني من الشرك : الرياء بالأعمال كما قال الله تعالى :

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٧) .

(١) النساء آية ٤٨ .

(٢) لقمان آية ١٣ .

(٣) المائدة آية ٧٢ .

(٤) صحيح : رواه البخاري (٢٦٥٤ و ٥٩٧٦ و ٦٢٧٣) ومسلم (٨٧) .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) صحيح : رواه أحمد (٢٨٢/١) والبخاري (٣٠١٧ و ٦٩٢٢) عن ابن عباس .

(٧) سورة الكهف آية ١١٠ .

أى لا يرائى بعمله أحد . وقال عليه السلام : « إياكم والشرك الأصغر ، قالوا : يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال : الرياء . يقول الله تعالى يوم يجازي العباد بأعمالهم أذهبوا إلي الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم في الدنيا فأنظروا هل تجدون عندهم جزاء»^(١) . وقال عليه السلام : « يقول الله : من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري فهو للذي أشرك وأنا منه برئ»^(٢) ، وقال : « من سمع سمع الله به ومن رأى رأى الله به»^(٣) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»^(٤) . يعنى أنه إذا لم يكن الصلاة والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له ، كما روى عنه عليه السلام أنه قال : « مثل الذي يعمل للرياء والسمعة كمثل الذى يملأ كيسه حصى ثم يدخل السوق ليشتري به ، فإذا فتحه قدام البائع فإذا هو حصي وضرب به وجهه ، ولا منفعة له في كيسه سوى مقالة الناس له ما أملاً كيسه ولا يعطي به شيئاً فكذلك الذي يعمل للرياء والسمعة فليس له من عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة»^(٥) قال الله تعالى : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾^(٦) يعنى الأعمال التى عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور وهو الغبار الذى يرى فى شعاع الشمس .

(١) صحيح :- رواه أحمد (٤٢٨/٥ و ٤٢٩) والبغوي (٤١٣٥) عن محمود بن لبيد ورواه محمود ابن لبيد عن رافع بن خديج نحوه رواه الطبراني في الكبير (٤٣٠١) . قال المنذري وإسناده جيد أي إسناده أحمد ، وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" (٩٥١) .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٣٠١/٥) ومسلم (٢٩٨٥) وابن ماجه (٤٢٠٢) عن أبي هريرة .
(٣) صحيح : رواه أحمد (٣١٣/٤) والبخاري (٦٤٩٩ و ٧١٥٢) ومسلم (٢٩٨٧) وابن ماجه (٤٢٠٧) وابن حبان (٤٠٦) عن جندب ، ورواه مسلم (٢٩٨٦) عن ابن عباس .
قوله «من سمع» يعنى : من عمل عمل علي غير إخلاص ، يقصد أن يراه الناس ويسمعوه . وقوله «يرائي الله به» أي يطلعهم على أنه فعل ذلك لهم لا لوجهه .

(٤) صحيح : رواه أحمد (٣٧٣/٢) وابن خزيمة (١٩٩٧) والقضاعي (١٤٢٦) وابن حبان (٣٤٨١) وابن ماجه (١٦٩٠) عن أبي هريرة وابن عمر وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٩٠) .

(٥) ضعيف : ذكره المؤلف علي أنه حديث وصدره بكلمة «روي» وهي من صيف التمريض والتي تدل على ضعف الحديث ، غير أنه ليس حديثاً وإنما هو من كلام بعض الحكماء كما قال ابن حجر الهيتمي في رواجه (٦٩/١) .

(٦) سورة الفرقان (٢٣) .

== للحافظ الذهبي ==

١٣

وروى عدى بن حاتم الطائي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « يؤمر بفئام - أي جماعات - من الناس يوم القيامة إلى الجنة حتي إذا دنوا منها وإستشقوا رائحتها ، ونظروا إلي قصورها وإلي ما أعد الله لأهلها فيها ، نودوا أن أصرفوهم عنها فإنهم لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها ، فيقولون : ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثواب ما أعددت لأولائك كان أهون علينا . فيقول الله تعالى : ذلك ما أردت بكم كتم إذا خلوتهم بارزتموني بالعظام ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بأعمالكم خلاف ما تعطوني من قلوبكم . هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني ، وتركتم للناس ولم تتركوا لي - يعني لأجل الناس - فاليوم أذيقكم أليم عقابي مع ما حرمتكم من جزيل ثوابي »^(١).

وسأل رجل رسول الله ﷺ : ما النجاة ؟ فقال ﷺ : « أن لا تخادع الله » . قال : وكيف يخادع الله ؟ قال ﷺ : « أن تعمل عملا أمرك الله ورسوله به وتريد به غير وجه الله . وأتق الرياء فإنه الشرك الأصغر ، وإن المرائي ينادي عليه يوم القيامة علي رؤوس الخلائق بأربعة أسماء : يا مرائي ، يا غادر ، يا فاجر ، يا خاسر ضل عملك وبطل أجرك ، فلا أجر لك عندنا ، اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع »^(٢) .

وسئل بعض الحكماء رحمهم الله : من المخلص ؟ فقال : المخلص الذي يكتم حسناته كما يكتم سيئاته . وقيل لبعضهم : ما غاية الإخلاص ؟ قال : أن لا تحب محمداً الناس . وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما . اللهم عافنا وأعف عنا .



(١) ضعيف : رواه الطبراني في « الأوسط » (٥٤٧٨) والكبير (١٧/٨٥-٨٦) وأبو نعيم في « الحلية » (١٢٥/٤) وقال في « المجمع » (١٠/٢٢٠) وفيه أبو جنادة وهو ضعيف ورواه ابن حبان (٣/١٥٥-١٥٦) مجروحين ، وقال أبو جنادة شيخ يروي عن الأعمش مالميس من حديثه لا يجوز الرواية عنه ولا الاحتجاج به إلا علي سبيل الاعتبار ، وقال الدارقطني : يضع الحديث . فالحديث أقل أحواله الضعف الشديد ، والله أعلم .

(٢) قال الحافظ العراقي في تخريجه علي الإحياء (٣/٢٧٥) : رواه ابن أبي الدنيا من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يسم وإسناده ضعيف

□ الكبيرة الثانية □

قتل النفس

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (١). وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (٤).

وقال النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» (٥)، فذكر قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق. وقال رجل للنبي ﷺ: أى الذنب أعظم عند الله تعالى؟ قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك» قال: ثم أى؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». قال: ثم أى؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك» فأنزل الله تعالى تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ (٦). وقال ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «لأنه كان حريصا على قتل صاحبه» (٧).

(١) سورة النساء آية ٩٣.

(٢) سورة الفرقان آية ٦٨ : ٧٠.

(٣) سورة المائدة آية ٣٢.

(٤) سورة التكوين آية ٩.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سورة الفرقان آية ٦٨.

(٧) صحيح : رواه أحمد (٤٣/٥) والبخاري (٦٨٧٥٣١) ومسلم (٢٨٨٨) وأبو داود (٤٢٦٩) والنسائي (١٢٥/٧) وابن ماجه (٣٩٦٥) عن أبي بكر.

== للحافظ الذهبي == ١٥ ==

قال الإمام أبو سليمان رحمه الله : هذا إنما يكون كذلك إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل ، إنما يقتتلان على عدواة بينهما ، وعصية ، أو طلب الدنيا ، أو رئاسة ، أو علو ، فأما من قاتل أهل البغي على الصفة التي يجب قتالهم بها ، أو دفع عن نفسه أو حريمه فإنه لا يدخل في هذه ، لأنه مأمور بالقتال للذب عن نفسه غير قاصد به قتل صاحبه إلا إن كان حريصا على قتل صاحبه . ومن قتل باغيا أو قاطع طريق من المسلمين فإنه لا يحرص على قتله ، إنما يدفعه عن نفسه ، فإن انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه . فإن الحديث لم يرد في أهل الصفة . فأما من خالف هذا النعت فهو الذي داخل في هذا الحديث الذي ذكرناه ، والله أعلم .

وقال رسول الله ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض »^(١) .
 وقال رسول الله ﷺ : « لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما »^(٢) وقال ﷺ : « أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء »^(٣) وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا »^(٤) وقال ﷺ : « الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس واليمين الغموس »^(٥) وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها في النار ، وقال ﷺ : « لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل » ، مخرج في الصحيحين^(٦) ، وقال ﷺ : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وإن رائحته لتوجد من مسيرة أربعين عاما » أخرجه البخاري^(٧) .

(١) صحيح : رواه أحمد (٨٥/٢) والبخاري (٦١٦٦، ٦٨٦٨، ٧٠٧٧) ومسلم (٦٦) وأبو داود (٤٦٨٦) والنسائي (١٢٦/٧) وابن ماجه (٣٩٤٣) عن ابن عمر ، ورواه البخاري (١٢١) ومسلم (٦٥) عن جرير .

(٢) صحيح : رواه أحمد والبخاري (٦٨٦٢، ٦٨٦٣) عن ابن عمر .

(٣) صحيح : رواه أحمد (٤٤٢/١) والبخاري (٦٨٦٤، ٦٥٣٣) ومسلم (١٦٧٨) والترمذي (١٣٩٧) وابن ماجه (٢٦١٥) عن ابن عمر .

(٤) صحيح : رواه الترمذي (١٣٩٥) والنسائي (٨٢/٧) عن ابن عمرو ، ورواه النسائي (٨٣/٧) عن بريدة وصححه الشيخ الألباني في «غاية المرام» (٤٣٩) .

(٥) صحيح : رواه البخاري (٦٨٧٠) والترمذي (٣٠٢٤) والنسائي (٨٩/٧) عن ابن عمرو .

(٦) صحيح : رواه البخاري (٣٣٣٥) ومسلم (١٦٧٧) عن ابن مسعود .

(٧) رواه أحمد (١٨٦/٢) والبخاري (٣١٦٦) والنسائي (٢٤٢/٢) وابن ماجه (٢٦٨٦) عن ابن عمرو .

فإذا كان هذا في قتل المعاهد-وهو الذي أعطى عهدا من اليهود والنصارى في دار الإسلام- فكيف بقتل المسلم؟.

وقال ﷺ : «ألا ومن قتل نفسا معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله ولا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفا»، صححه الترمذي^(١)، وقال ﷺ : «من أعان علي قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمه الله تعالى» رواه الإمام أحمد^(٢). وعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا»^(٣).

نسأل الله العافيه



(١) صحيح : -رواه الترمذي (١٤٠٣) وابن ماجه (٢٦٨٧) والحاكم (١٢٧/٢) عن أبي هريرة ، وفيه ضعف، وله شاهد عند النسائي (٢٤٢/٢) وأحمد (٢٣٧/٤) عن صحابي لم يسم وإسناده صحيح كما قال الشيخ الألباني وبه صححه في غاية المرام (٤٥٠).
(٢) ضعيف :- رواه ابن ماجه (٢٦٢٠) والعقيلي (٤٥٧) والبيهقي (٢٢/٨) وضعفه الشيخ الألباني في «الضعيفه» (٥٠٣).

(٣) صحيح : رواه أبو داود (٤٢٧٠) وابن حبان (٥٩٨٠) والحاكم (٣٥١/٤) عن أبي الدرداء ، وله شاهد من حديث معاوية رواه الحاكم وبه صحح الشيخ الألباني الحديث في غاية المرام (٤٤١).

□ الكبيرة الثالثة □

في السحر

لأن الساحر لابد وأن يكفر . قال الله تعالى :

﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾^(١)

وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به . قال تعالى
مخبرا عن هاروت وماروت :

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا
يَفْرُقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا
يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا
شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) أى من نصيب .

ففرى خلقا كثيرا من الضلال يدخلون في السحر ويظنونهم حراما فقط ، وما
يشعرون أنه الكفر فيدخلون في تعليم السيمياء وعملها ، وهى محض السحر ، وفى
عقد الرجل عن زوجته وهو سحر ، وفى محبة الرجل للمرأة وبغضها له ، وأشباه
ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال .

وحد الساحر : القتل ، لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر . قال النبى ﷺ :
«أجتنبوا السبع الموبقات» فذكر منها السحر^(٣) . والموبقات المهلكات ، فليتنق العبد
ربه ، ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة . وجاء عن النبى ﷺ أنه قال :
«حد الساحر ضربه بالسيف»^(٤) ، والصحيح أنه من قول جندب .

(١) و(٢) سورة البقرة آية ١٠٢ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) ضعيف : أخرجه الترمذي (٤٨٥) والدارقطني (١١٤/٣) والحاكم (٤٦٠/٤) والطبراني (كبير)
(١٦٦٥، ١٦٦٦) وابن عدي (٢٨٥/١) والبيهقي (١٣٦/٨) وضعفه الشيخ الألباني في «الضعيفه»
(١٤٤٦) وقد صحح الشيخ الوقف ، وله كلام جميل هناك فراجع .

وعن بجاله بن عبدة أنه قال : أتانا كتاب عمر رضي الله عنه قبل موته بسنة أن أقتلوا كل ساحر وساحرة^(١).

وعن وهب ابن منبه قال : قرأت في بعض الكتب : يقول الله عز وجل : « لا إله إلا الله أنا ليس مني من سحر ولا من سحر له ، ولا من تكهن ولا من تكهن له ، ولا من تطير ولا من تطير له »^(٢) وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر ، وقاطع رحم ، ومصدق بالسحر ». رواه الإمام أحمد في مسنده^(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا قال : « الرقي والتمايم والتولة شرك »^(٤). التمايم : جمع تيممة ، وهي خرزات وحروز يعلقها الجاهال على أنفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون أنها ترد العين ، وهذا من فعل الجاهلية ، ومن أعتقد في ذلك فقد أشرك. والتولة : بكسر التاء وفتح الواو ، نوع من السحر ، وهي تحبيب المرأة إلى زوجها ، وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجاهال أن ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله تعالى .

قال الخطابي رحمه الله : وأما إذا كانت الرقيه بالقرآن ، أو بأسماء الله تعالى فهي مباحة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرقى الحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطانة وهامة ومن كل عين لامة »^(٥) والله المستعان وعليه التكلان .

-
- (١) رواه البخاري وأبو داود (٣٠٤٣) وأحمد (١٩٠ / ١).
- (٢) رواه عبد الرزاق (٢٠٣٥٠) نحوه من كعب موقوفا ، ورواه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٦٢) والبزار عن ابن عباس . وقال الهيثمي (١١٧/٥) وفيه زمعة بن صالح وهو ضعيف ، ورواه البزار عن عمران وفيه زيادة «من عقد عقدة .» قال الهيثمي (١١٧/٥) ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة وذكر الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٤٣٥) عن عمران بلفظ : «ليس منا من تطير ولا تطير له» أو تكهن أو تكهن له أو تسحر أو تسحر له» راجع الصحيحة (٢١٩٥).
- (٣) رواه أحمد (٣٩٩/٤) وابن حبان (٥٣٤٦) والحاكم (١٤٦/٤) وصححه ووافقه الذهبي ، وليس كما قال ، بل إسناده ضعيف وليس عن علي إنما عن أبي موسى ، وله شاهد من حديث أبي سعيد نحوه رواه أحمد (١٨٠١٤/٣) وفيه ضعف ، ولعله يقوي الحديث الذي قبله والله أعلم .
- (٤) صحيح : رواه أحمد (٣٨١/١) وأبو داود (٣٨٨٣) وابن ماجه (٣٥٣٠) وابن حبان (٦٠٩٠) والحاكم (٣٠٩/٤) والبيهقي (٣٥٠/٩) عن ابن مسعود وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٣٣١) و«صحيح الجامع» (١٦٣٢).
- (٥) صحيح : رواه البخاري (٣٣٧١) وأبو داود (٤٧٣٧) والترمذي (٢٠٦٠) والنسائي في عمل اليوم (١٠٠٧) وابن ماجه (٣٥٢٥) عن ابن عباس .

□ الكبيرة الرابعة □

في ترك الصلاة

قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (١)

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس معنى أضاعوا تركوها بالكلية، ولكن إخراجها عن أوقاتها (٢)، وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين رحمه الله: هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر، ولا يصلى العصر إلى المغرب، ولا يصلى المغرب إلى العشاء، ولا يصلى العشاء إلى الفجر، ولا يصلى الفجر إلى طلوع الشمس. فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بغى، وهو واد فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه.

وقال الله تعالى فى آية أخرى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (٣) أى غافلون عنها، متهاونون بها. وقال سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه: سألت رسول الله صلوات الله عليه عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال: «هو تأخير الوقت» (٤) أى تأخير الصلاة عن وقتها، سماهم مصليين لكنهم لما تهاونوا وأخروها عن وقتها وعلمهم بويل وهو شدة العذاب. وقيل: هو واد فى جهنم لو سیرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله تعالى ويندم على ما فرط.

وقال الله تعالى فى آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٥) قال المفسرون: المراد بذكر الله فى هذه الآية الصلوات الخمس. فمن اشتغل بماله فى بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة فى وقتها كان من الخاسرين.

(١) سورة مريم آية ٥٩-٦٠.

(٢) رواه ابن جرير (٧٥/١٦)، وزاد السيوطي فى الدر (٤٩٨/٤) نسبته إلى عبد بن حميد.

(٣) سورة الماعون آية ٤.

(٤) ضعيف: أخرجه العقيلي (٣٧٧/٣) وابن أبى حاتم فى «العلل» (١٨٧/١) والبيهقى (٢١٤/٢).

من طريق عكرمة بن إبراهيم وهو ضعيف وأتفقوا جميعا على أنه موقوف وهو أصح.

(٥) سورة المنافقون آية ٩.

وهكذا قال النبي ﷺ : « أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن نقصت فقد خاب وخسر »^(١) .

وقال الله تعالى مخبرا عن أصحاب الجحيم : « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ »^(٢) .

وقال النبي ﷺ : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر »^(٣) وقال النبي ﷺ : « بين العبد والكفر ترك الصلاة »^(٤) حديثان صحيحان .

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « من فاتته صلاة العصر حبط عمله »^(٥) وفي السنن أن رسول الله ﷺ قال : « من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله »^(٦) وقال ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » متفق عليه^(٧) .

وقال ﷺ : « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة يوم القيامة وكان يوم القيامة مع فرعون »

(١) صحيح : رواه البيهقي في الشعب (٣٠١٦) عن أبي هريرة وهو ضعيف ورواه الطيالسي والضياء وغيرهم وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٣٥٨) بطرقه وشواهده بلفظ « فإن صلحت صلح له سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله » وانظر صحيح الجامع (٢٥٧٣) .

(٢) سورة المدثر آية ٣٢-٣٨ .

(٣) حسن : رواه أحمد (٣٤٦/٥) والترمذي (٢٦٢١) والنسائي (٢٣١/١) وابن ماجه (١٠٧٩) وابن حبان (١٤٥٢) والحاكم (٧-٦/١) والبيهقي شعب (٢٥٣٨) والسنن (٣٦٦/٣) عن بريدة وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٠٢٢) .

(٤) رواه أحمد (٣٧٠/٣) ومسلم (٨٢) والترمذي (٢٦١٨) وابن حبان (١٤٥١) والبيهقي سنن (٣٦٦/٣) وشعب (٢٥٣٦) عن جابر .

(٥) صحيح : رواه أحمد (٣٤٩/٥) والبخاري (٥٥٣) والنسائي (٢٣٦/١) وابن ماجه (٦٩٤) وابن حبان (١٤٦١) والبيهقي شعب (٢٥٨٨) عن بريدة ورواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة بلفظ « وتر أهله » .

(٦) حسن : رواه أحمد (٢٣٨/٥) والطبراني في الكبير (٢٠/١١٧/٢٣٣، ٢٣٤) وله شواهد حسن بها الحديث الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٥٦٨) .

(٧) أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) عن ابن عمر .

وقارون وهامان وأبي بن خلف^(١).

وقال عمر رضي الله عنه: أما أنه لا حظ لأحد في الإسلام أضع الصلاة^(٢). قال بعض العلماء رحمهم الله: وإنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة، لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته فإن اشتغل بماله حشر مع قارون، وإن اشتغل بملكه حشر مع فرعون، وإن اشتغل بوزارته حشر مع هامان، وإن اشتغل بتجارته حشر مع أبي بن خلف تاجر الكفار بمكة. وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله عز وجل»^(٣).

وروى البيهقي بإسناده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله تعالى في الإسلام؟ قال: «الصلاة لوقتها، ومن ترك الصلاة فلا دين له، والصلاة عماد الدين»^(٤) ولما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل له: الصلاة يا أمير المؤمنين قال: نعم أما إنه لا حظ لأحد في الإسلام أضع الصلاة، وصلى رضي الله عنه وجرحه يثعب^(٥) دما^(٦) وقال عبد الله بن شقيق التابعي رضي الله عنه: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة^(٧). وسئل على رضي الله عنه عن امرأة لا تصلي، فقال: من لم يصل فهو كافر^(٨)، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من لم يصل فلا دين له^(٩)، وقال

(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (١٦٩/٢) وعبد بن حميد (٣٥٣) والدارمي (٦٩٧-٦٩٨) وابن حبان (١٤٦٧) والطحاوي مشكل (٢٢٩/٤) والطبراني في الأوسط (١٧٨٨) والبيهقي في الشعب (٢٥٦٥) وإسناده صحيح.

(٢) رواه أحمد في مسائله برواية ابنه عبد الله (٥٥) وابن سعد (٣/٣٥٠) ومحمد بن نصر في «الصلاة» (٩٢٥) وابن أبي شيبة (الإيمان) (١٠٣) والدارقطني (٥٢/٢) وقال الشيخ الألباني إسناده صحيح على شرطهما

(٣) سبق تخريجه

(٤) رواه البيهقي في «الشعب» (٢٥٥٠) وضعفه البيهقي ثم الألباني في ضعيف الجامع (١٧٠).

(٥) يثعب أي يسيل دما.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان (١٣٧) والترمذي (٢٦٢٢) ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٩٤٨) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (٥٦٤).

(٨) رواه ابن أبي شيبة مرفوعا بلفظ «فقد كفر» راجع صحيح الترغيب (ص ٢٣٠).

(٩) رواه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة، وابن أبي شيبة في «الإيمان» (٢/١٨٤) والطبراني في الكبير (١/١٩/٣) وقال الشيخ الألباني إسناده حسن

ابن عباس رضي الله عنهما: من ترك صلاة واحدة متعمدا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان ^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «من لقي الله وهو مضيع الصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته-أي ما يفعل وما يصنع بحسناته- إذا كان مضيعا للصلاة» ^(٢).

وقال ابن حزم: لا ذنب بعد الشرك أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها، وقتل مؤمن بغير حق. وقال إبراهيم النخعي: من ترك الصلاة فقد كفر. وقال أيوب السخيتاني مثل ذلك. وقال عون بن عبد الله: إن العبد إذا أدخل قبره سئل عن الصلاة أول شيء يسأل عنه، فإن جازت له نظر فيما دون ذلك من عمله، وإن لم تجز له لم ينظر في شيء من عمله بعد. وقال ﷺ: «إذا صلى العبد الصلاة في أول الوقت صعدت إلى السماء ولها نور حتي تنتهي إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول: حفظك الله كما حفظتني. وإذا صلى العبد الصلاة في غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة، فإذا انتهت إلى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وتقول: ضيعك الله كما ضيعتني» ^(٣)، وروى أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاتهم: من تقدم قوما وهم له كارهون، ومن استعبد محمرا، ورجل أتى الصلاة دبارا» ^(٤) والدبار أن يأتيها بعد أن تفوته. وجاء عن ﷺ أنه قال: «من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا عظيما من أبواب الكبائر» ^(٥) فنسأل الله التوفيق والإعانة إنه جواد كريم وأرحم الراحمين.

(١) رواه محمد بن نصر موقوفا بلفظ «فقد كفر».

(٢) عزاه في تخريج الإحياء إلى الطبراني في الأوسط عن أنس ولم أعثر عليه بلفظه.

(٣) رواه الطيالسي (ص ٨٠) والبخاري (٣٥٠) والبيهقي شعب (٢٨٧١) والخطيب في تاريخه (١٤١/١٣) وهو ضعيف انظر ضعيف الجامع (٤٠٠).

(٤) رواه أبو داود (٥٩٣) وابن ماجه (٩٧٠) وهو ضعيف بهذا التمام، راجع ضعيف الجامع (١١٩).

(٥) ضعيف جدا: رواه الترمذي (١٨٨) والحاكم (٢٧٥/١) والطبراني في الكبير (١١٥٤٠) وأبو يعلى (١٣٩/٢/١) وضعفه الترمذي والذهبي والألباني في ضعيف الجامع (٥٥٥٦) والحديث عن ابن عباس.

== للحافظ الذهبي ==

□ فصل : متى يؤمر الصبي بالصلاة □

روى أبو داود في السنن أن رسول الله ﷺ قال: «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ، فإذا بلغ عشر سنين فأضربوه عليها»^(١). وفي رواية: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع»^(٢).

قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله: هذا الحديث يدل على إغلاظ العقوبة له إذا بلغ تاركاً لها.

وكان بعض أصحاب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يحتج به في وجوب قتله إذا تركها متعمداً بعد البلوغ، ويقول: إذا استحق الضرب وهو غير بالغ، فيدل على أنه يستحق بعد البلوغ من العقوبة ما أبلغ من الضرب وليس بعد الضرب شيئاً أشد من القتل.

□ حكم تارك الصلاة □

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في حكم تارك الصلاة، فقال مالك والشافعي وأحمد، رحمهم الله: تارك الصلاة يقتل ضرباً بالسيف في رقبة. ثم اختلفوا في كفره إذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتها، فقال إبراهيم النخعي وأيوب السخيتاني وعبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه: هو كافر. وأستدلوا بقوله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر»^(٣)، وبقوله ﷺ: « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة»^(٤).

(١) رواه ابن أبي شيبه (١/١٣٧) وأبو داود (٤٩٤) والترمذي (٤٠٧) والدارمي (١٤٣١) والطحاوي مشكل (٢٣١/٣) وابن الجارود (١٤٧) والدارقطني (١/٢٣٠) والحاكم (٢٠١/١) وحسنه الشيخ الألباني في الإرواء (٢٦٧/١).

(٢) رواه ابن أبي شيبه (٢/١٣٧) وأبو داود (٤٩٦، ٤٩٥) والدارقطني (١/٢٣٠) والحاكم (١٩٧/١) والبيهقي (٦٤/٧) وأحمد (١٨٧/٢) عن ابن عمرو وحسنه الشيخ الألباني في الإرواء (٢٤٧).

(٣)، (٤) سبق تخريجهما.

□ فصل □

وقد ورد في الحديث :

«إن من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات ، يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ، ويعطيه كتابه يمينه ، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ، ويدخل الجنة بغير حساب ، ومن تهاون بها عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة ، خمس في الدنيا وثلاث عند الموت ، وثلاث في القبر ، وثلاث عند خروجه من القبر . فأما اللاتي في الدنيا : فالأولى : ينزع البركة من عمره ، والثانية : يمحي سيماء الصالحين من وجهه ، والثالثة : كل عمل يعمل لا يأجره الله عليه ، والرابعة : لا يرفع له دعاء إلى السماء ، والخامسة : ليس له حظ في دعاء الصالحين . وأما اللاتي تصيبه عند الموت فإنه يموت ذليلاً ، والثانية : يموت جائعاً ، والثالثة : يموت عطشاناً ولو سقي بحار الدنيا ما روى عطشه ، وأما اللاتي تصيبه في قبره ، فالأولى : يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، والثانية : يوقد عليه القبر نارا يتقلب على الجمر ليلاً ونهاراً ، والثالثة : يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم ، يكلم الميت فيقول : أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول : أمرني ربي أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ، وأضربك على تضييع صلاة الظهر إلى صلاة العصر ، وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب ، وأضربك على تضييع صلاة المغرب إلى صلاة العشاء ، وأضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الصبح . فكلما ضربه ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعاً ، فلا يزال في الأرض معذباً إلى يوم القيامة .

وأما اللاتي تصيبه عند خروجه من قبره في موقف القيامة فشدة الحساب ، وسخط الرب ، ودخول النار» وفي رواية : «فأنه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات . السطر الأول : يا مضيع حق الله ، السطر الثاني : يا مخصوصاً بغضب الله ،

== الحافظ الذهبي == ٢٥ ==

السطر الثالث : كما ضيعت في الدنيا حق الله فأيس اليوم من رحمة الله»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدي الله عزوجل فيأمر به إلى النار، فيقول : يارب لماذا؟ فيقول الله تعالى : لتأخير الصلاة عن أوقاتها وحلفك بى كاذبا^(٢).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال يوما لأصحابه : «اللهم لا تدع فينا شقيا ولا محروما». ثم قال ﷺ : «أتدرون من الشقي المحروم؟» قالوا : من هو يا رسول الله؟ قال : «تارك الصلاة»^(٣).

وروى أنه أول من يسود يوم القيامة وجوه تاركى الصلاة ، وأن فى جهنم واديا يقال له : «الملحم» فيه حيات ، كل حية ثخن رقبة البعير ، طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه .

□ حكاية □

روى أن امرأة من بنى إسرائيل جاءت إلى موسى عليه السلام فقالت : يا رسول الله إني أذنبت ذنبا عظيما وقد تبت منه إلى الله تعالى ، فادع الله أن يغفر لى ذنبى ويتوب على . فقال لها موسى عليه السلام : وما ذنبك؟ قالت : يا نبى الله إنى زنيت وولدت ولدا فقتلته . فقال لها موسى عليه السلام : أخرجى يا فاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك ، فخرجت من عنده

(١) لم أجد له أي سند، وقد ذكره ابن حجر الهيتمي في الزواجر (١/١٣٦) على استحياء قال : «قال بعضهم : «وورد في الحديث» ثم ذكره . قال الذهبي في «الميزان» (٣/٦٥٣) في ترجمة - محمد بن علي العباس البغدادي العطار - ركب علي أبي بكر بن زياد النيسابوري حديثا باطلا في تارك الصلاة . وقال الحافظ في «لسان الميزان» (٥/٢٩٥) ، زعم المذكور أي - محمد بن علي العباس - أن ابن زياد أخذه عن الربيع عن الشافعي عن مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه «من تهاون بصلاته عاقبه الله بخمسة عشر خصلة» وهو ظاهر البطلان من أحاديث الطريقة ، وقد ذكره برهان الدين الحلبي في «الكشف الحثيث» (ص ٢٤٠).

(٢) لم أعثر عليه .

(٣) لم أعثر عليه .

منكسرة القلب، فنزل جبريل عليه السلام وقال: يا موسى الرب تعالى يقول لك لم رددت التائب يا موسى، أما وجدت شرا منها؟ قال موسى: يا جبريل ومن هو شر منها؟ قال: تارك الصلاة عامدا متعمدا.

□ حكاية أخرى □

عن بعض السلف أنه أتى أختا له ماتت، فسقط كيس منه فيه مال في قبرها فلم يشعر به أحد حتى انصرف عن قبرها، ثم ذكره فرجع إلى قبرها فنبشه بعدما انصرف الناس، فوجد القبر يشعل عليها نارا فرد التراب عليها ورجع إلى أمه باكيا حزينا فقال: يا أماه أخبريني عن أختي وما كانت تعمل؟ قالت: وما سؤالك عنها؟ قال: يا أمي رأيت قبرها يشتعل عليها نارا. قال: فبكت وقالت: يا ولدي كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها^(١).

فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها، فكيف حال من لا يصلي؟ فنسأل الله أن يعيننا على المحافظة عليها في أوقاتها إنه جواد كريم.

(١) ذكرها ابن الجوزي في كتاب المقلق رقم (٣٩) عن القرشي قال: وحدثنا سويد بن سعيد قال: أخبرنا الحكم بن سنان عن عمرو بن دينار قال: فذكر القصة، وإسناده ضعيف لأجل الحكم بن سنان.

□ فصل □

في عقوبة من ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها، وقد روى في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(١) أنه الذي ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها.

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلا دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فيه، فصلى الرجل ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام، ثم قال له: «ارجع فصل فإنك لم تصل». فرجع فصلى كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ثم قال: «أرجع فصل فإنك لم تصل» فرجع فصلى كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام، وقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل ثلاث مرات». فقال في الثالثة: والذي بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن غيره فعلمني. فقال ﷺ: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم أركع حتى تطمئن راكعا، ثم أرفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم اجلس حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، وافعل ذلك في صلاتك كلها»^(٢).

وروى الإمام أحمد رضي الله عنه عن البدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود» ورواه أبو داود أيضا والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، وفي رواية أخرى: «حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود»^(٣).

(١) سورة الماعون: ٤ .

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٢٥٢، ٧٥٧) ومسلم (٣٩٧) وأبو داود (٨٥٦) والترمذي (٣٠٣) والنسائي (١٢٤/٢) وابن ماجه (١٠٦٠) وأحمد (٤٣٧/٣) عن أبي هريرة.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١١٩/٤) وأبو داود (٨٥٥) والطبراني (ص ٨٥) والنسائي (١٨٣/٢) وابن ماجه (٨٧٠) والدارمي (٣٠٤) وابن خزيمة (٥٩٢) والبيهقي (١١٧/٢) وفي «الشعب» (٢٨٦١) وهو في «صحيح الجامع» (٧٢٢٤، ٧٢٢٥).

وهذا نص عن النبي ﷺ في أن من صلى ولم يقم ظهره بعد الركوع والسجود كما كان، فصلاته باطلة، وهذا في صلاة الفرض وكذا الطمأنينة أن يستقر كل عضو في موضعه.

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «أشد الناس سرقة الذي يسرق من صلاته» قيل: وكيف يسرق من صلاته، قال «لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها»^(١).

وروى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الله إلى رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده»^(٢) وقال ﷺ: «تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»^(٣).

وعن أبي موسى قال: صلى رسول الله ﷺ يوماً بأصحابه ثم جلس، فدخل رجل فقام يصلي، فجعل يركع وينقر سجوده، فقال رسول الله ﷺ: «ترون هذا لو مات مات على غير ملة محمد ﷺ ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم!» أخرجه أبو بكر بن خزيمة في صحيحه^(٤).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مصل إلا وملك عن يمينه وملك عن يساره، فإن أتمها عرجا بها إلى الله تعالى، وإن لم يتمها ضربا بها وجهه»^(٥).

(١) صحيح: رواه ابن حبان (١٨٨٨) والحاكم (٢٢٩/١) والبيهقي في «الشعب» (٢٨٤٧) والسنن (٣٨٦/٢) عن أبي هريرة وله شاهد من حديث أبي قتادة، رواه الدارمي (٣٠٥) أحمد (٣١٠/٥) والحاكم (٢٩٩/١). والبيهقي (٣٨٥/٢) وعن عبد الله بن مغفل رواه الطبراني في معجمه الثلاثة، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٩٦٦، ٩٨٦).

(٢) رواه أحمد (٥٢٥/٢) وسنده صحيح.

(٣) رواه مالك (٢٢٠/١) ومسلم (٦٢٢) وأبو داود (٤١٣) والترمذي (١٦٠) والنسائي (٢٥٤/١) والدارقطني (٢٥٤/١) والبيهقي (٤٤٣/١) وأحمد (١٠٣، ١٠٢/٣) عن أنس.

(٤) حسن - رواه ابن خزيمة (٦٥٥٦) والبيهقي (٨٩/٢) وحسنه الشيخ الألباني في تعليقه على ابن خزيمة، وفي «صحيح الترغيب» (٥٢٩).

(٥) ضعيف - رواه الدارقطني في «الإفراد» وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٢٢٦).

== للحافظ الذهبي ==

٢٩

وروى البيهقي بسنده عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله ﷺ قال: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتى ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة: حفظك الله كما حفظتني، ثم صعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور، ففتحت لها أبواب السماء حتى انتهت إلى الله سبحانه وتعالى فتشفع لصاحبها. وإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها قالت الصلاة: ضيعك الله كما ضيعتني، ثم صعد بها إلى السماء، وعليها ظلمة فأغلقت دونها أبواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها»^(١).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلاة مكيال، فمن وقى وقى له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين، قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾»^(٢) والمطفف هو المنقص للكيل أو الوزن أو الذراع أو الصلاة، وعدهم الله بويل وهو واد في جهنم تستغيث جهنم من حره، نعوذ بالله منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سجد أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض فإن الله تعالى أوحى إلى أن أسجد على سبعة أعضاء: الجبهة والأنف والكفين والركبتين، وصدور القدمين، وأن لا أكف شعرا ولا ثوبا، فمن صلى ولم يعطى كل عضو منها حقه لعنه هذا العضو حتى يفرغ من صلاته»^(٣).

وروى البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه رأى رجلا يصلي ولا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها فقال له حذيفة: صليت ولو مت وأنت تصلي هذه الصلاة، مت على غير فطرة محمد ﷺ^(٤).

(١) ضعيف - رواه الطيالسي (ص ٨٠)، والبزار (١/١٧٧ رقم ٣٥٠) والبيهقي شعب (٢٨٧١) وضعفه الشيخ في «ضعيف الجامع» (٤٠٠).

(٢) سنده ضعيف رواه عبد الرزاق (٣٧٥٠) والدولابي في الكنى (١٤١/٢) والبيهقي (٢٩١/٢) عن سالم بن أبي الجعد عن سلمان وهو لم يسمع منه غير أنه مدلس لم يصرح منه بالسماع - والله أعلم.

(٣) لم أجده بعد بحث، غير أن الشوكاني في «النيل» (٢٥٩/٢) عزاه إلى إسماعيل بن عبد الله المعروف بسمويه في «فوائده» من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٤) رواه البخاري (٧٩١، ٨٠٨) وعبد الرزاق (٣٧٣٢، ٣٧٣٣) والنسائي (٥٨/٣) وابن حبان (١٨٩٤) والبيهقي (١١٨/٢) والشعب (٢٨٦٠) وأحمد (٣٨٤/٥) والبخاري (٦١٦).

وفى رواية أبي داود أنه قال: منذ كم تصلى هذه الصلاة؟ قال: منذ أربعين سنة. قال: ما صليت منذ أربعين سنة شيئاً، ولو مت مت على غير فطرة محمد ﷺ! (١)

وكان الحسن البصرى يقول يا ابن آدم أى شئ يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك وأنت أول ما تسأل عنها يوم القيامة كما تقدم من قول النبي ﷺ: «أول ما يحاسب العبد عليه يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من الفريضة شئ يقول الله تعالى: أنظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله كذلك» (٢).

فينبغي للعبد أن يستكثر من النوافل حتى يكمل به ما انتقص من فرائضه وبالله التوفيق.

□ فصل □

عقوبة تارك الجماعة

فى عقوبه تارك الصلاة فى جماعة مع القدرة. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ (٣).

وذلك يوم القيامة يغشاهم ذل الندامة وقد كانوا فى الدنيا يدعون إلى السجود.

(١) هذه الرواية ليست عند أبي داود وإنما عند ابن حبان (١٨٩٤) والبيهقى شعب (٢٨٦٠) والسنن (١١٧/٢).

(٢) رواه أحمد (٢٩٠/٢) وأبو داود (٨٦٥) والترمذي (٤١٣) والنسائي (٢٣٢/١) وابن ماجه (١٤٢٥) والطحاوى مشكل (٢٢٨/٣) عن أبي هريرة وصححه الشيخ فى «صحيح الجامع» (٢٥٦٨).

(٣) سورة القلم: ٤٢-٤٣.

== للحافظ الذهبي == ٣١ ==

قال إبراهيم التيمي: يعنى إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة.

وقال سعيد بن المسيب: كانوا يسمعون «حى على الصلاة حى على الفلاح» فلا يجيبون وهم أصحاب سالمون.

وقال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلا فى الذين تخلفوا عن الجماعة. فأى وعيد أشد وأبلغ من هذا لمن ترك الصلاة فى الجماعة مع القدرة على إتيانها؟ وأما من السنة فما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام، ثم أمر رجلا فيؤم الناس، ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فى الجماعة، فأحرق بيوتهم عليهم بالنار»^(١) ولا يتوعد بحرق بيوتهم عليهم إلا من ترك واجب مع ما فى البيوت من الذرية والمتاع.

وفى صحيح مسلم أن رجلا أعمى أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد وسأل النبى ﷺ أن يرخص له أن يصلى فى بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» قال: نعم، قال: «فأجب»^(٢). ورواه أبو داود عن عمرو بن أم مكتوم أنه أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر شاسع الدار - أى بعيد الدار - ولى قائد لا يلائمنى فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى؟ فقال: «هل تسمع النداء؟» قال: نعم، قال: «فأجب فإنى لا أجد لك رخصة»^(٣).

(١) صحيح: رواه مالك (١٢٩/١ - ١٣٠) والبخارى (٦٤٤ و ٢٤٢٠) ومسلم (٦٥١) وأبو داود (٥٤٩)^١ والترمذى (٢١٧) والنسائى (١٠٧/٢) عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٥٣) وأبو عوانة (٦/٢) والنسائى (١٠٩/٢) والبيهقى (٥٧/٣).

(٣) صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٣٤٥ و ٣٤٦) وأبو داود (٥٥٣) والنسائى (١١٠/٢) وابن خزيمة (١٤٧٨) والحاكم (٢٤٦/١) وصححه ووافقه الذهبى وصححه الشيخ الألبانى.

فهذا رجل ضرير البصر شكى ما يجد من المشقة فى مجيئه إلى المسجد وليس له قائد يقوده إلى المسجد، ومع هذا لم يرخص له النبى ﷺ فى الصلاة فى بيته فكيف بمن يكون صحيح البصر سليما لا عذر له؟ ولهذا لما سئل ابن عباس رضي الله عنهما: عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى فى جماعة ولا يجمع؟ فقال: إن مات على هذا فهو فى النار^(١).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: لأن تملأ آذان ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب^(٢).

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع المنادى بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر» قيل: وما العذر يا رسول الله؟ قال: «خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التى صلى» يعنى فى بيته^(٣).

وأخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «وثلاثة لعنهم الله: من تقدم قوما وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها ساخط عليها، ورجل سمع حى على الصلاة حى على الفلاح ثم لم يجب»^(٤) وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه: لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد. قيل: ومن جار المسجد؟ قال: من سمع الأذان^(٥).

(١) إسناده ضعيف: رواه الترمذي (٢١٨) عن هناد حدثنا المحاربي عن ليث عن مجاهد عنه قال أحمد شاكر: هذا إسناده صحيح وإن كان موقوفا ظاهراً عن ابن عباس إلا أنه مرفوعاً حكماً، لأن مثل هذا مما لا يعلم بالرأى. قلت: بل إسناده ضعيف فالليث بن أبي سليم وهو ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف: رواه بن أبي شيبه (١/٣٨٠/٤) من طريق وكيع عن عبد الرحمن بن حصين عن أبي نجيع المكي عن أبي هريرة. وإسناده ضعيف لجهالة عبد الرحمن بهذا - والله أعلم.
(٣) صحيح: رواه أبو داود (٥٥١) وابن ماجه (٧٩٣) والدارقطني (١/٤٢٠) وابن حبان (٢٠٦٤) والحاكم (١/٢٤٥) والطبراني (١٢٢٦٥) والبيهقي (٣/٥٧) وصححه الشيخ الألباني دون لفظة «وما العذر؟».

(٤) لا يصح: رواه الترمذي (٣٥٨) عن محمد بن القاسم الأسدي عن الفضل بن دهم عن الحسن عن أنس - وليس ابن عباس - وقال الترمذي: لا يصح لأنه قد روي هذا الحديث عن الحسن عن النبى ﷺ، مرسلاً. ومحمد بن القاسم ضعفه أحمد وليس بالحافظ.
(٥) إسناده صحيح: رواه ابن أبي شيبه (١/٣٨٠/٨) وإسناده صحيح

== للحافظ الذهبي ==

وروى البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: من سره أن يلقى الله غدا مسلما -يعنى يوم القيامة- فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن ، فإن الله شرع لنيكمت سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم . ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين رجلين حتى يقام فى الصف أو حتى يجرى إلى المسجد لأجل صلاة الجماعة^(١).

وكان الربيع بن خثيم قد سقط شقه فى الفالج، فكان يخرج إلى الصلاة يتوكأ على رجلين، فيقال له: يا أبا محمد قد رخص لك أن تصلى فى بيتك أنت معذور. فيقول: هو كما تقولون، ولكن أسمع المؤذن يقول: حى على الصلاة حى على الفلاح، فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفا أو حبوا فليفعل^(٢).

وقال حاتم الأصم: فاتتني مرة صلاة الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخارى وحده، ولو مات لى ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف إنسان، لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا.

وكان بعض السلف يقول: ما فات أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب أصابه.

وقال ابن عمر: خرج عمر يوما إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون فاتتني صلاة العصر فى الجماعة. أشهدكم أن حائطى على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر رضي الله عنه والحائط: البستان فيه النخل.

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٥٤) والنسائي، وليس كما قال المؤلف أنه فى البخارى.

(٢) رواه ابن سعد (١٨٩/٦-١٩٠) وأبو نعيم (١١٣/٢).

□ فصل □

ويكون اسعناؤه بحضور صلاة العشاء والفجر أشد، فإن النبي ﷺ قال: «إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، يعني العشاء والفجر، ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبوا»^(١).

وقال ابن عمر: كنا إذا تخلف منا أنسان في صلاة العشاء والصبح في الجماعة أسأنا به الظن أن يكون قد نافق^(٢).

□ حكاية □

عن عبيد الله بن عمر القواريري رضي الله عنه قال: لم تكن تفوتني صلاة العشاء في الجماعة قط، فتزل بي ليلة ضيف فشغلت بسببه وفا تنى صلاة العشاء في الجماعة، فخرجت أطلب الصلاة في مساجد البصرة، فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد، فرجعت إلى بيتي وقلت: قد ورد في الحديث: «إن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة» فصليت العشاء سبعا وعشرين مرة ثم نمت، فرأيت في المنام كأنني مع قوم على خيل وأنا على فرس ونحن نستبق، وأنا أركض فرسى فلا أحقهم، فالتفت إلى أحدهم فقال لي: لا تتعب فرسك فلست تلحقنا. قلت: ولم؟ قال: لأننا صلينا العشاء في جماعة وأنت صليت وحدك. فأنشبت وأنا مغموم حزين لذلك، فنسأل الله المعونة والتوفيق إنه جواد كريم.



(١) صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٣٣٢/١) وأحمد (٤٢٤/٢) والبخاري ومسلم (٦٥١) وأبو داود (٥٤٨) وابن ماجه (٧٩١) وابن حبان (٢٠٩٨) عن أبي هريرة.

(٢) إسناده صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٣٣٢/١) والحاكم (٢١١/١) وابن خزيمة (١٤٨٥) وابن حبان (٢٠٩٩) والبيهقي (٥٩/٣) إسناده صحيح.

□ الكبيرة الخامسة □

منع الزكاة

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَتَّخِلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١).

وقال الله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ (٢) فسماهم المشركين. وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (٣).

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره. كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: «ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: «ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره

(١) سورة آل عمران آية ١٨.

(٢) سورة فصلت آية ٦-٧.

(٣) سورة التوبة آية ٣٤-٣٥.

خمسین ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»^(١).

وقال عليه السلام: « أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط. وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى من ماله، وفقير فخور»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من كان له مال يبلغه حج بيت الله تعالى ولم يحج، أو تجب فيه الزكاة ولم يزك سأل الرجعة عند الموت، فقال له رجل: اتق الله يا ابن عباس فإنما يسأل الرجعة الكفار. فقال ابن عباس: سأتلو عليك بذلك قرآنا، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ أي أؤدي الزكاة ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي أحج قيل له : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتي درهم وجبت فيه الزكاة، قيل: فما يوجب الحج؟ قال : الزاد والراحلة^(٣).

ولا تجب الزكاة في الحلبي المباح إذا كان معدا للاستعمال، فإن كان معدا للقنية أو الكراء وجبت فيه الزكاة^(٤).

وتجب في قيمة عروض التجارة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أتاه الله مالا فلم يؤدي زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زببتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه (أي بشدقيه) فيقول: أنا مالك كنزك». ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أخرجه البخاري^(٥).

(١) رواه عبد الرزاق (٦٨٥٨) وأحمد (٢٦٢/٢-٢٨٦) ومسلم (٩٨٧) وأبو داود (١٦٥٨، ١٦٥٩) والنسائي (١٢/٥-١٣) عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٤٧٩/٢) والبيهقي (٣٠٦٣) في الشعب، ورواه الترمذي (١٦٤٢) بلفظ «أول ثلاثة يدخلون الجنة» الحديث وهو حديث ضعيف.

(٣) رواه الترمذي (٣٣١٦) وإسناده ضعيف ضعفه الترمذي وصحح وقفه.

(٤) الراجح أن الحلبي سواء مستعمل أو غير مستعمل فيه الزكاة والله أعلم.

(٥) صحيح : رواه البخاري (١٤٠٣، ٤٥٦٥، ٤٦٥٩) والنسائي (٣٩/٥) عن أبي هريرة.

للحافظ الذهبي

٣٧

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قول الله تعالى في مانعي الزكاة : ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ قال : لا يوضع دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته ^(١).

فإن قيل : لم خص الجباه والجنوب والظهور بالكي؟ قيل : لأن الغنى البخیل إذا رأى الفقير عبس وجهه وزوى ما بين عينيه وأعرض بجنبه، فإذا قرب منه ولى بظهره فعوقب بكي هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل.

وقال صلى الله عليه وسلم : «خمس بخمس» قالوا : يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال : «ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال والميزان إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر» ^(٢).

□ موعظة □

قل للذين شغلهم في الدنيا غرورهم إنما في غد ثبورهم، ما نفعهم ما جمعوا. إذا جاء محذورهم ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم . ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾. أخذ المال إلى دار ضرب العقاب فجعل في بودقة ليحمى ليقوى العذاب . فصفح صفائح كي يعم الكى الاله اب ، ثم جئ بمن عن الهدى قد غاب . يسعى إلى مكان لا مع قوم يسعى نورهم . ثم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . إذا لقيهم الفقير لقي الأذى . فإن طلب منهم شيئاً طار منهم لهب الغضب كالجدا . فإن لطفوا به قالوا أعتكم ذا . وسؤال هذا لذا . ولو شاء

(١) قال السيوطي في الدر (٤١٩/٣) رواه ابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ قال المنذري رواه الطبراني وإسناده صحيح . قلت : رواه الطبراني (١٢٤/١٠) ورجاله ثقات.

(٢) رواه ابن مساجه (٤٠١٩) والبيهقي (٣٠٤٢) شعب ، والحاكم (٥٤٠/٤) وأبو نعيم (٣٣٣/٨) وحسنه الشيخ في «الصحيحه» (١٠٦) عن ابن عمر ، وأخرج نحوه البيهقي في الشعب (٣٠٤٠) والحاكم (١٢٦/٢) والبيهقي سنن (٢٣١/٩) عن بريدة .

ريك لأغنى المحتاج وأعور ذا . ونسوا حكمة الخالق فى غنى ذا وفقير ذا . واعجبا كم يلقاهم من غم إذا ضمتهم قبورهم . ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾^(١) . سيأخذها الوارث منهم من غير تعب . ويسأل عنها الجامع من أين أكتسب ما أكتسب . إلا أن الشوك له وللوارث الرطب . أين حرص الجامعين ، أين عقولهم ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ . لو رأيتهم فى طبقات النار ، يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار ، وقد غلت اليمين مع اليسار لما بخلوا مع اليسار لو رأيتهم فى الجحيم يسقون من الحميم . وقد ضج صبورهم ، ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ .

كم كانوا يوعظون فى الدنيا وما فيهم من يسمع . كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفرع كما أنبتوا بمنع الزكاة وما فيهم من يدفع . فكأنهم بالأموال وقد أنقلببت شجاعا أقرع . فما هى عصى موسى ولا طورهم . ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ .

□ حكاية □

روى عن محمد بن يوسف الفريابى قال : خرجت أنا وجماعة من أصحابى فى زيارة أبى سنان رحمه الله ، فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده قال : قوموا بنا نزور جار لنا مات أخوه ونعزيه فيه ، فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل ، فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه ، فجلسنا نسلية ونعزيه وهو لا يقبل تسلية ولا تعزية ، فقلنا : أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه !

قال : بلى ولكن أبكى على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب ، فقلنا له : هل أطلعك الله على الغيب؟ قال : لا ، ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره ، إذ صوت من قبره يقول : آه أقعدونى وحيدا أقاسى العذاب ، قد كنت أصلى ، قد كنت أصوم . قال : فأبكاني كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر حاله ،

(١) سورة التوبة آية ٣٥ .

للحافظ الذهبي

== ٣٩ ==

وإذا القبر يشتعل عليه نارا وفي عنقه طوق من نار ، فحملتنى شفقة الأخوة ومددت يدي لأرفع الطوق عن رقبته فاحترقت أصابعي ويدي ، ثم أخرج إلينا يده فإذا هي سوداء محترقة .

قال : فرددت عليه التراب وانصرفت ، فكيف لا أبكى على حاله وأحزن عليه؟ فقلنا : فما كان أخوك يعمل في الدنيا؟ قال : كان لا يؤدي الزكاة من ماله ، قال : فقلنا : هذا تصديق قول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) .

وأخوك عجل له العذاب في قبره إلى يوم القيامة . قال : ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله ﷺ وذكرنا له قصة الرجل ، وقلنا له : يموت اليهودي والنصراني ولا نرى فيهم ذلك !

فقال : أولئك لا شك أنهم في النار ، وإنما يريكم الله في أهل الإيمان لتعتبروا . قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴾ (٢) (٣) .
فنسأل الله العفو والعافية إنه جواد كريم .



(١) آل عمران آية ١٨٠

(٢) سورة الأنعام آية ١٠٤ .

(٣) قصة فيها كذب واضح ، أ

□ الكبيرة السادسة □

إفطار يوم من رمضان بلا عذر

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (١)

وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: « بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان » (٢).

وقال ﷺ: « من أفطر يوماً من رمضان بلا عذر لم يقضه صيام الدهر وإن صامه » (٣)، وعن ابن عباس رضيهما: « عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث: شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة وصوم رمضان فمن ترك واحدة منهن فهو كافر ». نعوذ بالله من ذلك (٤).



(١) سورة البقرة آية ١٨٣-١٨٤ .
(٢) رواه أحمد (١٤٣/٢) والبخاري (٢٢، ١٦، ٨) ومسلم (١٦) والترمذي (٢٦٠٩) والنسائي (١٠٧/٨) والحميدي (٧٠٣) وابن خزيمة (٣٠٩).
(٣) ضعيف: رواه أحمد (٤٤٢/٢، ٤٧٠) وأبو داود (٢٣٩٦) والترمذي (٧٢٦) والنسائي وابن ماجه (١٦٧٢) وابن خزيمة (١٩٨٧، ١٩٨٨) عن أبي هريرة وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود وضعيف الجامع (٥٤٧١).
(٤) رواه أبو يعلى (٢٣٤٥) واللالكائي (١/٢٠٢) مرفوعاً وضعفه الألباني في «تمام المنة» (ص ١٣٨) و«الضعيفة» (٩٤) وصحح الموقوف.

للحافظ الذهبي

٤١

□ الكبيرة السابعة □

في ترك الحج مع القدرة عليه

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (١)

وقال النبي ﷺ: «من ملك زادا وراحلة تبلغه حج بيت الله الحرام ولم يحج، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا» وذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (٢).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد هممت أن أبعث رجلا إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية وما هم بمسلمين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما من أحد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت ف قيل له: إنما يسأل الرجعة الكفار. قال: وإن ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ أي أودى الزكاة ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي أحج، ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قيل: فيم تجب الزكاة؟ قال: بمائتي درهم وقيمتها من الذهب، قيل: فيما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة (٣). وعن سعيد بن جبیر رضي الله عنه قال: مات لي جار موسر لم يحج فلم أصل عليه.



(١) سورة آل عمران آية ٩٧.

(٢) ضعيف: رواه الترمذي (٨١٢) وابن جرير في تفسيره (١٦/٤-١٧) والعقيلي (٣٤٨/٤) وابن عدي (٢٢٨٠/٧) والبيهقي شعب (٣٦٩٢) وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٨٧٢).

(٣) سبق تخريجه.

□ الكبيرة الثامنة □

عقوق الوالدين

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (١) أى برا بهما وشفقة وعظما عليهما. ﴿إِمَّا يَلُغَنُ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ : أى لا تقل لهما بتبرم إذا كبرا وأسنا. وينبغي أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك، على أن الفضل للمتقدم وكيف يقع التساوى، وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك، وأنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما، ثم قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أى لينا لطيفا. ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

وقال الله تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (٢).

فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثلاث آيات مقرونة بثلاث، لا تقبل واحدة منها بغير قرينتها: (إحداهما) قول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾. فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه. (الثانية) قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾. فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه. (الثالثة) قول الله تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾. فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه. ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رضى الله فى رضى الوالدين، وسخط الله فى سخط الوالدين» (٣)، وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فى الجهاد معه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أحى والداك؟» قال نعم. قال: «ففيهما فجاهد» مخرج فى الصحيحين (٤)، فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد!

(١) سورة الاسراء آية ٢٣.

(٢) سورة لقمان آية ١٤.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٤٢٤) والبخاري فى الأدب المفرد (٢) وابن حبان (٤٢٩) والحاكم (١٥١/٤) والبيهقي (٣٤٢٤) وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (٥١٥).

(٤) صحيح: البخاري (٣٠٠٤) ومسلم (٢٥٤٩) والنسائي (١٠/٦) وأحمد (١٦٥/٢) عن ابن عمرو.

للحافظ الذهبي

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الإشراف بالله وعقوق الوالدين »^(١) . فانظر كيف قرن الإساءة إليهما وعدم البر والإحسان بالإشراف وفى الصحيحين أيضا أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر »^(٢) ، وعنه ﷺ قال : « لو علم الله شيئا أدنى من الأف لنهى عنه ، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة . وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار »^(٣) وقال ﷺ : « لعن الله العاق لوالديه »^(٤) وقال ﷺ : « لعن الله من سب أباه ، لعن الله من سب أمه »^(٥) . وقال ﷺ : « كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه » يعنى العقوبة فى الدنيا قبل يوم القيامة^(٦) .

وقال كعب الأحبار رحمه الله : إن الله ليسجعل هلاك العبد إذا كان عاقا لوالديه ليعجل له العذاب ، وإن الله ليزيد فى عمر العبد إذا كان بارا بوالديه ليزيده برا وخيرا . ومن برهما أن ينفق عليهما إذا احتاجا . فقد جاء رجل إلى النبی ﷺ ، فقال : يا رسول الله إن أبى يريد أن يجتاح مالى . فقال ﷺ : « أنت ومالك لأبيك »^(٧) .

- (١) سبق تخريجه .
 (٢) صحيح : رواه أحمد (٢٠١/٢) والدارمي (٢٠٩٤) والبخاري فى تاريخه الصغير (٢٦٢/١) وابن حبان (٣٣٨٤) عن عبد الله بن عمرو وصححه الشيخ فى «الصحيحة» (٦٧٠) وفى «صحيح الجامع» (٧٦٧٦) .
 (٣) قال السيوطي فى الدر (٣١٠/٤) : رواه الديلمي عن الحسن بن علي مرفوعا ، قلت : وفى إسناده أصرم بن حوشب وهو وضاع .
 (٤) رواه الحاكم (٣٥٦/٤) والطبراني فى الأوسط (٨٤٩٧) بلفظ : « لعن الله سبعة من خلقه من فوق سبع سموات . . . ملعون من عاق والديه » وإسناده ضعيف ، ورواه مسلم (١٩٧٨) والنسائي (٢٣٢/٧) والحاكم (١٥٣/٤) وأحمد (١٠٨/١) عن علي بن أبي طالب بلفظ «لعن الله من لعن والديه» . الحديث .
 (٥) رواه أحمد (٣٠٩/١) والطبراني (١١٥٤٦) وابن حبان (٤٤١٧) والحاكم (٣٥٦/٤) بلفظ «لعن الله من ذبح لغير الله» الحديث عن ابن عباس وهو صحيح .
 (٦) رواه الطيالسي (٨٨٠) وأحمد (٣٦/٥) والبخاري فى الأدب (٦٧، ٢٩) وأبو داود (٤٩٠٢) والترمذي (٢٥١١) وابن ماجه (٤٢١١) والحاكم (١٦٢/٢) وابن حبان (٤٥٦، ٤٥٥) والبيهقي (٢٣٤/١٠) عن أبي بكر بلفظ «ما من ذنب أجدر (أحرى) أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا» الحديث وصححه الشيخ فى «صحيح الأدب» ، أما اللفظ الذى ذكره المؤلف فقد أخرج نحوه الحاكم (١٥٦/٤) وصححه وتعقبه الذهبي بأن فيه بكار بن عبد العزيز وهو ضعيف .
 (٧) رواه ابن ماجه (٢٢٩١) والطحاوي مشكل (٢٣٠/٢) والطبراني فى الأوسط (٣٥٣٤) (٦٥٧٠) والصغير (١٥٤/١) عن جابر ورواه الطبراني فى الأوسط (٧٠٨٨) والعقيلي (٢٣٤/٢) والبزار (٨٤/٢) عن سمرة بن جندب ، ورواه الطبراني الأوسط (٨١٠) عن أبي بكر ، وأحمد (٢١٤/٢) ، وأبو داود (٣٥٣٠) وابن ماجه (٢٢٩٢) وابن الجارود (٩٩٥) عن ابن عمرو ، وصححه الشيخ فى الإرواء (٨٣٨)

وسئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ما هو؟ قال : هو إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمهما ، وإذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما ، وإذا سألاه شيئاً لم يعطهما ، وإذا أئتمناه خانهما^(١) .

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن أصحاب الأعراف من هم وما هم الأعراف؟ فقال : أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار ، وإنما سمي الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار عليه أشجار وثمار وأنهار وعيون ، وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا في الجهاد ، فمنعهم القتل في سبيل الله عن دخول النار ، ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة ، فهم على الأعراف حتى يقضى الله فيهم أمره^(٢) .

وفي الصحيحين أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله من أحق الناس مني بحسن الصحبة؟ قال : «أمك» . قال : ثم من؟ قال : «أمك» ، قال : ثم من؟ قال : «أمك» . قال : ثم من؟ قال : «أبوك ثم الأقرب فالأقرب»^(٣) . فحضر على بر الأم ثلاث مرات ، وعلى بر الأب مرة واحدة . وما ذاك إلا لأن عناها أكثر وشفقتها أعظم ، مع ما تقاسيه من حمل وطلق وولادة ورضاعة وسهر ليل .

رأى ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً قد حمل أمه على رقبتة وهو يطوف بها حول الكعبة فقال : يا ابن عمر أتراني جازيتها؟ قال : ولا بطلقة واحدة من طلاقاتها ولكن قد أحسنت ، والله يشيك على القليل كثيراً^(٤) .

(١) رواه ابن وهب في جامعه (٨٩) وعبد الرزاق (١٣٧/١١) والبيهقي في الشعب (٧٨٩٤) وأبو نعيم (١٤/٦) بإسناد صحيح .

(٢) رواه ابن منصور عن أبي معشر عن يحيى بن شبل عن يحيى بن عبد الرحمن المدني عن أبيه مرفوعاً . ورواه ابن مردويه وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن أبي معشر به وروى مرفوعاً - رواه ابن ماجه من حديث ابن عباس وجابر ، وذكره ابن كثير في تفسيره ، لكنه توقف في صحة المرفوع وقال : وقصارها أن تكون موقوفة ، وقال السيوطي في الدر (٣/١٦٢ ، ١٦٣) كل ما ورد في هذا الصدد مرفوعاً وموقوفاً ولكنها لا تخلو من كلام .

(٣) صحيح : رواه مسلم (٢٥٤٨) وابن ماجه (٣٦٥٨) وأحمد (٣٩١/٢) عن أبي هريرة .

(٤) صحيح : رواه البخاري في الأدب المفرد (١١) ولكن بلفظ «قال : لا ، ولا بزفرة واحدة» وسنده صحيح .

للحافظ الذهبي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة نفر حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن خمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم ظلماً، والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا»^(١).

وقال ﷺ: «الجنة تحت أقدام الأمهات»^(٢) وجاء رجل إلى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال: يا أبا الدرداء إني تزوجت امرأة وإن أُمِّي تأمرني بطلاقها. فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضَع ذلك الباب أو احفظه»^(٣). وقال ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»^(٤). وقال ﷺ: «الخالة بمنزلة الأم»^(٥) أي في البر والإكرام والصلة والإحسان. وعن وهب بن منبه قال: إن الله تعالى أوحى إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه: يا موسى قر والديك، فإن من قر والديه مددت في عمره ووهبت له ولدا يوقره، ومن عقر والديه قصرت في عمره ووهبت له ولدا يعقه.

وقال أبو بكر بن أبي مريم: قرأت في التوراة أن من يضرب أباه يقتل. وقال وهب: قرأت في التوراة: على من صك والده الرجم.

(١) ضعيف: رواه الحاكم (٣٧/٢) وقال: صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بأن فيه - أي إسناده - إبراهيم

بن خثيم وهو متروك، والحديث رواه أبو هريرة، وقال الشيخ ضعيف جداً في «الضعيفة» (٨٤٨).
(٢) هذا اللفظ ليس له أصل وإن كان مشهور بين العوام والخطباء ولكن صح بلفظ «الزَمَها» فإن الجنة عند قدميها». ورواه النسائي والحاكم (١٠٤/٢، ١٥١/٤) وأحمد (٤٢٩/٣) وابن ماجه (٢٧٨١) عن معاوية بن جاهمة وأبي سعيد، وصححه الشيخ في «الإرواء» (١١٩٩) والصحيحة (١٢٤٨، ١٢٤٩).

(٣) صحيح زواه الحميدي (٣٩٥) وابن أبي شيبة (٥٤٠/٨) وأحمد (١٩٦/٥، ١٩٧) والطيالسي (٩٨١) والترمذي (١٩٠٠) وابن ماجه (٢٠٨٩) والطحاوي مشكل (١٥٨/٢) وابن حبان (٤٢٥) والحاكم (١٢٥/٤) وصححه الشيخ.

(٤) حسن: رواه البخاري في الأدب المفرد (٤٨١، ٣٢) وأبو داود (١٥٣٦) والترمذي (١٩٠٥، ٣٤٤٨) وابن ماجه (٣٨٦٢) والطيالسي (٢٥١٧) وأحمد (٣٤٨، ٢٥٨/٢) وابن حبان (٢٦٩٩) عن أبي هريرة. وحسنه الشيخ في الإرواء (٥٩٦) والصحيح (٣٠٣١) وجاء نحوه عن أنس - راجع الصحيح (٣٠٣٢) والصحيحة (١٧٩٧).

(٥) صحيح: رواه البخاري (١٨٤٤) (٢٦٩٩) (٤٢٥١) وأحمد (٢٩٨/٤) وابن حبان (٤٨٧٣) مطولا عن البراء.

وعن عمرو بن مرة الجهني قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت إذا صليت الصلوات الخمس ، وصمت رمضان ، وأديت الزكاة وحججت البيت ، فماذا لي؟ فقال رسول الله ﷺ : «من فعل ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إلا أن يعق والديه» (١) . وقال ﷺ : «لعن الله العاق والديه» (٢) .

وجاء عن رسول الله ﷺ قال : « رأيت ليلة أسرى بي أقواما في النار معلقين في جذوع من نار فقلت : يا جبريل من هؤلاء؟ قال : الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم في الدنيا» (٣) .

وروى أنه من شتم والديه ينزل عليه في قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض . ويروى أنه إذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه وأشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة : المشرك والزاني والعاق لوالديه .

وقال بشر : ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله والنظر إليها أفضل من كل شيء .

وجاء رجل وامرأة إلى رسول الله ﷺ يختصمان في صبي لهما فقال الرجل : يا رسول الله ولدي خرج من صلبى ، وقالت المرأة : يا رسول الله حملي خفا ووضعته شهوة وحملته كرها ووضعته كرها وأرضعته حولين كاملين ، فقضى به رسول الله ﷺ لأمه (٤) .

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة وابن حبان ، قال المنذري في الترغيب (١١/٢٢١/٣)

(٢) سبق تخريجه .

(٣) لم أعثر عليه وذكره الهيثمي في «الزواجر» (٦٨/٢) بصيغة تمريض ، وقد تابع الذهبي فلم يذكر الراوي ولا من رواه ! .

(٤) رواه أحمد (١٨٢/٢) وأبو داود (٢٢٧٦) والدارقطني (٣٠٥/٣) والحاكم (٢٠٧/٢) وعنه البيهقي (٥٠٤/٨) وحسنه الشيخ في الإرواء (٢١٨٧) - عن عمر .

□ موعظة □

أيها المضيق لآكد الحقوق ، المعتاض من بر الوالدين بالعقوق ، الناسى لما يجب عليه ، الغافل عما بين يديه ، بر الوالدين عليك دين ، وأنت تتعاطاه باتباع الشين ، تطلب الجنة بزعمك ، وهى تحت أقدام أمك ، حملتك فى بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج . وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج ، وأرضعتك من ثديها لبناء ، وأطارت لأجلك وسنا ، وغسلت يمينها عنك الأذى وأثرتك على نفسها بالغذاء ، وصيرت حجرها لك مهذا وأثالتك إحسانا ورفدا ، فإن أصابك مرض أو شكاية ، أظهرت من الأسف فوق النهاية ، وأطالت الحزن والنحيب ، وبذلت مالها للطبيب ، ولو خيرت بين حياتك وموتها ، لطلبت حياتك بأعلى صوتها ، هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مرارا ، فدعت لك بالتوفيق سرا وجهارا . فلما احتاجت عند الكبر إليك ، جعلتها من أهون الأشياء عليك ، فشبت ، وهى جائعة ورويت وهى قانعة . وقدمت عليها أهلك وأولادك بالإحسان ، وقابلت أيادها بالنسيان وصعب لديك أمرها وهو يسير ، وطال عليك عمرها وهو قصير ، هجرتها ومالها سواك نصير ، هذا ومولاك قد نهاك عن التأفيف ، وعاتبك فى حقها بعتاب لطيف ستعاقب فى دنياك بعقوق البنين ، وفى أخراك بالبعد عن رب العالمين ، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| لأملك حق لو علمت كثير | كثيرك يا هذا لديه يسير |
| فكم ليلة باتت بثقلك تشتكى | لها من جواها أنة وزفير |
| وفى الوضع لو تدرى عليها مشقة | فمن غصص منها الفؤاد يطير |
| وكم غسلت عنك الأذى يمينها | وما حجرها إلا لديك سرير |
| وتفديك مما تشتكيه بنفسها | ومن ثديها شرب لديك نغير |
| وكم مرة جاعت وأعطتكم قوتها | حنانا وإشفاقا وأنت صغير |
| فأها لذي عقل ويتبع الهوى | وأها لأعمى القلب وهو بصير |
| فدونك فارغب فى عميم دعائها | فأنت لما تدعو إليه فقير |

حكى أنه كان في زمن النبي ﷺ شاب يسمى علقمة وكان كثير الاجتهاد في طاعة الله في الصلاة والصوم والصدقة، فمرض وأشتد مرضه فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ : إن زوجي علقمة في الترع ، فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله .

فأرسل النبي ﷺ عمارا وصهيبا وبلالا وقال: امضوا إليه ولقنوه الشهادة فمضوا إليه ودخلوا عليه فوجدوه في الترع ، فجعلوا يلقنونه (لا إله إلا الله) ، ولسانه لا ينطق بها فأرسلوا إلي رسول الله ﷺ يخبرونه أنه لا ينطق لسانه الشهادة .

فقال النبي ﷺ : هل من أبويه أحد حي؟ قيل : يا رسول الله أمه كبيرة السن ، فأرسل إليها رسول الله ﷺ وقال للرسول : قل لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقري في المنزل حتى يأتيك . قال : فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ .

فقالت : نفسي لنفسه فداء ، أنا أحق بإتيانه . فتوكت وقامت على عصا ، وأتت رسول الله ﷺ فسلمت فرد عليها السلام وقال لها : يا أم علقمة أصدقيني وإن كذبتى جاء الوحى من الله تعالى ، كيف كان حال ولدك علقمة؟ قالت : يا رسول الله كثير الصلاة ، كثير الصيام ، كثير الصدقة . قال رسول الله ﷺ : فما حالك؟

قالت : يا رسول الله أنا عليه ساخطة . قال : ولم؟ قالت : يا رسول الله كان يؤثر على زوجته ويعصيني . فقال رسول الله ﷺ : إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة . ثم قال : يا بلال انطلق واجمع لى حطبا كثيرا . قالت : يا رسول الله وما تصنع؟ قال : أحرقه بالنار بين يديك .

قالت : يا رسول الله ولدى لا يحتمل قلبى أن تحرقه بالنار بين يدي . قال : يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى ، فإن سرك أن يغفر الله له فأرضى عنه فوالذى نفسى بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا صيامه ولا بصدقته مادمت عليه ساخطة .

للحافظ الذهبي

٤٩

فقلت: يا رسول الله إني أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين أني قد رضيت عن ولدي علقمة. فقال رسول الله ﷺ: انطلق يا بلال إليه وانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله أم لا؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياء مني. فانطلق فسمع علقمة من داخل الدار يقول: (لا إله إلا الله)، فدخل بلال فقال: يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة، وإن رضاها أطلق لسانه.

ثم مات علقمة من يومه، فحضره رسول الله ﷺ فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه، ثم قام على شفير قبره وقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليها ويطلب رضاها، فرضى الله في رضاها وسخط الله في سخطها»^(١).

فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه، وأن يجنبنا سخطه، إنه جواد كريم رؤوف رحيم.



(١) قصة موضوعة، رواه العقيلي في «الضعفاء» (٤٦١/٣) والبيهقي (٧٨٩٢) في الشعب، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٨٧/٣) والخرائطي (٢٥٠) عن عبد الله بن أبي أوفى لكنهم لم يذكروا اسم الغلام. وقال ابن الجوزي: لا يصح، وفيه فائد متروك الحديث، وداود بن إبراهيم كان يكذب. قال الذهبي في ترجمة داود (٤/٢): ومن مصائب داود بن إبراهيم، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا فائد عن ابن أبي أوفى فذكره الحديث. وتبعه ابن حجر فذكره في اللسان (٤١٤/٢) وكذلك الحلبي في «الكشف الخفي» (ص ١١٢). ولم أعثر علي علقمة الذي جاء ذكره في القصة، ولم أجد لعلقمة هذا ذكر في كتب الرجال والتراجم، بل لم أعثر علي علقمة واحد مات في حياة الرسول ﷺ معظمهم ماتوا في فتح مصر وغيرها من الفتوحات كما قال الحافظ ابن عبد البر في «الاستيعاب» والحافظ ابن حجر في «الإصابة» ولم يذكر في ترجمة واحد منهم أنه حدث معه كما ذكرت القصة، ومع أن الإمام الذهبي هو ذاكر القصة، هو نفسه الذي أبطلها في ميزانه، ومع هذا أوردها في الكبائر، ولو نزه كتابه عنها كان أليق، غير أنه أورد أحاديث كثيرة موضوعة، وقصص باطلة، ربما كان في زمنه من يميز ذلك لكن في زماننا نحن، فما أكثر الخطباء الذين يتشدقون بها على المنابر وفي الدروس وغيرها... والله المستعان.

□ الكبيرة التاسعة □

هجر الأقارب

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (١) أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها . وقال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ (٢) . وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوْقُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٣) . وقال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ أَيُّ بِالْقُرْآنِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٤)

أعظم ذلك ما بين العبد والله ما عهده الله على العبيد .

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: « لا يدخل الجنة قاطع رحم » (٥) . فمن قطع أقاربه الضعفاء وهجرهم وتكبر عليهم ولم يصلهم بیره وإحسانه وكان غنيا وهم فقراء فهو داخل فى هذا الوعيد، محروم من دخول الجنة، إلا أن يتوب إلى الله عزوجل ويحسن إليهم، وقد ورد فى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من كان له أقارب ضعفاء ولم يحسن إليهم ويصرف صدقته إلى غيرهم لم يقبل الله منه صدقته ولا ينظر إليه يوم القيامة، وإن كان فقيرا وصلهم بزيارته والتفقد لأحوالهم » (٦) ولقول النبى ﷺ: « صلوا أرحامكم ولو بالسلام » (٧) .

(١) سورة النساء آية ١ . (٢) سورة محمد آية ٢٢، ٢٣ .

(٣) سورة الرعد آية ١٩، ٢٠ .

(٤) سورة البقرة آية ٢٦، ٢٧ .

(٥) رواه البخاري (٥٩٨٤) ومسلم (٢٥٥٦) وأبو داود (١٦٩٦) والترمذي (١٩٠٩) عن جبير بن مطعم

(٦) رواه الطبراني وإسناده ضعيف .

(٧) حسن - رواه البزار عن ابن عباس ، والطبراني عن أبي الطفيل والبيهقي (٧٩٧٣) عن أنس (٧٩٧٢)

عن سويد بن عامر وحسنه الألباني فى صحيح الجامع (٢٨٣٨) بلفظ «بلوا» وروى البخاري (٥٩٩٠)

عن عمرو بن العاص بلفظ « ولكن لهم رحم أبلاها ببالها »، يعنى: أصلها بصلتها .

للحافظ الذهبي

٥١

وقال ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»^(١) وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: « ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي من إذا قطعت رحمه وصلها»^(٢).

وقال ﷺ: « يقول الله تعالى: أنا الرحمن وهي الرحم فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته»^(٣). وعن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال لولده: يا بني لا تصحب قاطع رحم فإنني وجدته ملعونا في كتاب الله في ثلاث مواضع.

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه جلس يحدث عن رسول الله ﷺ فقال: أخرج على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا، فلم يقم أحد إلا شاب من أقصى الحلقة، فذهب إلى عمته لأنه كان قد صارمها منذ سنين فصالحها. فقالت له عمته: ما جاء بك يا ابن أخي؟ فقال: إني جلست إلى أبي هريرة صاحب رسول الله ﷺ فقال: أخرج كل قاطع رحم إلا قام من عندنا، فقالت له عمته: ارجع إلى أبي هريرة واسأله لم ذلك. فرجع إليه وأخبره بما جرى له مع عمته وسأله: لم لا يجلس عندك قاطع رحم؟ فقال أبو هريرة: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الرحمه لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم».

(١) صحيح: رواه البخاري (٦١٣٨) عن أبي هريرة.
(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٩٩١)، أبو داود (١٦٩٧) والترمذي (١٩٠٨) وأحمد (١٩٠/٢) عن عبد الله بن عمرو.
(٣) رواه البيهقي في الشعب (٧٩٦٦) وقال في المجمع (١٥١/٨) رواه أحمد ورجاله ثقات.

□ حكاية □

وحكى أن رجلا من الأغنياء حج إلى بيت الله الحرام ، فلما وصل إلى مكة أودع من ماله ألف دينار عند رجل كان موسوما بالأمانة والصلاح إلى أن يقف بعرفات ، فلما وقف بعرفات ورجع إلى مكة وجد الرجل قد مات ، فسأل أهله عن ماله علم أنه لم يكن لهم به علم فأتى علماء مكة فأخبرهم بحاله وماله فقالوا له : إذا كان نصف الليل فأت زمزم وانظر فيه ، وناد يا فلان باسمه فإن كان من أهل الجنة فسيجيئك بأول مرة ، فمضى الرجل ونادى فى زمزم فلم يجبه أحد ، فجاء إليهم وأخبرهم فقالوا : (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار ، اذهب إلى أرض اليمن ففيها بشر يسمى برهوت يقال أنه على قم جهنم فانظر فيه بالليل ، وناد يا فلان فإن كان من أهل النار فسيجيئك منها . ، فمضى إلى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها ، فأتاها بالليل ونظر فيها ونادى يا فلان ، فأجابه فقال : أين ذهبي ؟ قال : دفنته فى الموضع الفلانى من دارى ولم اتمن عليه ولدى ، فأتهم واحفر هناك تجده . فقال له : مالى الذى أنزلك ههنا وكنا نظن بك الخير؟ فقال : كان لى أخت فقيرة هجرتها وكنت لا أحنو عليها فعاقبنى الله سبحانه وأنزلى هذه المنزلة^(١) .

وتصديق ذلك فى الحديث الصحيح قوله ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع »^(٢) يعنى قاطع رحم كالأخت والخالة والعمة وبنت الأخت وغيرهم من الأقارب ، فنسأل الله التوفيق لطاعته إنه جواد كريم .



(١) لا أظن هذه الحكاية تصح بالمرّة ، وهي مثل كثير من الحكايات المذكورة فى الكتاب من وضع القصاص والله أعلم .
(٢) سبق تخريجه .

□ الكبيرة العاشرة □

الزنا

وبعضه أكبر من بعض . قال الله تعالى :

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (١) وقال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ (٢).

وقال الله تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣)

قال العلماء : هذا عذاب الزانية والزاني في الدنيا إذا كانا عزيين أى غير متزوجين فإن كانا متزوجين أو قد تزوجا ولو مرة في العمر فإنهما يرجمان بالحجارة إلى أن يموتا . كذلك ثبت في السنة عن النبي ﷺ فإن لم يستوف القصاص منهما في الدنيا وماتا من غير توبة فإنهما يعذبان في النار بسياط من نار .

كما ورد أن في الزبور مكتوبا : إن الزناة معلقون بفروجهم في النار يضربون عليها بسياط من حديد ، فإذا استغاث من الضرب نادته الزبانية أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحي منه ؟!

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يتهب نهباً ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم حين يتهبها وهو مؤمن » (٤).

(١) سورة الإسراء آية ٣٢ . (٢) سورة الفرقان آية ٦٨ : ٧٠ . (٣) سورة النور آية ٢ .
(٤) صحيح : رواه أحمد (٢٧٦/٢) والبخاري (٢٤٧٥ ، ٦٧٧٢ ، ٦٨١٠) ومسلم (٥٧) وأبو عوانة (١٩/١ ، ٢٠) وأبو داود (٤٦٨٩) والترمذي (٢٦٢٥) والنسائي (٣١٣/٨) وابن ماجه (٣٩٣٦) عن أبي هريرة .

وقال ﷺ : « إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان كالظلة على رأسه ثم إذا ألقه رجع إليه الإيمان » (١).

وقال ﷺ : « من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه » (٢) وفي الحديث النبوى قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر » (٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أى الذنب أعظم عند الله تعالى ؟ قال : « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » فقلت : إن ذلك لعظيم ، ثم أى ؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » . قلت : ثم أى ؟ قال : « أن تزنى بحليلة جارك » - يعنى روجة جارك .

فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ ﴾ (٤).

. فانظر رحمك الله كيف قرنا الزنا بزوجة الجار بالشرك بالله وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين .

وفى صحيح البخارى فى حديث منام النبى ﷺ الذى رواه سمرة بن جندب ، وفيه أنه ﷺ جاءه جبريل وميكائيل قال : « فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله

-
- (١) صحيح : رواه أبوداود (٤٦٩٠) والحاكم (٢٢/١) والبيهقي شعب (٤٩٧٩) عن أبي هريرة ، وصححه الشيخ فى «الصحيحة» (٥٠٩) وصحيح الجامع (٥٨٦) .
 (٢) ضعيف : رواه الحاكم (٢٢/١) والبيهقي شعب (٤٩٨١) وابن الجوزي فى ذم الهوى (ص ١٥٤) وضعفه الشيخ فى «الضعيفة» (١٢٧٤) والحديث عن أبي هريرة .
 (٣) صحيح : رواه مسلم (١٠٧) والنسائي (٨٦/٥) وابن منده (٦٢٠) عن أبي هريرة .
 (٤) رواه بهذا اللفظ أحمد (٣٨٠-٤٣١) والنسائي فى التفسير (٣٨٨) والسنن (٩٠/٧) وابن حبان (٤٤١٤) بإسناد صحيح ، ورواه البخاري (٤٤٧٧) (٦٨١١) (٧٥٢٠) ومسلم (٨٦) والترمذي (٣١٨٣) والنسائي (٩٠/٧) وتفسير (٣٨٩) وابن حبان (٤٤١٥) وأحمد (٤٣٤/١) من غير الآية .

للحافظ الذهبي

٥٥

واسع، فيه لغط وأصوات . قال : فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا - أى صاحوا من شدة حره - فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الزناة والزواني - يعنى من الرجال والنساء فهذا عذابهم إلى يوم القيامة^(١) . نسأل الله العفو والعافية .

وعن عطاء فى تفسير قول الله تعالى عن جهنم ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ قال أشد تلك الأبواب غما وحرا وكربا وأنتنها ريحا للزناة الذين ارتكبوا الزنا بعد العلم^(٢) . وعن مكحول الدمشقى قال : يجد أهل النار رائحة متنتة فيقولون ما وجدنا أنتن من هذه الرائحة ، فيقال لهم : هذه ريح فروج الزناة^(٣) . وقال ابن زيد أحد أئمة التفسير : إنه ليؤذى أهل النار ريح فروج الزناة^(٤) . وفى العشر الآيات التى كتبها الله لموسى عليه السلام : ولا تسرق ولا تزن فأحجب عنك وجهى ، إذا كان الخطاب لنيه موسى عليه السلام فكيف بغيره ؟!

وجاء عن النبى ﷺ : « إن إبليس يث جنوده فى الأرض ويقول لهم : أيكم أضل مسلما ألبسته التاج على رأسه ، فأعظمهم فتنة أقربهم إليه منزلة فيجئ إليه أحدهم فيقول له : لم أزل بفلان حتى طلق امرأته ، فيقول : ما صنعت شيئا سوف يتزوج غيرها ، ثم يجئ الآخر فيقول له لم أزل بفلان حتى ألقيت بينه وبين أخيه العداوة ، فيقول : ما صنعت شيئا سوف يصالحه ، ثم يجئ الآخر فيقول : لم أزل بفلان حتى زنى ، فيقول إبليس : نعم ما فعلت فيدنيه منه ويضع التاج على رأسه »^(٥) نعوذ بالله من شرور الشيطان وجنوده .

(١) صحيح : رواه البخاري (١٣٨٦، ٤٧، ٧٠) وابن حبان (٦٥٥) والطبراني في الكبير (٦٩٨٤، ٦٩٨٦، ٦٩٩٠) وأحمد (٩، ٨/٥) فى حديث طويل عن سمرة .
(٢) قال فى الدر (١٨٦/٤) : رواه أبو نعيم عن عطاء الخراساني قلت : ورواه من طريقه ابن الجوزي فى «ذم الهوى» (ص ١٥٧) ورواه ابن الجوزي (ص ١٥٧) من طريق أخرى عنه .
(٣) رواه ابن الجوزي فى «ذم الهوى» (ص ١٥٥، ١٥٦) عن مكحول رفعه وإسناده معضل .
(٤) رواه الخرائطي فى «مساوىء الأخلاق» (٤٧٥) عن علي مطولا .
(٥) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (١٢٨/٨) من طريق إبراهيم بن الأشعث ثنا فضيل بن عياض عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمى عن أبي موسى مرفوعا ، وإسناده ضعيف . ورواه مسلم وعبد بن حميد (١٠٣٣) وأحمد (٣/٣١٤) عن جابر بلفظ آخر غير هذا .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الإيمان سربال يسربله الله من يشاء ، فإذا زنى العبد نزع الله منه سربال الإيمان ، فإن تاب رده عليه »^(١) ، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « يا معشر المسلمين اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال ، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة ، فأما التي في الدنيا : فذهاب بهاء الوجه وقصر العمر ودوام الفقر ، وأما التي في الآخرة فسخط الله تبارك وتعالى ، وسوء الحساب والعذاب بالنار »^(٢) .
وعنه ﷺ أنه قال : « من مات مصرا على شرب الخمر سقاه الله تعالى من نهر الغوطه وهو نهر يجرى في النار من فروج المومسات »^(٣) يعنى الزانيات ، يجرى من فروجهن قيح وصيد في النار ، ثم يسقى ذلك لمن مات مصرا على شرب الخمر .

وقال رسول الله ﷺ : « ما من ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في فرج لا يحل له »^(٤) . وقال أيضا ﷺ : « في جهنم واد فيه حيات كل حية تخرن رقبة البعير تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها في جسمه سبعين سنة ، ثم يتهرى لحمه ، وإن في جهنم واديا اسمه جب الحزن فيه حيات وعقارب كل عقرب بقدر البغل لها سبعون شوكة في كل شوكة راوية سم ، ثم تضرب الزاني وتفرغ سمها في جسمه يجد مرارة وجمعها ألف سنة ، ثم يتهرى لحمه ويسيل من فرجه القيح والصيد »^(٥) .

(١) رواه البيهقي (٤٩٨١) وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص ١٥٤) وضعفه الشيخ في «الضعيفة» (١٢٧٤) و«ضعيف الجامع» (١٤٢١) .

(٢) حديث واه ، رواه ابن عدي (٣١٧/٦) والخرائطي في «المساوي» (٤٧٦) وابن حبان في «المجروحين» (٨٤/١) وأبو نعيم (١١١/٤) ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١: ٧/٣) وفي «ذم الهوى» (ص ١٥٥) والبيهقي في «الشعب» (٥٠٩١) عن طريق مسلمة بن علي الخشن عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة بن اليمان مرفوعا به ومسلمة واه جدا ، وقيل : منكر الحديث ، متروك .

(٣) ضعيف : رواه أحمد (٣٩٩/٤) وابن حبان (٥٣٤٦) والحاكم (١٤٦/٤) من طريق الفضيل بن ميسرة عن أبي حريز ، أن أبا بردة حدثه عن أبي موسى فذكره ولفظه «ثلاثة لا يدخلون الجنة» الحديث . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، وليس كما قالوا : فإن أبا حريز واسمه عبد الله بن الحسين الأرمي مختلف فيه ، ضعفه جماعة وحسن أحاديثه آخرون وقال الحافظ : صدوق يخطئ - أي ضعيف عند الأفراد ، وقد كان ، فقد قال ابن عدي : عامة مايرويه لا يتابعه أحد عليه . وراجع ضعيف الجامع (٢٥٩٧) .

(٤) مرسل ضعيف : رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص ١٥٤) من طريق ابن أبي الدنيا ، قال حدثنا عمار بن نصر قال حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مريم عن الهيثم بن مالك الطائي مرفوعا به وسنده مرسل فإن الهيثم تابعي ، وأبو بكر ضعيف . وراجع «الضعيفة» (١٥٨٠) .

(٥) ضعيف : رواه أحمد (١٩١/٤) وعزاه الهيثمي في «المجمع» (٣٩٢/١٠) للطبراني وأحمد وقال : وفيه جماعة وقد وثقوا . قلت : إسناده ضعيف ، ورواه ابن المبارك في «زوائد الزهد» (٣٣٦) ومن طريقه ابن أبي الدنيا في «وصف النار» (٣٧) موقوفا عن شفي بن مائع الأصبحي ، وفي إسناده ضعف والله أعلم .

للحافظ الذهبي

٥٧

وورد أيضا : « إن من زنى بامرأة كانت متزوجة كان عليها وعليه فى القبر نصف عذاب هذه الأمة ، فإذا كان يوم القيامة يحكم الله سبحانه وتعالى زوجها فى حسناتها هذا إن كان بغير علمه ، فإن علم وسكت حرم الله عليه الجنة لأن الله تعالى كتب على باب الجنة : أنت حرام على الديوث »^(١) . وهو الذى يعلم بالفاحشة فى أهله ويسكت ولا يغار .

ورد أيضا : « أن من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه ، فإن قبلها قرضت شفتاه فى النار ، فإن زنى بها نطقت فخذته وشهدت عليه يوم القيامة ، وقالت : أنا للحرام ركبت ، فينظر الله تعالى إليه بعين الغضب ، فيقع لحم وجهه فيكابر ، ويقول : ما فعلت فيشهد عليه لسانه فيقول : أنا بما لا يحل نطقت ، وتقول يدها : أنا للحرام تناولت ، وتقول عيناه : أنا للحرام نظرت ، وتقول رجلاه : أنا لما لا يحل مشيت ، ويقول فرجه : أنا فعلت ، ويقول الحافظ من الملائكة : وأنا سمعت ، ويقول الآخر : وأنا كتبت ، ويقول الله تعالى : وأنا اطلعت وسترته . ثم يقول الله تعالى : يا ملائكتي خذوه ومن عذابي أذيقوه ، فقد اشتد غضبي على من قل حياؤه منى ، وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل :

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٢)

وأعظم الزنا الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالمحارم وقد صحح الحاكم : « من وقع على ذات محرم فاقتلوه »^(٣) ، وعن البراء أن خاله بعثه رسول الله ﷺ إلى رجل عرس بامرأة أبيه أن يقتله ويخمس ماله^(٤) .

فنسأل الله المنان بفضله أن يغفر لنا ذنوبنا إنه جواد كريم .

(١)(٢) لم أعثر عليهما .

(٣) ضعيف - : رواه الطبراني فى « الأوسط » (٩٣٥٠) و « الكبير » (١١٥٦٥) والحاكم (٣٥٦/٤) والبيهقي (٢٣٧/٨) من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيب حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا به وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، وقال الذهبي : لا ! قلت : إبراهيم ضعيف وداود مختلف فيه ، والصواب كما قال علي بن المديني : روايته عن عكرمة ضعيفه . وهو عن عكرمة فالحديث ضعيف . والله أعلم .

(٤) صحيح : رواه أحمد (٢٩٢/٤ ، ٢٩٧) وأبو داود (٤٤٥٦) والنسائي (١٠٩/٦) والترمذي (١٣٧٣) وابن ماجه (٢٦٠٧) والدارمي (٢٢٤٥) وابن حبان (١٥١٦) والطبراني كبير (٣٤٠٤ ، ٣٤٠٥ ، ٣٤٠٦) والحاكم (١٩١/٢) والبيهقي (٢٠٨/٨) والخراطي (٥٦٦) .

□ الكبيرة الحادية عشرة □

اللواط

قد قص الله عز وجل علينا في كتابه العزيز قصة قوم لوط في غير موضع، من ذلك قول الله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ (١): أي من طين طبخ حتى صار كالآجر ﴿مَنْضُودٍ﴾ أي يتلو بعضه بعضا، ﴿مُسَوَّمَةٍ﴾ أي معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها إلا بإذنه، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ما هي من ظالمى هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حل بأولئك من العذاب.

ولهذا قال النبي ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط» (٢) ولعن من فعل فعلهم ثلاثا فقال: «لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط» (٣). وقال ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» (٤)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ينظر أعلى بناء في القرية فيلقى منه ثم يتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط.

(١) سورة هود آية ٨٣ .

(٢) رواه الآجري في «ذم اللواط» (١٢، ١٣) وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص ١٥٩) من طريق غنجار عن عمر بن الصبح عن مقاتل بن حيان عن الجارود العباسي عن جابر وعمر بن الصبح وصاع وقال الدارقطني: متروك.

ورواه أحمد (٣٨٢/٣) والترمذي (١٤٨٢) وابن ماجه (٢٥٦٣) والحاكم (٣٥٧/٤) وأبو يعلى (٣٦٣) والبيهقي في «الشعب» (٤٩٨٩) من طريق أخرى وحسنه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٠٧٧).

(٣) رواه أحمد (٣٠٩، ٣١٧/١) والخراطي في المساويج (٤٣٧) وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص ١٥٩) وله طرق يقوى بعضها بعضها عن ابن عباس. انظر صحيح الجامع (٥٨٩١).

(٤) رواه أحمد (٣٠٠/١) وأبو داود (٤٤٦٢) والترمذي (١٤٨١) وابن ماجه (٢٥٦١) والطبراني (١١٥٢٧، ١١٥٦٨) والبيهقي (٢٣٢/٨) والخراطي (٤٣٥) والآجري في «ذم اللواط» (٢٦، ٢٧) وصححه الشيخ في الإرواء (٢٣٥٠) عن ابن عباس.

= للحافظ الذهبي =

وأجمع المسلمون علي أن التلوط من الكبائر التي حرم الله تعالى، قال تعالى:

﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (١) أي مجاوزون من الحلال إلي الحرام.

وقال الله تعالى في آية أخرى مخبراً عن نبيه لوط عليه السلام:

﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ (٢)

وكان اسم قريتهم سدوم (٣)، وكان أهلها يعملون الخبائث التي ذكرها الله سبحانه في كتابه كانوا يأتون الذكران من العالمين في أدبارهم ويتضارطون في أنديتهم مع أشياء أخرى كانوا يعملونها من المنكرات.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: عشر خصال من أعمال قوم لوط - تصنيف الشعر، وحل الأزرار، ورمى البندق، والحذف بالخصي، واللعب بالحمام الطيارة، والصفير بالأصابع، وفرقة الأكعب، وإسبال الإزار، وحل أزر الأقبية، وإدمان شرب الخمر، وإتيان الذكور، وستريد عليها هذه الأمة مساحقة النساء النساء.

وجاء عن النبي صلی الله علیه وسلم أنه قال: «سحاق النساء بينهن زنا» (٤). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلی الله علیه وسلم: «أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في

(١) سورة الشعراء الآية ١٦٥-١٦٦.

(٢) سورة الأنبياء آية ٧٤

(٣) راوي هذا القول الآجري في «ذم اللواط» (٤) عن كعب.

وسدوم ثلاث قري يقال لها مجتمعة وهي بين المدينة والشام

(٤) رواه الآجري في «ذم اللواط» (٢٢) وابن عدي (٥/١٨٢٠) والطبراني كبير (٢٢/٦٣/١٥٣) والبيهقي شعب (٥٠٨٢) وأبو يعلى (٧٤٥٣) وابن الجوزي في ذم الهوي (ص ١٦١) من طرق عن عثمان بن عبد الرحمن الحراني عن عنبسه بن عبد الرحمن عن العلاء عن مكحول عن وائلة بن الأسقع مرفوعاً به.

وقال الهيثمي (٢٥٦/٦) رجاله ثقات!!

قلت: كيف يكون رجاله ثقات وفيه عثمان بن عبد الرحمن وهو وضاع وشيخه ضعيف؟!.

٦٠ = الكبائر =

سخط الله تعالى» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «المتشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، والذي يأتي البهيمة، والذي يأتي الذكر يعني اللواط».

وروي^(١): «أنه إذا ركب الذكر الذكر أهتز عرش الرحمن خوفا من غضب الله تعالى، وتكاد السماوات أن تقع علي الأرض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ قل هو الله أحد إلي آخرها حتي يسكن غضب الله عز وجل»^(٢).

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «سبعة لعنهم الله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ويقول ادخلوا النار مع الداخلين: الفاعل والمفعول به - يعني اللواط، وناكح البهيمة، وناكح الأم وابنتها، وناكح يده إلا أن يتوبوا»^(٣).

وروي أن قوما يحشرون يوم القيامة وأيديهم حبالي من الزنا كانوا يعبثون في الدنيا بمذاكيرهم. وروي أن من أعمال قوم لوط: اللعب بالنرد، والمسابقة بالحمام، والمهارشة بين الكلاب، والمناطحة بين الكباش، والمناقرة بالديوك، ودخول الحمام بدون مئزر، ونقص الكيل والميزان. ويل لمن فعلها.

وفي الأثر: من لعب بالحمام القلابة لم يمت حتي يذوق ألم الفقر. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن اللوطي إذا مات من غير توبة فإنه يمسح في قبره خنزيرا^(٤).

(١) ضعيف: رواه ابن عدي (٢٢٨/٦) والطبراني في الأوسط (٦٨٥٨) والبيهقي في الشعب (٥٠٠١) من طريق محمد بن سلام الخزاعي عن أبيه عن أبي هريرة، ومحمد مجهول الحال وأبوه مجهول العين.

(٢) جاء عن أنس وهو موضوع كما قال السيوطي في «ذيل اللآلي» ورواه ابن الجوزي في «ذم الهوي» (ص ١٦٠) عن عمر.

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٥٠٨٧) والحسن بن عرفة في جزءه (رقم ١٤) وابن الجوزي في «العلل» (١٠٤٦) وفي ذم الهوي (ص ١٦٧) عن أنس وقال: لا يصح، وضعفه الشيخ في الضعيفة (٣١٩).

(٤) رواه ابن الجوزي في الموضوعات (١١٣/٣) عن ابن عباس وقال: لا يصح ورواه البيهقي في الشعب (٥٠١٨) عن ابن سيرين موقوفا.

(٥) رواه أحمد (٢٩٧/١) والترمذي (١١٦٥) والطبراني (١٢٣١٧) والبيهقي (١٩٨/٧) والخرائطي (٤٦٤) عن ابن عباس وحسنه الشيخ الألباني.

= الحافظ الذهبي =

وقال عليه السلام: «لا ينظر الله إلى رجل أتى ذكراً أو امرأة في دبرها»^(٥)، وقال أبو سعيد الصعلوكي: سيكون في هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطيون، وهم علي ثلاثة أصناف: صنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث^(١).

والنظر بشهوة إلى المرأة والأمرد زنا، لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «زنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، وزنا اليد البطش، وزنا الرجل الخطي، وزنا الأذن الاستماع، والنفس تمني وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه»^(٢). ولأجل ذلك بالغ الصالحون في الإعراض عن المردان وعن النظر إليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم. قال الحسن بن ذكوان: لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صوراً كصور العذاري، فهم أشد فتنة من النساء^(٣). وقال بعض التابعين: ما أنا بأخوف علي الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الأمرد يقعد إليه. وكان يقال: لا يبيت رجل مع أمرد في مكان واحد^(٤). وحرّم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد في بيت أو حانوت أو حمام قياساً على المرأة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»^(٥). وفي المردان من يفوق النساء بحسنه، فالفتنة به أعظم، وأنه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن في حق النساء، ويتسهل في حقه من طريق الريبة والشر ما لا يتسهل في حق المرأة، فهو بالتحريم أولى. وأقاويل السلف في التنفير

(١) رواه البيهقي (٥٠١٩) والأجري في ذم اللواط وسنده ضعيف جداً.
 (٢) رواه أحمد (٤١١/٢) والطحاوي مشكل (٢٩٨/٣) وابن حبان (٤٤١٩) والبغوي (٧١٦) عن أبي هريرة بلفظ (العينان تزنيان) وسنده صحيح، ورواه أحمد (٣٧٩/٢) والبخاري ومسلم (٢٦٥٧) وأبو داود (٢١٥٣) والطحاوي (٢٩٨/٣) عنه بلفظ (إن الله كتب على ابن آدم) الحديث ورواه البخاري (٦٦١٢، ٦٢٤٣) ومسلم (٥٦٥٧) وأحمد (٢٧٦/٢) عن ابن عباس.
 (٣) رواه البيهقي شعب (٥٠١٤) وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص ٩١) وإسناده ضعيف.
 (٤) رواه البيهقي في الشعب (٥٠١٥) وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص ٩٢) عن النجيب السري.
 (٥) صحيح-: رواه عبد الرزاق (٣٤١/١١) والطحاوي معاني (١٥١/٤) والطيالسي (ص ٧) والطبراني في الصغير (٨٩/١) والشافعي في الرسالة (١٣١٥) والحميدي (٢٠/١) والخطيب تاريخ (١٨٧/٢) والترمذي (١٦٥) وابن ماجه (٢٣٦٣).
 وصححه الشيخ في صحيح الترمذي (١٧٥٨).

منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر وسموهم «الأئتان» لأنهم مستقذرون شرعا. وسواء في كل ما ذكرناه نظر المنسوب إلى الصلاح وغيره. ودخل سفيان الثوري الحمام فدخل عليه صبي حسن الوجه فقال: أخرجوه عني فأني أري مع كل امرأة شيطانا، وأري مع كل صبي حسن بضعة عشر شيطانا^(١).

وجاء رجل إلى الإمام أحمد رحمه الله ومعه صبي حسن فقال الإمام: ما هذا منك؟ قال: ابن أختي. قال: لا تجيء به إلينا مرة أخرى، ولا تمش معه في طريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوء^(٢).

وروي أن وفد عبد القيس لما قدموا علي النبي ﷺ كان فيهم أمرد حسن فأجلسه النبي ﷺ خلف ظهره وقال: «إنما كانت فتنة داود عليه السلام من النظر»^(٣) وأنشدوا شعرا:

| | |
|----------------------------|-------------------------------|
| كل الحوادث مبدؤها من النظر | ومعظم النار من مستصغر الشرر |
| والمرء مادام ذا عين بقلبها | في أعين الغير موقوف على الخطر |
| كم نظرة فعلت في قلب صاحبها | فعل السهام بلا قوس ولا وتر |
| يسر ناظره ماضر خاطره | لا مرحباً بسرور عاد بالضرر |

وكان يقال: النظر بريد الزنا، وفي الحديث: «النظر سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركه لله أورث الله قلبه حلاوة عبادة يجدها إلي يوم القيامة»^(٤).

(١) رواه البيهقي شعب (٥٠٢١) وابن الجوزي في ذم الهوى (ص ٩٤).
(٢) وقد عقد ابن الجوزي رحمه الله بابا في كتابه «ذم الهوى» في النهي عن النظر إلى المردان فراجع.

(٣) موضوع: رواه الديلمي عن الحسن عن سمرة. وقال ابن الصلاح لا أصل له. وقال الزركشي: منكر، فيه ضعفاء ومجاهيل وانقطاع، وقد استدل على بطلانه بقوله ﷺ: «أنبي أراكم من وراء ظهري».

راجع الموضوعات للسيوطي، وقد تكلمنا على عصمة داود عليه السلام في كتاب تلييس إبليس بتحقيقنا - طبعة دار العقيدة - .

(٤) رواه الحاكم (٣١٣/٤) والقضاعي (٢٩٢) عن حذيفة والطبراني عن ابن مسعود (١٠٣٦٢) والقضاعي (٢٩٣) عن ابن عمر وفيه ضعف واضطراب

□ فصل □

في عقوبة من أمكن من نفسه طائعا

عن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه وجد في بعض النواحي رجلا ينكح في دبره فاستشار أبو بكر الصحابة رضي الله عنهم في أمره فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن هذا ذنب لم يعمله إلا أمة واحدة قوم لوط، وقد أعلمنا الله تعالى بما صنع بهم، أرى أن يحرق بالنار. فكتب أبو بكر إليه أن احرقه بالنار فأحرقه خالد رضي الله عنه (١).

وقال علي رضي الله عنه : من أمكن من نفسه طائعا حتي ينكح ألقى الله عليه شهوة النساء وجعله شيطانا رجيمًا في قبره إلى يوم القيامة.

وأجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فهو لوطي مجرم.

ومما روي أن عيسى ابن مريم عليه السلام مر في سياحته على نار توقد على رجل فأخذ عيسى عليه السلام ماء ليطفئ عنه، فأثقلت النار صبيا وانقلب الرجل نارا فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك، وقال: يارب ردهما إلى حالهما في الدنيا لأسألهما عن خبرهما، فأحياهما الله تعالى فإذا هما رجل وصبي، فقال لهما عيسى عليه السلام: ما خبركما؟ فقال الرجل: ياروح الله إني كنت في الدنيا مبتلى بحب هذا الصبي فحملتني الشهوة أن فعلت به الفاحشة، فلما أن مت ومات الصبي صير نارا يحرقني مرة وأصير نارا أحرقه مرة فهذا عذابنا إلى يوم القيامة.

نعوذ بالله من عذاب الله ونسأله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى.

(١) روي هذه القصة الآجري في «ذم اللواط» (٢٩) والخرائطي (٤٤٦) والبيهقي (٢٣٢/٨) وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص ١٦٣) وإسناده مرسل.

□ فصل □

ويلتحق باللواط إتيان المرأة في دبرها مما حرمه الله تعالى ورسوله، قال الله عز وجل: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾^(١) أي كيف شئتم مقبلين ومدبرين في صمام واحد أي موضع واحد. وسبب نزول هذه الآية أن اليهود في زمن النبي ﷺ كانوا يقولون: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، فسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله هذه الآية تكذيباً لهم: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ مجيبة أو غير مجيبة غير أن ذلك في صمام واحد. أخرجه مسلم^(٢).

وفي رواية: «اتقوا الدبر والحيض»^(٣)، وقوله: «في صمام واحد أي في موضع واحد وهو الفرج لأنه موضع الحرث أي موضع مزرع الولد، وأما الدبر فإنه محل النجو وذلك خبيث مستقذر. وقد روي أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ملعون من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها»^(٤).

وروي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد»^(٥).

(١) سورة البقرة آية ٢٢٣ .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٤٥٢٨) ومسلم (١٤٣٥) وأبو داود (٢١٦٣) والترمذي (٢٩٧٨) وابن ماجه (١٩٢٥) والنسائي تفسير (٥٨) والحميدي (١٢٦٣) والطبراني (٢٣٤/٢) عن جابر .

(٣) رواه أحمد (٢٩٧/١) والطبري (٢٣٥/٢) وأبو يعلى (٢٧٣٦) والنسائي تفسير (٦٠) والطبراني (١٢٣١٧) وابن حبان (٤١٩٠) والخراطي (٤٦٥) والبيهقي (١٩٨/٧) عن ابن عباس وهو حديث حسن .

(٤) رواه أحمد (٤٤٤/٤، ٤٧٩) وأبو داود (٢١٦٢) الجزء الثاني فقط منه عن أبي هريرة وهو في صحيح الجامع (٥٨٨٩) .

(٥) رواه أحمد (٤٠٨/٢، ٤٨٦) وأبو داود (٣٩٠٤) والنسائي (٧٨/١) والترمذي (١٣٥) والدارمي (١١٣٦) وابن ماجه (٦٣٩) والطحاوي (٢٦/٢) وابن الجارود (١٠٧) من طرق عن حماد بن سلمة عن حكيم الأثرم عن أبي تيممة الهجيمي عن أبي هريرة .
وصححه الشيخ في الإرواء (٢٠٠٦) .

= للحافظ الذهبي = ٦٥ =

فمن جامع امرأة وهي حائض أو جامعها في دبرها فهو ملعون وداخل في هذا الوعيد الشديد، وكذا إذا أتى كاهنا. وهو المنجم ومن يدعي معرفة الشيء المسروق ويتكلم عن الأمور المغيبات فسأله عن شيء منها فصدقه.

وكثير من الجهال واقعون في هذه المعاصي، وذلك من قلة معرفتهم وسماعهم للعلم، ولذلك قال أبو الدرداء: كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامس فتهلك، وهو الذي لا يعلم ولا يتعلم ولا يستمع ولا يحب من يعمل ذلك.

ويجب على العبد أن يتوب إلى الله من جميع الذنوب والخطايا. ويسأل الله العفو عما مضى منه في جهله، والعافية فيما بقي من عمره. اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة إنك أرحم الراحمين.



□ الكبيرة الثانية عشرة □

الربا

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(٢) أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذي قد مسه الشيطان وصرعه ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك الذي أصابهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾.

أي حلالا فاستحلوا ما حرم الله، فإذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين. إلا أكلة الربا فإنهم يقومون ويسقطون كما يقوم المصروع، كلما قام صرع لأنهم لما أكلوا الربا الحرام في الدنيا أرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم يوم القيامة، فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا، ويريدون الإسراع مع الناس فلا يقدرّون.

وقال قتادة: إن أكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا، وذلك علم لأكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف^(٣). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لما أسري بي مررت بقوم بطونهم بين أيديهم، كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم، قد مالت بهم بطونهم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا. قال: فيقبلون مثل الإبل المنهزمة لا يسمعون ولا يعقلون، فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون، فيردونهم مقبلين ومدبرين. فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة». قال صلى الله عليه وسلم: «فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس»^(٤).

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٠.

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٥.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠٢/٢) وسند رجاله ثقات.

(٤) رواه البيهقي في «الدلائل» (٣٩٠، ٣٩٦) وابن جرير من طريق أبي محمد بن أسد الحماني عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد رفعه، وإسناده ضعيف جداً، أبو هارون هو عمارة بن جوين متروك.

== للحافظ الذهبي ==

وفي رواية قال: «لما عرج بي سمعت في السماء السابعة فوق رأسي رعدا وصواعق، ورأيت رجالا بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات وعقارب تري من ظاهر بطونهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء أكلة الربا»^(١).

وروي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه: إذا ظهر الزنا والربا في القرية أذن الله بهلاكها^(٢). وعن ابن عمر مرفوعا: «إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعيننة، وتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم»^(٣).

وقال عليه السلام: «ما ظهر في قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون، ولا ظهر في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت، وما بخس قوم الكيل والوزن إلا منعهم الله القطر»^(٤).

وجاء في حديث فيه طول: «إن أكل الربا يعذب من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة في النهر الأحمر الذي هو مثل الدم، ويلقم بالحجارة، وهو المال الحرام الذي جمعه في الدنيا يكلف المشقة فيه، ويلقم حجارة من نار كما أبتلع الحرام الذي جمعه في الدنيا. هذا العذاب له في البرزخ قبل يوم القيامة مع لعنة الله له». كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا»^(٥).

(١) رواه أحمد وسنده ضعيف.
 (٢) رواه أحمد (٣٩٣/١، ٣٩٤، ٤٠٢) وأبو داود (٣٣٣٣) والترمذي (١٢٠٦) وابن ماجه (٢٢٧٧) وأبو يعلى (٤٩٦٠) وابن حبان (٤٤١٠) عن ابن مسعود مرفوعا بلفظ «ما ظهر في قوم الزنا والربا» الحديث وحسنه الشيخ في «صحيح الجامع» (٥٦٣٤).
 رواه أبو يعلى والحاكم (٣٧/٢) والبيهقي شعب (٥٠٣٣) (٥١٤٣) وحسنه الشيخ أيضا.
 (٣) رواه أحمد (٤٢/٢، ٨٤) والطبراني كبير (١٣٥٨٣، ١٣٥٨٥) وأبو يعلى (٥٦٣٣) وأبو داود (٣٤٦٢) وأبو نعيم (٣١٣/١) والبيهقي شعب (٣٩٢٠) عن ابن عمر وصححه الشيخ في «صحيح الجامع» (٦٧٥).
 (٤) الحديث له شواهد كثيرة.
 (٥) قد سبق من حديث سمرة رواه البخاري وغيره.

وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون في صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلتهم على أكل الربا كما مسح أصحاب السبت حين تحيلوا على إخراج الحيتان التي نهاهم الله عن اصطياها يوم السبت، فحفروا لها حياضا تقع فيها يوم السبت فيأخذونها يوم الأحد. فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير. وهكذا الذين يتحيلون على الربا بأنواع الحيل فإن الله لا تخفى عليه حيل المحتالين. قال أيوب السختياني: يخادعون الله كما يخادعون صبياء، ولو أتوا الأمر عيانا كان أهون عليهم. وقال عليه السلام: «الربا سبعون بابا أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أرى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم»^(١) فصح أنه باب من أعظم أبواب الربا.

وعن أنس قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال: «الدرهم الذي يصيبه الرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية في الإسلام»^(٢)، وعنه عليه السلام قال: «الربا سبعون حوبا أهونها كوقع الرجل على أمه» وفي رواية: «أهونها كالذي ينكح أمه»^(٣) والحبوب: الإثم.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: الزائد والمستزيد في النار - يعني الآخذ والمعطى فيه سواء. نسأل الله العافية.

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٧٥) والحاكم (٣٧/٢) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٦١/٢) والبيهقي شعب (٥١٣١) عن ابن مسعود بلفظ: «الربا ثلاثة وسبعون بابا» وصححه الشيخ في الصحيح (٣٥٣٩) ورواه البيهقي (٥١٣٢) والعقيلي (٢٥٨/٢) وابن عدي (١٩١٣/٥) عن أبي هريرة بلفظ «الربا سبعون بابا» وراجع الصحيحة (١٨٧١) ولفظ المؤلف رواه البيهقي (٥١٣٣) والعقيلي (٢٥٧/٢) وابن عدي (١٩١٣/٥) ويتقوى بما سبق.

(٢) رواه البيهقي شعب (٥١٣٥) وابن عدي (١٥٤٨/٤) وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٧٥) وابن الجوزي في الموضوعات (٢٤٥/٢) عن أنس بلفظ «إن الرجل يصيب من الربا أعظم عند الله من الخطيئة» الحديث. ورواه أحمد (٢٢٥/٥) والطبراني (٢٧٠٣) الأوسط، والدارقطني (١٦/٣) عن عبد الله بن حنظلة بلفظ: «درهم من ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية»

وصححه الشيخ في الصحيحة (١٠٣٣) والصحيح (٣٣٧٥) ورواه البيهقي في الشعب (٥١٣٠) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢٣٤/١) عن ابن عباس نحوه.

(٣) رواه ابن ماجه (٢٢٧٤) والبيهقي شعب (٥١٣٤) عن أبي هريرة وصححه الشيخ في الصحيح (٣٥٤١).

== للحافظ الذهبي ==

فصل

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا كان لك على رجل دين فأهدى لك شيئاً فلا تأخذه فإنه ربا^(١).

وقال الحسن رحمه الله: إذا كان لك على رجل دين فما أكلت من بيته فهو سحت. وهذا من قوله عليه السلام: «كل قرض جر نفعا فهو ربا»^(٢).

وقال ابن مسعود أيضا: من شفع لرجل شفاعة فأهدى إليه هدية فهي سحت^(٣). وتصديقه من قوله عليه السلام: «من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا» أخرجه أبو داود^(٤).

فنسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.



(١) روي نحوه عبد الرزاق في مصنفه (١٤٦٥٤، ١٤٦٥٥) عن ابن عمر وسنده صحيح.
(٢) رواه البيهقي (٣٥٠ / ٥) عن فضالة بن عبيد موقوفا في سنده مجهول. ورواه البغوي مرفوعا عن علي بن أبي طالب وهو ضعيف راجع الأرواء (١٣٩٨).
ورواه البيهقي (٣٥٠ / ٥) عن ابن عباس نحوه وسنده صحيح وجاء عن أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس أنهم نهوا عن مرض جر منفعة، وسنده صحيح كما قال الشيخ في الإرواء (١٣٩٧).
(٣) رواه عبد الرزاق (١٤٦٦٤) والبيهقي (١٣٩ / ١٠).
(٤) رواه أحمد (٢٦١ / ٥) وأبو داود (٣٥٢٤) والطبراني كبير (٧٩٢٨، ٧٨٥٣) عن أبي أمامة وحسنه الشيخ في «صحيح الجامع» (٦٣١٦).

□ الكبيرة الثالثة عشرة □

أكل مال اليتيم وظلمه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (١) وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في المعراج: «إذا أنا برجال وقد وكل بهم رجال يفكون لحاهم، وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها بأفواههم وتخرج من أدبارهم. فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا» رواه مسلم (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث الله عز وجل قوما من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج أفواههم نارا» فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «ألم تر أن الله تعالى يقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾» (٤).

(١) سورة النساء آية ١٠ .

(٢) سورة الإسراء آية ٣٤ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٢٢١/٢) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم فقط.

قلت: رواه ابن جرير (٨٧٢٣) شاكر - من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد رفعه وإسناده ضعيف جدا وأبو هارون سبق الكلام عليه وأنه وضاع ومستم بالكدب، وقال ابن حبان: يروى عن أبي سعيد مالميس من حديثه، لا يحل كتابته حديثه إلا على جهة التعجب.

وأما عزو المؤلف الحديث لمسلم إنما هو سبق قلم أو خطأ من بعض النساخ.

(٤) رواه ابن حبان (٥٥٦٦) والطبراني وأبو يعلى (٧٤٠٣) من طريق يونس بن بكير حدثنا زياد بن المنذر عن نافع بن الحارث عن أبي هريرة رفعه وسنده ضعيف جداً، فإن زياد بن المنذر كذاب. وقول المؤلف: «عن أبي هريرة» خطأ.

= للحافظ الذهبي = ٧١ =

وقال السدي رحمه الله تعالى: يحشر أكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهيب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه كل من رآه يعرفه أنه أكل مال اليتيم^(١).

قال العلماء: فكل ولي ليتيم إذا كان فقيرا فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحه وتنمية ماله فلا بأس عليه، وما زاد على المعروف فسحت حرام لقول الله تعالى:

﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (٢).

وفي الأكل بالمعروف أربعة أقوال: (أحدها) أنه الأخذ على وجه القرض.

(والثاني) الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف.

(والثالث) أنه أخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملا.

(والرابع) أنه الأخذ عند الضرورة فإن أيسر قضاء وإن لم يوسر فهو في حل. وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزي في تفسيره^(٣).

وفي البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما^(٤).

(١) رواه ابن جرير (٨٧٢٢) شاكر - عن أسباط عنه.

(٢) سورة النساء آية ٦.

(٣) انظر زاد المسير (١٦/٢).

وقد روي البخاري في صحيحه (٤٥٧٥) عن عائشة في قوله (ومن كان غنيا فليستعفف) أنها نزلت في مال اليتيم إذا كان فقيرا أنه يأكل من مكان قيامه عليه بالمعروف.

وروى أحمد (١٨٦/٢، ٢١٥) أبو داود () والنسائي (١٣١/٢) وابن ماجه (٢٧١٨) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا سأل رسول الله ﷺ فقال: ليس لي مال، ولي يتيم. فقال: «كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبذر ولا متائل مالا ومن غير أن تقي مالك» أو قال: «تفدي مالك بماله» وهو حسن ومعنى غير متائل: أي غير جامع.

(٤) رواه أحمد (٣٣٣/٥) والبخاري (٥٣٠٤، ٦٠٠٥) وفي الأدب المفرد (١٣٥) وأبو داود (٥١٥٠) والترمذي (١٩١٨) والطبراني كبير (٢٩٠٥) وابن حبان (٤٦٠) عن سهل بن سعد.

وفي صحيح مسلم عنه ﷺ قال: «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة» وأشار بالسبابة والوسطى^(١).

كفالة اليتيم هي القيام بأموره والسعي في مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله إن كان له مال، وإن كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى، وقوله في الحديث: له أو لغيره - أي سواء كان اليتيم قرابة أو أجنبيا منه، فالقرابة مثل أن يكفله جده أو أخوه أو أمه أو عمه أو زوج أمه أو خاله أو غيره من أقاربه، والأجنبي من ليس بينه وبينه قرابة.

وقال رسول الله ﷺ: «من ضم يتيما من المسلمين إلي طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى أوجب الله له الجنة إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر»^(٢)، وقال ﷺ: «من مسح رأس يтим لا يمسحه إلا الله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة، ومن أحسن إلي يтим أو يتيمة عنده كنت أنا وهو هكذا في الجنة»^(٣).

وقال رجل لأبي الدرداء رضي الله عنه: أوصني بوصية. قال: ارحم اليتيم وادنه منك واطعمه من طعامك، فإني سمعت رسول الله ﷺ أتاه رجل يشتكي قسوة قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «إن أردت أن يلين قلبك فادن اليتيم منك وامسح رأسه واطعمه من طعامك، فإن ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك»^(٤).

(١) رواه مسلم (٢٩٨٣) وابن ماجه (٣٦٧٩) والبخاري في الأدب المفرد (١٣٧) عن أبي هريرة.
(٢) رواه البيهقي في الشعب (١١٠٣١) عن مالك بن عمرو القشيري والترمذي (١٩١٧) عن ابن عباس.

والطبراني في الأوسط (٥٣٤٥) عن عدي.

وكلها ضعيفة راجع ضعيف الجامع (٥٧٥٧)، (٥٦٩٣).

(٣) رواه أحمد (٢٥٠/٥، ٢٦٥) والطبراني كبير (٧٨٢١، ٧٩٢٩) والأوسط (٣١٨٦) والبيهقي شعب (١١٠٣٦) من طريق عبيد بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن أبي أمامة، وإسناده ضعيف، عبيد بن زحر وعلي بن يزيد ضعيفان.

(٤) رواه أحمد (٢٦٣/٢) والبيهقي شعب (١١٠٣٤) عن أبي هريرة والبيهقي شعب (١١٠٣٥) وأبو نعيم (٣١٤/١) عن أبي الدرداء، وصححه الشيخ في الصحيحة (٨٥٤) والصحيح (١٤١٠).

ومما حكي عن بعض السلف قال: كنت في بداية أمري مكبا على المعاصي وشرب الخمر، فظفرت يوما بصبي يتيم فقير فأخذته وأحسنت إليه وأطعمته وكسوته وأدخلته الحمام وأزلت شعته، وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر فبت ليلة بعد ذلك فرأيت في النوم أن القيامة قامت ودعيت إلى الحساب، وأمر بي إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصي، فسحبتني الزبانية ليمضوا بي إلى النار وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجرونني سحبا إلى النار، وإذا بذلك اليتيم قد اعترضني بالطريق، وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربي حتى أشفع له إلى ربي، فإنه قد أحسن إلى وأكرمني. فقالت الملائكة: إنا لم نؤمر بذلك، وإذا النداء من قبل الله تعالى يقول: خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه. قال: فاستيقظت وتبت إلى الله عزوجل، وبذلت جهدي في إيصال الرحمة إلى الأيتام. ولهذا قال أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء إليه، وأحب عباد الله إلى الله تعالى من اصطنع صنعا إلى يتيم أو أرملة»^(١). وروي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم، وكن للأرملة كالزوج الشقيق، واعلم كما تزرع كذا تحصد: معناه أنك كما تفعل كذلك يفعل معك، أي لا بد أن تموت ويقتي لك ولد يتيم أو امرأة أرملة^(٢). وقال داود عليه السلام في مناجاته: إلهي ما جزاء من أسعد اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك؟ قال: جزاؤه أن أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي. معناه ظل عرشي يوم القيامة.

(١) رواه البيهقي في الشعب (١١٠٣٨) عن أنس. والبيهقي شعب (١١٠٧٣) والعقيلي (٩٧/١) والطبراني كبير (٣/٢٠١) وابن عدي (١٧/١) وأبو نعيم (٣٣٧/٦) والقضاعي (١٢٤٩) عن عمر، وضعفه الشيخ في الضعيفة (١٦٣٦). ورواه ابن المبارك في الزهد (٦٥٤) وابن ماجه (٣٦٧٩) والبخاري في الأدب المفرد (١٣٧) وضعفه الشيخ في الضعيفة (١٦٣٧).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (١١٠٣٩) عن عبد الرحمن بن أبزي.

ومما جاء في فضل الإحسان إلى الأرملة واليتيم عن بعض العلويين - وكان نازلا ببلخ من بلاد العجم وله زوجة علوية وله منها بنات وكانوا في سعة ونعمة، فمات الزوج وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلّة، فخرجت بيناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء، واتفق خروجها في شدة البرد فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها في بعض المساجد المهجورة، ومضت تحتال لهم في القوت فمرت بجمعين: جمع عليه رجل مسلم وهو شيخ البلد، وجمع عليه رجل مجوسي وهو ضامن البلد، فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له، وقالت: أنا امرأة علوية ومعني بنات أيتام أدخلتكم بعض المساجد المهجورة، وأريد الليلة قوتهم. فقال لها: أقيمي عندي البينة أنك علوية شريفة. فقالت: أنا امرأة غريبة ما في البلد من يعرفني فأعرض عنها، فمضت من عنده منكسرة القلب فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسي فشرحت له حالها، وأخبرته أن معها بنات أيتام وهي امرأة شريفة غريبة، وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم. فقام وأرسل بعض نسائه، وأتوا بها وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام، وألبسهن أفخر اللباس وباتوا عنده في نعمة وكرامة. قال: فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت، وقد عقد اللواء على رأس النبي ﷺ، وإذا القصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان، فقال: يا رسول الله لمن هذا القصر؟ قال: لرجل مسلم موحد. فقال: يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد. فقال رسول الله ﷺ: أقم عندي البينة أنك مسلم موحد. قال: فسقي متحيرا فقال له ﷺ: لما قصدتك المرأة العلوية وبناتها قلت: أقيمي عندي البينة أنك علوية، فكذا أنت أقم عندي البينة أنك مسلم. فانتبه الرجل حزينا على رده المرأة خائبة، ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها حتى دل عليها أنها عند المجوسي، فأرسل إليه فأتاه فقال له: أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها. فقال: ما إلى هذا من سبيل وقد لحقني من بركاتهم ما لحقني. قال: خذ مني ألف دينار وسلمهن إلي، فقال: لا أفعل. فقال: لا بد منهن. فقال: الذي تريده أنت أنا أحق به والقصر الذي رأيته في منامك خلق

لى . أتدل على بالإسلام؟ فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية، ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك وقال لى رسول الله ﷺ : العلوية وبناتها عندك؟ قلت: نعم يا رسول الله . قال: القصر لك ولأهل دارك وأنت وأهل دارك من أهل الجنة خلقك الله مؤمنا فى الأزل، قال: فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله . فانظر رحمك الله إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا!

ولهذا ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الساعى على الأرملة والمساكين كالمجاهد فى سبيل الله». قال الراوى أحسبه قال: «وكالقائم لا يفتر والصائم لا يفطر»^(١)، والساعى عليهم هو القائم بأمورهم ومصالحهم ابتغاء وجه الله تعالى.

وفقنا الله لذلك بمنه وكرمه إنه جواد كريم رؤوف غفور رحيم.



(١) صحيح : رواه البخارى (٦٠٠٧) ومسلم (٢٩٨٢) والنسائى (٨٦/٥-٨٧) وابن ماجه (٢١٤٠) وابن حبان (٤٢٤٥) عن أبى هريرة.

□ الكبيرة الرابعة عشرة □

الكذب على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ

قال الله عز وجل:

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ (١).

قال الحسن: هم الذين يقولون: إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل. قال ابن الجوزي في تفسيره: وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفر ينقل عن الملة، ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله في تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض، وإنما الشأن في الكذب عليه فيما سوى ذلك.

وقال ﷺ: «من كذب علي بني له بيت في جهنم» (٢)، وقال ﷺ: «ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» (٣). وقال ﷺ: «من روى عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» (٤).

وقال ﷺ: «إن كذبا علي، ليس ككذب علي غيري. من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» (٥). وقال ﷺ: «من يقل عني مالم أقله فليتبوأ مقعده من النار» (٦). وقال ﷺ: «يطبع المؤمن على كل شيء إلا الخيانة والكذب» (٧)، نسأل الله التوفيق والعصمة إنه جواد كريم.



-
- (١) سورة الزمر آية ٦٠ .
 (٢) رواه أحمد (٤/٢٠١، ١٥٩) والطبراني كبير (١٧/٣٠٥/٨٤٣) وابن حبان (١٠٥٢) وسنده صحيح .
 (٣) حديث متواتر- قال الحافظ في «الفتح» رواه أكثر من مائة وعشرين نفسا، وقد ذكر الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» تحت رقم (٦٥١٩) ٦٣ نفسا .
 (٤) رواه مسلم في المقدمة (ص ٩) وابن حبان مجروحين والطيالسي (١/٣٨) وأحمد (٥/١٤) وابن ماجه (٣٩) عن سمرة .
 (٥) رواه البخاري (١٢٩١) ومسلم (٤) من حديث المغيرة بن شعبة .
 (٦) رواه البخاري (١٠٩) عن سلمة .
 (٧) رواه ابن عدي (١/٤٤) والبزار (١/٦٩) كشف، وأبو يعلى (٧١١) وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٤٧٤) والدارقطني في «العلل» (٤/٣٢٩) والبيهقي شعب (٤٤٦٩) وسنن (١٠/١٩٧) وابن الجوزي في «العلل» (١١٧٥) عن سعد، وضعفه الشيخ في «الضعيف» (٤٢٣١) ورواه ابن عدي (١/٤٤) والبيهقي شعب (٤٤٧١) عن ابن عمر وهو في ضعيف الجامع (٦٤٤٨).

□ الكبيرة الخامسة عشرة □

الفرار من الزحف

إذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة وإن بعدت، قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَإِنَّهُ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» (٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت:

﴿إِنْ يَكُن مِّنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ (٣).

فكتب الله عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين. ثم نزلت:

﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُن مِّنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُن مِّنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤).

فكتب أن لا يفر مائة من مائتين. رواه البخاري (٥).



(١) سورة الأنفال آية ١٦ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سورة الأنفال آية ٦٥ .

(٤) سورة الأنفال آية ٦٦ .

(٥) صحيح : رواه البخاري (٤٦٥٢، ٤٦٥٣).

□ الكبيرة السادسة عشرة □

غش الإمام الرعية وظلمه لهم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١). وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ (٢). وقال الله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٣)، وقال الله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٤).

وقال رسول الله ﷺ: «من غشنا فليس منا» (٥)، وقال ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة» (٦). وقال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» (٧). وقال رسول الله ﷺ: «أما راع غش رعيته فهو في النار» (٨)، وقال ﷺ: «من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه إلا حرم الله عليه الجنة». أخرجه البخاري. وفي لفظ: «يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة» (٩).

-
- (١) سورة الشورى آية ٤٢ .
 (٢) سورة إبراهيم آية ٤٢، ٤٣ .
 (٣) سورة الشعراء آية ٢٢٧ .
 (٤) سورة المائدة آية ٧٩ .
 (٥) صحيح : رواه أحمد (٢/٢٤٢، ٤١٧) ومسلم (١٠/١) وأبو عوانة (٥٧/١) وأبو داود (٣٤٥٥) والترمذي (١٣١٥) وابن ماجه (٢٢٢٤) عن أبي هريرة .
 (٦) صحيح : رواه البخاري (٩٢٤٤٧) ومسلم (٢٥٧٩) عن ابن عمر .
 (٧) صحيح : رواه البخاري (٢٥٥٤، ٥١٨٨) ومسلم (١٨٢٩) والترمذي (١٧٠٥) وابن حبان (٤٤٨٩، ٤٤٩٠) وأحمد (٢/٥٤، ٥٥) عن ابن عمر .
 (٨) رواه أحمد (٥/٢٠) ومسلم عن معقل بن يسار، وراجع الصحيحة (١٧٥٤) .
 (٩) صحيح : رواه البخاري (٧١٥٠، ٧١٥١) ومسلم (١٤٢) والطيالسي (٩٢٨) والطبراني (٢٠/٤٤٩، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧) وابن حبان (٤٤٩٥) وأحمد (٥/٢٥) عن معقل بن يسار .

== لحافظ الذهبي ==

وقال عليه السلام : «ما من حاكم يحكم بين الناس إلا حبس يوم القيامة وملك آخذ بقفاه، فإن قال: ألقه، ألقاه فهوى في جهنم أربعين خريفا». رواه الإمام أحمد^(١).
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ويل للأمرء، ويل للعرفاء، ويل للأمناء. ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذواتهم كانت معلقة بالثريا يعذبون ولم يكونوا عملوا من شيء»^(٢).

وقال عليه السلام : «ليأتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في ثمرة قط»^(٣)، وقال عليه السلام : «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه إما أطلقه عدله أو أوبقه جوره»^(٤).

ومن دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اللهم من ولي أمر هذه الأمة شيئا فرفق بهم فأرفق به. ومن شفق عليهم فأشفق عليه»^(٥). وقال عليه السلام : «من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره»^(٦).

(١) رواه أحمد (٤٣٠ / ١) والبيهقي (٧٥٣٣) شعب عن ابن مسعود وضعفه الشيخ في «الضعيف» (٥١٦٨).

(٢) رواه أحمد (٣٥٢ / ٢) والطيالسي (٢٦٠٨) والطبراني وأبو يعلى (٦١٨٩) والبغوي (٢٤٦٨) والحاكم (٩١ / ٤) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وإسناده حسن. عن أبي هريرة.

(٣) صحيح : رواه البيهقي في الشعب (٧٣٨٢) وأحمد (٤٣١ / ٢) والطبراني في الأوسط (٢٧٤)، (٦٢٢٥) عن أبي هريرة.

وقال الهيثمي (٢٠٥ / ٥) رواه الطبراني في الأوسط والبخاري ورجال رجال الصحيح.

ورواه أحمد (٣٢٧، ٣٢٣ / ٥) عن عبادة بن الصامت.

ورواه أحمد (٢٨٥، ٢٨٤ / ٥) عن سعد بن عبادة.

ورواه الطبراني الأوسط (٤٧٦٣) عن بريدة وفيه ضعف وجاء عن عائشة وغيرها، وهذه الأحاديث يقوي بعضها بعضا فيقوى الحديث ويصح إن شاء الله تعالى.

(٤) رواه الطيالسي (١٥٤٦) وأحمد (٧٥ / ٦) وابن أبي الدنيا في «الأشراف» (رقم ٩٢ والبيهقي (٩٦ / ١٠) وابن حبان (١٥٦٣) وأبو يعلى (٤٧٢٦) والطبراني الأوسط (٣٨٨٠) عن عائشة وضعفه الشيخ في الضعيف (٤٨٦٦) والضعيفة (١١٤٢).

(٥) رواه أحمد (٩٣ / ٦) ومسلم (١٨٢٨) وابن حبان (٥٥٣) والبغوي (٢٤٧١) عن عائشة.

(٦) رواه أبو داود (٢٩٤٨) والترمذي (١٣٣٢) (١٣٣٣) وأحمد (٢٣١ / ٤) والحاكم (٩٣ / ٤) والبيهقي شعب (٧٣٨٥) وسنن (١٠١ / ١٠) عن عمرو بن مرة وصححه الشيخ في الصحيح (٦٢٩) وصحيح الترمذي (١٠٧١).

وقال رسول الله ﷺ: «سيكون أمراء فسقة جورة، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولن يرد على الحوض»^(١). وقال رسول الله ﷺ: «صنفان من أمتي لن تنالهم شفاعتي: سلطان ظلوم غشوش، وغال في الدين يشهد عليهم ويتبرأ منهم»^(٢). وقال ﷺ: «أشد الناس عذابا يوم القيامة إمام جائر»^(٣). وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «أيها الناس مروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم، وقبل أن تستغفروا الله فلا يغفر لكم. إن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم، ثم عمهم بالبلاء»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(٥)، وقال أيضا: «ومن أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله صرفا ولا عدلا»^(٦) وفي الحديث أيضا: «من لا يرحم لا يرحم»^(٧)، «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»^(٨).

-
- (١) رواه أحمد (٣٨٤/٥) والبخاري (٢٩٣/٢، ٢٤٠) والطبراني أوسط (٨٤٩١) وقال الهيثمي (٢٤٧/٥) وأحد أسانيد البخاري رجاله رجال الصحيح ورجال أحمد كذلك.
- (٢) رواه الطبراني في الكبير (٨٠٧٩) وعزاه الشيخ الألباني لأبي إسحاق الحري في «غريب الحديث» (٢/١٢٠/٥) والجرحاني راجع الصحيحة (٤٧٠) وصحيح الجامع (٣٧٩٨) وقال الشيخ: حسن. عن أبي أمامة.
- (٣) حسن: رواه أبو يعلى (١٠٨٣) والطبراني أوسط (١٦١٨، ٤٦٣٣) والصغير (٢٣٧/١) وأبو نعيم (١١٤/١٠) عن أبي سعيد وصححه الشيخ في «صحيح الجامع» (١٠٠١).
- (٤) إسناده ضعيف: رواه الطبراني في «الأوسط» (١٣٨٩) عن ابن عمر - وقال الهيثمي (٢٦٦/٧) وفيه من لم أعرفهم.
- (٥) رواه أحمد (٢٤٠/٦، ٢٧٠) والبخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) وأبو عوانة (١٨/٤) وابن ماجه (١٤) وابن حبان (٢٧، ٢٦) عن عائشة.
- (٦) صحيح: رواه البخاري (١٨٧٠) ومسلم (١٣٧٠) وأبو داود (٣١٧٩) وأحمد (١٢٦/١) وابن حبان (٣٧١٧) عن علي بن أبي طالب.
- (٧) صحيح: رواه أحمد والبخاري (٥٩٩٧) ومسلم (٢٣١٨) والترمذي (١٩١١) وأبو داود (٥٢١٨) وابن حبان (٤٥٧) عن أبي هريرة.
- (٨) صحيح: رواه البخاري (٧٣٧٦) ومسلم (٢٣١٩) وأحمد (٣٦٢/٤) والحميدي (٨٠٣) عن جرير.

= للحافظ الذهبي =

وقال عليه السلام: «الإمام العادل يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»^(١). وقال: «المقسطون على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا»^(٢).

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال: «إياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب» رواه البخاري^(٣).

وقال عليه السلام: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: فذكر منهم الملك الكذاب»^(٤). وقال: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة» رواه البخاري^(٥) وفيه أيضاً: «وإنا والله لا نولي هذا العمل أحداً سألناه أو أحد حرص عليه»^(٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا كعب بن عجرة أعاذك الله من إمارة السفهاء، أمراء يكونون من بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي»^(٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة، ومن غلب جوره عدله فله النار»^(٨).

وقال: «ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة»^(٩).

(١) صحيح: ورد في حديث أبي هريرة ولفظه «سبعة يظلمهم الله» رواه البخاري (٦٦٠، ٦٨٠) ومسلم (١٠٣١) والترمذي (٢٣٩١) والنسائي (٢٢٢/٨) وأحمد (٤٣٩/٢) وابن حبان (٤٤٨٦).

(٢) رواه الحميدي (٥٨٨) وأحمد (١٦٠/٢) ومسلم (١٨٢٧) والنسائي (٩٢٢١/٨).

(٣) عن ابن عباس، لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن فقال: إنك ستأتي قوماً أهل الكتاب الحديث، رواه البخاري (١٤٥٨، ١٣٩٥) ومسلم (١٩) (١٣) وأبو داود (١٥٨٤) والترمذي (٦٢٥) والنسائي (٢١٥) وابن ماجه (١٧٨٣) وأحمد (٢٣٣/١).

(٤) رواه أحمد (٤٨٠/٢) ومسلم (١٠٧) عن أبي هريرة.

(٥) صحيح: رواه أحمد (٤٤٨/٢، ٤٧٦) والبخاري (٧١٤٨) وابن حبان (٤٤٨٢٠) والبيهقي (١٢٩/٣) والبخاري (٢٤٦٥) عن أبي هريرة.

(٦) صحيح: رواه البخاري (٧١٤٩) ومسلم (١٤٥٦/٣) وابن حبان (٤٤٨١) والبيهقي (١٠٠/١٠) والبخاري (٢٤٦٦) عن أبي موسى الأشعري.

(٧) رواه عبد الرزاق (٢٠٧١٩) وأحمد (٣٢١/٣) وابن حبان (٤٥١٤) والحاكم (٤٢٢/٤) وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قال، عن جابر.

(٨) رواه أبو داود (٣٥٧٥) وعنه البيهقي (٨٨/١٠) وإسناده ضعيف وضعفه الشيخ في «الضعيفة» (١١٨٣) وضعيف الجامع (٥٦٨٩).

(٩) سبق تخريجه

وقال عمر لأبي ذر رضي الله عنه: حدثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو ذر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يجاء بالوالي يوم القيامة فينبد به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه، فإن كان مطيعاً لله في عمله مضى به، وإن كان عاصياً لله في عمله انخرق به الجسر فهوى به في جهنم مقدار خمسين عاماً».

فقال عمر: من يطلب العلم بها يا أبا ذر؟ قال: من سلت لله أنفه وألصق خده بالتراب^(١).

وقال عمرو بن المهاجر، قال لي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم قل لي يا عمر ما تصنع.

يا راضياً باسم الظالم كم عليك من المظالم، السجن جهنم والحق الحاكم، ولا حجة لك فيما تخصم، القبر مهول فتذكر حبسك، والحساب طويل فخلص نفسك، والعمر كيوم فبادر شمسك، تفوح بمالك والكسب خبيث، وتمرح بآمالك والسير حثيث. إن الظلم لا يترك منه قدر أنملة. فإذا رأيت ظالماً قد سطا فتم له، فربما بات فأخذت جنبه من الليل أنملة أي قروح في الجسد.



(١) قال ابن المنذر في الترغيب (١٣٩/٣)، رواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة أن بشر بن عاصم الجشمي حدث عمر فذكره، وأن عمر سأل سلمان وأبا ذر فصدقاؤه.

□ الكبيرة السابعة عشرة □

الكبر

الكبر والفخر والخيلاء والعجب والته - قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (١). وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (٢).

وقال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يتبختر في مشيه إذا خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» (٣). وقال ﷺ: «يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطوهم الناس يغشاهم الذل من كل مكان» (٤)، وقال بعض السلف: أول ذنب عصي الله به الكبر. قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٥).

فمن استكبر على الحق لم ينفعه إيمانه كما فعل إبليس.

وعن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثال ذرة من كبر» رواه مسلم (٦)، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٧).

-
- (١) سورة غافر آية ٢٧ .
 (٢) سورة النحل آية ٢٣ .
 (٣) صحيح : رواه أحمد (٣١٥/٢، ٥٣١) والبخاري (٢٧٨٩) ومسلم (٢٠٨٨) عن أبي هريرة ورواه البخاري (٢٧٩٠) عن ابن عمر .
 (٤) حسن : رواه أحمد (٢٧٩/٢) والترمذي (٢٦٢٣) عن ابن عمرو وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٨٠٤٠) .
 (٥) سورة البقرة آية ٣٤ .
 (٦) صحيح : رواه مسلم (٩١) وأبو داود (٤٠٩١) والترمذي (١٩٩٨) وابن ماجه (٤١٧٣) وأحمد (٤١٢/١) وابن حبان (٢٢٤) والطبراني (١٠٠٠٠) عن ابن مسعود .
 (٧) سورة لقمان آية ١٨ .

وقال ﷺ : « قال الله تعالى: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما ألقيته في النار » رواه مسلم^(١). المنازعة: المجاذبة.

وقال ﷺ : « اختصمت الجنة والنار، فقالت: الجنة: مالي ولا يدخلني إلا ضعفاء النفوس وسقطتهم؟ وقالت النار: أوثرت بالجبارين والمتكبرين » الحديث^(٢)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٣). أي لا تمل خدك معرضا متكبرا والمرح التبختر.

وقال سلمة بن الأكوع: « أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشماله، قال: كل بيمينك. قال: لا أستطيع، فقال: لا استطعت ما منعه إلا الكبر، فما رفعها إلى فيه بعد » رواه مسلم^(٤). وقال ﷺ : « ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواز مستكبر »^(٥) العتل: الغليظ الجافي، والجواز: الجموع المنوع، وقيل: الضخم المختال. في مشيته، وقيل: البطين.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من رجل يختال في مشيته ويتعظم في نفسه إلا لقي الله وهو عليه غضبان »^(٦). وصح من حديث أبي هريرة: أول ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلط أي ظالم، وغني لا يؤدي الزكاة، وفقير فخور^(٧).

(١) رواه أحمد (٤٤٤/٢) ومسلم (٢٦٢٠) وأبو داود (٤٠٩٠) وابن ماجه (٤١٧٤) عن أبي هريرة.
(٢) صحيح : رواه البخاري (٤٨٤٨، ٤٨٤٩، ٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦) والترمذي (٢٦٨٦) عن أبي هريرة.
(٣) سورة لقمان آية ١٨ .
(٤) رواه أحمد (٤٥-٤٦) ومسلم (٢٠٢١) وابن حبان (٦٥١٣) والطبراني (٦٢٣٦).
(٥) صحيح : رواه أحمد (٣٠٦/٤) والبخاري (٤٩١٨) ومسلم (٢٨٥٣) والترمذي (٢٧٣٢) وابن ماجه (٤١١٦) من حديث حارثة بن وهب .
(٦) صحيح : رواه أحمد (١١٨/٢) والبخاري في الأدب (٥٤٩) والحاكم (٦٠/١) والخرائطي في المساوي (٥٧٧) وصححه الشيخ في الصحيحة (٢٢٧٢) وصحيح الجامع (٥٧١١).
(٧) إسناده ضعيف : رواه أحمد (٤٢٥/٢) والطيالسي (٢٥٦٧) والترمذي (١٦٤٢) وابن حبان (٤٣١٢) والحاكم (٣٨٧/١) والبيهقي (٨٢/٤) عن عامر العقيلي أن أباه أخبره أنه سمع أبا هريرة يرفعه . وعامر وأبوه لا يعرفان .

وفى صحيح البخارى عن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» (١) والمسبل هو الذى يسبل إزاره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون إلى قدميه لأنه ﷺ قال: «ما أسبل من الكعبيين من الإزار فهو فى النار» (٢).

وأشر الكبر الذى فيه من يتكبر على العباد بعلمه ويتعظم فى نفسه بفضيلته فإن هذا لم ينفعه علمه، فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه وخشع قلبه واستكانت نفسه، وكان على نفسه بالمرصاد فلا يفتر عنها بل يحاسبها كل وقت ويتفقدتها، فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته. ومن طلب العلم للفخر والرياسة ويطر على المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم، فهذا من أكبر الكبر، ولا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.



(١) صحيح : رواه أحمد (١٤٨/٥، ١٦٢) ومسلم (١٠٦) وأبو داود (٤٠٨٧) والترمذى (١٢١١)

والنسائى (٢٤٠ / ٧) عن أبى ذر.

(٢) صحيح : رواه البخارى (٥٧٨٧) عن أبى هريرة.

□ الكبيرة الثامنة عشرة □

شهادة الزور

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ الآية (١). وفي الأثر عدلت شهادة الزور الشرك بالله تعالى مرتين، وقال الله تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (٢).

وفي الحديث: «لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار» (٣). قال المصنف رحمه الله تعالى: شاهد الزور قد ارتكب عظام

(أحدها) الكذب والأقتراء، قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (٤).

وفي الحديث: «يطبع المؤمن على كل شيء ليس الخيانة والكذب» (٥).

(وثانيها) انه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه.

(وثالثها) انه ظلم الذي شهد له بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار، وقال ﷺ: «من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار» (٦).

(١) سورة الفرقان آية ٧٢.

(٢) سورة الحج آية ٣٠، والأثر جاء مرفوعاً عن خريم بن فاتك رواه أحمد (٣٢٢، ٣٢١/٤) وأبو داود (٣٥٩٩) وابن ماجه (٢٣٧٢) والطبراني في الكبير (٤١٦٢) وصححه الشيخ الألباني.

(٣) موضوع: رواه ابن ماجه (٢٣٧٣) والحاكم (٩٨/٤) والعقيلي عن ابن عمر وقال الشيخ الألباني في الضعيفة (١٢٥٩) والضعيف (٤٨٧١): موضوع.

(٤) سورة غافر آية ٢٨.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) صحيح: رواه البخاري (٢٦٨٠) ومسلم (١٧١٣).

(ورابعها) أنه أباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض.

قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراف بالله، وعقوق الوالدين،
ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور.... فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت» رواه
البخاري^(١).

فنسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل بلاء.



□ الكبيرة التاسعة عشرة □

شرب الخمر

قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (١).

فقد نهى عز وجل في هذه الآية عن الخمر وحذر منها ، وقال النبي ﷺ : «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث» (٢) فمن لم يجتنبها فقد عصي الله ورسوله واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله . قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (٣).

وعن ابن عباس رضيهما الله عنهما قال : لما نزل تحريم الخمر مشى الصحابة بعضهم إلى بعض وقالوا: حرمت الخمر وجعلت عدلا للشرك (٤).

وذهب عبد الله بن عمرو إلى أن الخمر أكبر الكبائر ، وهي بلا ريب أم الخبائث وقد لعن شاربها في غير حديث . وعن ابن عمرو رضيهما الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «كل مسكر خمر وكل خمر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات ولم يتب منها وهو مدمنها لم يشربها في الآخرة» رواه مسلم (٥).

(١) سورة المائدة آية ٩٠ .

(٢) أخرجه ابن حبان (٥٣٤٨) وابن أبي الدنيا في «ذم المسكر» (١) والبيهقي في «الشعب» (٥١٩٧) وابن الجوزي في «العلل» (١١٢٢) عن طريق ابن أبي الدنيا عن عثمان مرفوعا وجاء موقوفا وهو أصح . وأخرجه عبد الرزاق (١٧٠٦٠) والنسائي (٣١٥/٨) وابن أبي الدنيا في «ذم المسك» (٢) والبيهقي (٢٨٧/٨) والشعب (٥١٩٨) عن عثمان موقوفا ، قال الدارقطني : الموقوف هو الصواب ورواه الدارقطني (٢٤٧/٤) والقضاعي (٥٧) عن عبد الله بن عمرو ورواه الدارقطني (٢٤٧/٤) والطبراني (١١٣٧٢، ١١٤٩٨) عن ابن عباس .

(٣) سورة النساء آية ١٤ .

(٤) رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح . كما قال المنذري .

(٥) رواه مسلم (٢٠٠٣) وأبو داود (٣٦٧٩) الترمذي (١٨٦١) النسائي (٢٩٦/٨، ٢٩٧) الطحاوي (٢١٦/٤) والدارقطني (٢٤٨/٤) وابن حبان (٥٣٦٦) عن ابن عمر .

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن على الله عهدا لمن شرب المسكر أن يسقيه الله من طينة الخبال . قيل : يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النار أو عصارة أهل النار»^(١).

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من شرب الخمر في الدنيا يحرمها في الآخرة»^(٢).

ذكر أن مدمن الخمر كعابد وثن: رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «مدمن الخمر كعابد وثن»^(٣).

ذكر أن مدمن الخمر إذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة: روى النسائي من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر»^(٤) وفي رواية: «ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والديوث وهو الذي يقر السوء في أهله»^(٥).

ذكر أن السكران لا يقبل الله منه حسنة: روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يقبل لهم صلاة ولا ترفع لهم حسنة إلى السماء: العبد الأبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها، والسكران حتى يصحو»^(٦).

(١) رواه أحمد (٣٦١/٣) ومسلم (٢٠٠٢) والنسائي (٣٢٨/٨) وابن حبان (٥٣٦٠) عن جابر.
(٢) رواه مالك (٧٤٦/٢) وعبد الرزاق (١٧٠٥٧) والبخاري (٥٥٧٥) ومسلم (٢٠٠٣) والنسائي (٣١٨/٨) والبيهقي (٢٨٧/٨) وأحمد (١٩/٢) عن ابن عمر.
(٣) رواه ابن عدي (٢٢٩/٦) وابن حبان (٥٣٤٧) والبزار (٢٩٣٤) والطبراني (١٢٤٢٨) وأحمد (٢٧٢/١) وأبو نعيم (٢٥٣/٩) والبيهقي شعب (٥٢٠٨) وابن الجوزي في العلل (١١١٨) وسنده ضعيف وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (٥٧٣٧).
(٤) رواه النسائي (٢١٨/٨) والطيالسي (ص ٣٠٣) وابن خزيمة توحيد (٨٦٥/٢) وأحمد (٢٠١/٢) والطحاوي مشكل (٣٩٥/١) عن ابن عمرو وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٧٥٥٣).
(٥) رواه أحمد (١٢٨، ٦٩/٢) والحاكم (١٤٧/٤) والبيهقي (٢٨٨/٨) عن ابن عمر وهو صحيح صححه الشيخ في صحيح الجامع (٣٠٥٢).
(٦) رواه ابن خزيمة (٩٤٠) وابن حبان (٥٣٥٥) والبيهقي (٣٨٩/١) وابن عدي (١٠٧٤/٣) وضعفه الشيخ في الضعيفة (١٠٧٥).

والخمر ما خامر العقل، أى غطاه، سواء كان رطباً أو يابساً أو مأكولاً أو مشروباً، وعن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يقبل الله لشارب الخمر صلاة مادام فى جسده شئ منها ». وفى رواية: « من شرب الخمر لم يقبل الله منه شيئاً، ومن سكر منها لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب ثم عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من مهل جهنم »^(١).

وقال رسول الله ﷺ: « من شرب الخمر ولم يسكر أعرض الله عنه أربعين ليلة، ومن شرب الخمر وسكر لم يقبل منه الله صرفاً ولا عدلاً أربعين ليلة، فإن مات فيها مات كعابد وثن، وكان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال. قيل: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار القيح والدم »^(٢).

وقال عبد الله بن أبى أوفى: من مات مدمناً للخمر مات كعابد اللات والعزى. قيل: أرايت مدمناً الخمر هو الذى لا يستفيق من شربها، قال: لا ولكن هو الذى يشربها إذا وجدها ولو بعد سنين.

□ فصل □

ذكر أن من شرب الخمر لا يكون مؤمناً حين يشربها: عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: « لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد ». أخرجه البخارى^(٣) وفى الحديث: « من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه »^(٤) وفيه من شرب الخمر ممسياً أصبح مشركاً، ومن شربها مصباحاً أمسى مشركاً. وفيه عن النبى ﷺ أنه قال: « إن رائحة الجنة لتوجد من مسيرة

(١) الرواية الأولى رواه عبد بن حميد فى المنتخب (٩٨٣) وإسناده ضعيف وذكره السيوطى فى اللآلى (٢٠٥/٢). الرواية الثانية: أخرجه أحمد (١٧٨/٢) والحاكم (١٤٦/٤) والبيهقى سنن (٤٨٩/١) والشعب (٥١٩٢) عن عبد الله بن عمرو وهو حديث حسن.

(٢) روى نحوه النسائى (٣١٧/٨) وابن ماجه (٣٣٧٧) وابن حبان (٥٣٣٣) وأحمد (١٨٩/٢) والحاكم (١٤٥/٤) والبيهقى شعب (٥١٩٢) عن ابن عمرو وصححه الشيخ فى صحيح الجامع (٦١٨٩) من غير لفظه « فإن مات فيها مات كعابد وثن » وقد سبق الكلام عليها.

(٣)، (٤) سبق تخريجهما.

للحافظ الذهبي

٩١

خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا عابد وثن»^(١)

وروى الإمام أحمد من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم، ومن مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو ماء يجرى من فروج المومسات - أي الزانيات - يؤذى أهل النار ريح فروعهن»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: « إن الله بعثنى رحمة وهدى للعالمين، بعثنى لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية، وأقسم ربى تعالى بعزته لا يشرب عبد من عبيدى جرعة من الخمر إلا سقيته مثلها من حميم جهنم، ولا يدعها عبد من عبادى من مخافتى إلا سقيته إياها فى حظائر القدس مع خير الندماء»^(٣).

□ فصل □

ذكر من لعن فى الخمر: روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقبها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها»^(٤).

ورواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أتانى جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه وساقبها ومستقيها»^(٥).

(١) قال المنذرى: رواه الطبرانى فى الصغير من حديث أبى هريرة وأشار إلى تضعيفه: قلت: لم أعثر عليه فى الصغير وراجع الحديث فى الكبيرة العاشرة نحوه.

(٢) إسناده ضعيف: رواه أحمد (٣٩٩/٤) والحاكم (١٤٦/٤) وابن حبان (٥٣٤٦) وسنده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف: رواه أحمد (٢٥٧/٥، ٢٦٨) والطيالسى (١١٣٤) والحكيم الترمذى فى «المنهايات» (ص ٤٤، ٥٨) والعقلى (٢٥٥/٣) والطبرانى فى الكبير (٢٣٢/٨) ابن الجوزى فى العلل (٧٨٤/٢) وابن أبى الدنيا فى «ذم الملاحى» (ص ٧١) وسنده ضعيف.

(٤) رواه أحمد (٧١، ٢٥/٢) والطيالسى (١٩٥٧) وأبى داود (٣٦٧٤) وابن ماجه (٣٣٨٠) والطحاوى مشكل (٣٠٥/٤) والحاكم (١٤٤/٤) والبيهقى (٢٨٧/٨) عن ابن عمر وصححه الحاكم ووافقه الذهبى. وهو صحيح. وروى نحوه الترمذى (١٢٩٥) وابن ماجه (٣٣٨١) عن أنس.

(٥) رواه أحمد (٣١٦/١) والطبرانى (١٢٩٧٦) والحاكم (١٤٥/٤) وابن حبان (٥٣٥٦) وإسناده جيد.

□ فصل □

ذكر النهى عن عيادة شربة الخمر إذا مرضوا وكذلك لا يسلم عليهم: عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: (لا تعودوا شراب الخمر إذا مرضوا). قال البخاري، وقال ابن عمر: لا تسلموا على شربة الخمر^(١).

وقال عليه السلام: «لا تجالسوا شراب الخمر ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنازتهم، وإن شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسوداً وجهه، مدلجاً لسانه على صدره، يسيل لعابه يقدره كل من رآه وعرفه أنه شارب خمر»^(٢).

قال بعض العلماء: إنما ينهى عن عيادتهم لأن شارب الخمر فاسق ملعون، قد لعنه الله ورسوله كما تقدم في قوله: لعن الله الخمرور وشاربيها الحديث، فإن اشتراها وعصرها كان ملعوناً مرتين، وإن سقاها لغيره كان ملعوناً ثلاث مرات، فلذلك نهى عن عيادته والسلام عليه إلا أن يتوب فمن تاب تاب الله عليه.

□ فصل □

ذكر أن الخمر لا يحل التداوى بها: عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: اشتكت ابنة لى فبذت لها في كوز، فدخل عليها رسول الله وهو يغلى، فقال: «ما هذا يا أم سلمة؟» فذكرت له أنني أداوى به ابنتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها»^(٣).

ذكر أحاديث متفرقة رويت في الخمر: من ذلك ما ذكره أبو نعيم في «الحلية» عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم بنبيذ في جرة له نشيش فقال: «اضربوا بهذا

(١) علقه البخاري في كتاب الاستئذان باب السلام على المبتدع والعاص ووصله في الأدب المفرد.
(٢) رواه ابن عدي (٢/٢١٤) ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (٣/٤٢) وهو موضوع وقد ذكره السيوطي في اللآلي (٢/٢٠٥).

(٣) رواه الطبراني (٢٣/٧٤٩) والبيهقي (١٠/٥) وابن حزم (١/١٧٥) وابن حبان (١٣٩١) وأبو يعلى (١/٣٢٣) وله شاهد من حديث ابن مسعود وغيره وهو حسن إن شاء الله، وقد روى مسلم (٢/١٥٧٣ رقم ١٢) وأبو داود (٣٨٧٣) وأحمد (٤/٣١٧) والطبراني (٢٢/١٤/١٥) وابن ماجه (٣٥٠٠) والترمذي (٢٠٤٦) عن علقمة بن وائل عن أبيه مرفوعاً «أنها ليست الدواء ولكنها الداء»

= للحافظ الذهبي =

٩٣

الحائظ فإن هذا شرب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر»^(١).

وقال رسول الله ﷺ « من كان في صدره آية من كتاب الله وصب عليها الخمر سيجئ يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فيأخذ نصيبه حتى يوقفه بين يدي الله تبارك وتعالى فيخاصمه، ومن خاصم القرآن خصم. فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة»^(٢).

وجاء عن النبي ﷺ «ما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا إلا جمعهم الله في النار، فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون، فيقول أحدهم للآخر: يا فلان لا جزاك الله عنى خيرا فأنت الذي أوردتني هذا المورد، ويقول له الآخر مثل ذلك»^(٣)، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الأساودة شربة يتساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها، فإذا شربها تساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار، ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها شركاء في إثمها، لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوم ولا حجا حتى يتوبوا، فإن ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها في الدنيا من صديد جهنم، ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام»^(٤).

ويدخل في قوله ﷺ كل مسكر خمر: الحشيشة كما سيأتى الكلام عليها إن شاء الله تعالى. روى: «إن شربة الخمر إذا أتوا على الصراط يخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوها من الخمر شربة من نهر الخبال، فلو أن تلك الشربة تصب من السماء لأحرقت السماوات من حرها»^(٥) نعوذ بالله منها.

(١) رواه البيهقي (٣٠٣/٨) وأبو نعيم (٨٤/٦) وابن أبي الدنيا في «ذم المسكر» (١١) وسنده فيه جهالة - عن أبي موسى، وله شاهد من حديث عن أبي هريرة، رواه أبو داود (٣٧١٦) وابن ماجه (٣٤٠٩) عنه وفيه ضعف ولعله يقوى به إن شاء الله.
(٢)، (٣)، (٤)، (٥) لم أعثر عليهم وقد ذكرها ابن حجر الهيثمي في «الزواجر» (١٥٨/٢ - ١٥٩) بدون أكمة ولا خطم! والثالث ذكره السيوطي في اللآلي (٣٦٥/٢).

□ فصل □

ذكر الآثار عن السلف في الخمر : ذكر ابن مسعود رضي الله عنه قال : إذا مات شارب الخمر فادفنوه ، ثم اصليوه على خشبة ، ثم أنبشوا عنه قبره فإن لم تروا وجهه مصروفًا عن القبلة وإلا فاتركوه مصلوبًا . وعن الفضيل بن عياض أنه حضر عند تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها ، فكررها عليه فقال : لا أقولها وأنا برئ منها ، فخرج الفضيل من عنده يبكي ، ثم رآه بعد مدة في منامه وهو يسحب إلى النار ، فقال له يا مسكين بم نزعيت منك المعرفة ؟ فقال : يا أستاذ كان بي علة فأتيت بعض الأطباء فقال لي تشرب في كل سنة قدحا من الخمر وإن لم تفعل تبقى بك علتك ، فكنت أشربها في كل سنة لأجل التداوي ! فهذا حال من شربها للتداوي فكيف حال من يشربها لغير ذلك ؟ نسأل الله العفو والعافية من كل بلاء .

وسئل بعض التائبين عن سبب توبته فقال : كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتا مصروفين عن القبلة ، فسألت أهلهم عنهم : فقالوا كانوا يشربون الخمر في الدنيا وماتوا من غير توبة . وقال بعض الصالحين : مات لي ولد صغير ، فلما دفنته رأيته بعد موته في المنام وقد شاب رأسه . فقلت : يا ولدي دفتك وأنت صغير فما الذي شيبك ؟ فقال : يا أبتى إلى جانبي رجل ممن كان يشرب الخمر في الدنيا ، فزفرت جهنم لقدمه زفرة لم يبق منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها ، نعوذ بالله منها ، ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب في الآخرة .

فالواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى قبل أن يدركه الموت وهو على أشرف حالة ، فيلقى في النار ، نعوذ بالله منها .

□ فصل □

والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يحد شاربها ، كما يحد شارب الخمر وهي أخبث من الخمر ، من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث وديانة وغير ذلك من الفساد . والخمر أخبث من جهة أنها تفضي إلى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

== للحافظ الذهبي ==

٩٥

وقد توقف بعض العلماء المتأخرين في حدها ، ورأى أن أكلتها تعزر بما دون الحد حيث ظنها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاما ، وليس كذلك بل أكلتها يشون ويشتهونها كشراب الخمر وأكثر، حتى لا يصبروا عنها وتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثروا منها ، مع مافيهما من الديانة والتخنت وفساد المزاج والعقل وغير ذلك . لكن لما كانت جامدة مطعومة - ليست شرابا - تنازع العلماء في نجاستها على ثلاثة أقوال في مذهب الإمام أحمد وغيره ، فقليل : هي نجسة كالخمر المشروبة ، وهذا هو الاعتبار الصحيح وقيل : لا ، لجمودها ، وقيل : يفرق بين جامدها ومائعها ، وبكل حال : فهي داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظا ومعنى ، قال أبو موسى : يارسول الله أفنتا في شرايين كنا نصنعهما باليمن «البتع» وهو من العسل ينبذ حتى يشتد، و«المزر» وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد . قال : وكان رسول الله ﷺ قد أعطى جوامع الكلم بخواتمه ، فقال ﷺ : «كل مسكر حرام» رواه مسلم^(١) ، وقال ﷺ : «ما أسكر كثيره فقليله حرام»^(٢) ، ولم يفرق ﷺ بين نوع ونوع لكونه مأكولا أو مشروبا ، على أن الخمر قد يصطنع بها يعنى الخبز ، وهذه الحشيشة تذاب بالماء ، والخمر يشرب ويؤكل ، والحشيشة تشرب وتؤكل ، وإنما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضي وإنما حدثت في مجئ التتار إلى بلاد الإسلام وقد قيل في وصفها شعرا :

فأكلها وزراعها حلالا فتلك على الشقى مصيبتان

فوالله ما فرح إبليس بمثل فرحه بالحشيشة لأنه زينها للأنفاس الحسيسة فاستحلوها واسترخصوها .

قل لمن يأكل الحشيشة جهلا عشت في أكلها بأقبح عيشة
قيمة المرء جوهر فلماذا يا أبا الجهل بعته بحشيشة

(١) صحيح : رواه أحمد (٣/٣٦١) ومسلم (٢٠٠/٢) والنسائي (٨/٣٢٧) عن جابر ، ورواه البخاري (٥٥٧٥) ومسلم (٢٠٠/٣) وأبو داود (٣٦٧٩) والطحاوي (٤/٢١٦) والترمذي (١٨٦١) عن ابن عمر . ورواه البخاري (٦١٢٤) ومسلم (١٧٣٣) عن أبي بردة عن أبيه .
(٢) صحيح : رواه أحمد (٦/١٩٠) والبخاري (٥٥٨٥) ومسلم (٢٠٠/١) وأبو داود (٣٦٨٢) والترمذي (١٨٦٣) والنسائي (٨/٢٩٨) والدارقطني (٤/٢٥١) والطحاوي (٤/٢١٦) عن عائشة .

□ حكاية □

عن عبد الملك بن مروان: أن شابا جاء إليه باكيا حزينا فقال: يا أمير المؤمنين إني ارتكبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة؟ قال: وما ذنبك؟ قال: ذنبى عظيم. قال: وما هو فتب إلى الله تعالى فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. قال: يا أمير المؤمنين كنت أنبش القبور وكنت أرى فيها أمور عجيبة. قال: وما رأيت؟ قال: يا أمير المؤمنين نبشت ليلة قبراً فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه، وأردت الخروج وإذا أنا بقائل يقول فى القبر: ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة؟ فقلت: لماذا حول؟ قال: لأنه كان مستخفا بالصلاة. هذا جزاء مثله. ثم نبشت قبراً آخر فرأيت صاحبه قد حول خنزيرا وقد شد بالسلاسل والأغلال فى عنقه، فخفت منه وأردت الخروج وإذا بقائل يقول لى: ألا تسأل عن عمله، ولماذا يعذب؟ فقلت: لماذا؟ فقال: كان يشرب الخمر فى الدنيا ومات من غير توبة. والثالث يا أمير المؤمنين نبشت قبرا فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتار من نار وأخرج لسانه من قفاه، فخفت ورجعت، وأردت الخروج فنوديت: ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلى؟ فقلت: لماذا؟ فقال: كان لا يتحرز من البول، وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله. والرابع يا أمير المؤمنين نبشت قبرا فوجدت صاحبه قد اشتعل عليه نارا فخفت منه وأردت الخروج، فقليل: ألا تسأل عنه وعن حاله؟ فقلت: وما حاله؟ فقال: كان تاركا للصلاة. والخامس يا أمير المؤمنين نبشت قبرا فرأيته قد وسع على الميت مد البصر وفيه نور ساطع، والميت نائم على سرير، وقد أشرق نوره، وعليه ثياب حسنة، فأخذتنى منه هيبة، وأردت الخروج فقليل لى: هلا تسأل عن حاله لماذا أكرم بهذه الكرامة. فقلت: لماذا أكرم؟ فقليل لى: لأنه كان شابا طائعا نشأ فى طاعة الله عزوجل وعبادته. فقال عبد الملك عند ذلك: إن فى هذا لعبرة للعاصين وبشارة للطائعين. فالواجب على المبتلى بهذه المعائب المبادرة إلى التوبة والطاعة، جعلنا الله وإياكم من الطائعين، وجنبنا أفعال الفاسقين، إنه جواد كريم.



□ الكبيرة العشرون □

القمار

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (١)

والميسر هو القمار بأى نوع كان: نرد أو شطرنج أو فصوص أو كعاب أو جوز أو بيض أو حصى أو غيره، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذى نهى عنه الله بقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾، وداخل فى قول النبى ﷺ: «إن رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة» (٢)، وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لصاحبه: تعالى أقامرك فليتصدق» (٣)، فإذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة فما ظنك بالفعل؟!

□ فصل □

اختلف العلماء فى النرد والشطرنج إذا خليا عن رهن، اتفقوا على تحريم اللعب بالنرد لما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده فى لحم الخنزير ودمه» أخرجه مسلم (٤). وقاله ﷺ: «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله» (٥). وقال ابن عمر رضيهما: اللعب بالنرد قمار كالدهن بودك الخنزير.

(١) سورة المائدة آية ٩٠-٩١.
(٢) رواه البخاري (٣١١٨) عن خولة الأنصارية.
(٣) رواه البخاري (٤٨٦٠، ٦٣٠١) ومسلم (١٦٤٧) والترمذي (١٥٤٥) والنسائي (٧/٧) وأحمد (٣٠٩/٢) عن أبي هريرة.
(٤) رواه أحمد (٣٥٧، ٣٥٢/٥) ومسلم (٢٢٦٠) وأبو داود (٤٩٣٩) وابن ماجه (٣٧٦٣) وابن حبان (٥٨٧٤) عن بريدة.
(٥) رواه مالك (٩٥٨/٢) وأحمد (٣٧٩/٤) والبخاري فى «الأدب المفرد» (١٢٦٩) وأبو داود (٤٩٣٨) وابن ماجه (٣٧٦٢) والحاكم (٥٠/١) وابن حبان (٥٨٧٢) والبيهقي (٣١٥/١٠) عن أبي موسى وصححه الشيخ وقال: حسن فى الإرواء (٢٦٧٠) وصحيح الجامع (٦٥٢٩).

قال: أما الشطرنج فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها، سواء كان برهن أو بغيره. وأما بالرهن فهو قمار بلا خلاف، وأما الكلام إذا خلا عن الرهن فهو أيضا قمار حرام عند أكثر العلماء، وحكى إباحته في رواية عن الشافعي: إذا كان في خلوة ولم يشغل عن واجب ولا صلاة في وقتها. وسئل النووي رحمه الله عن اللعب بالشطرنج أحرام أم جائز؟ فأجاب رحمه الله تعالى: هو حرام عند أكثر أهل العلم. وسئل أيضا رحمه الله عن لعب الشطرنج هل يجوز أم لا، وهل يأنم اللاعب بها أم لا؟ فأجاب رحمه الله: إن فوت به صلاة عن وقتها أو لعب بها على عوض فهو حرام، وإلا فمكروه عند الشافعي، وحرام عند غيره، وهذا كلام النووي في فتاويه.

والدليل على تحريمه على قول الأكثرين في قول الله تعالى:

قال سفيان ووكيع بن

إلى قوله:

الجراح: هي الشطرنج، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الشطرنج ميسر الأعاجم. ومرت رضي الله عنه على قوم يلعبون بها فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ لأن يمس أحدكم جمرا حتى يطفئ خير له من أن يمسسها^(١). ثم قال: والله لغير هذا خلقتكم. وقال أيضا رضي الله عنه: صاحب الشطرنج أكذب الناس. يقول أحدهم: قتلت، وما قتل. ومات وما مات. وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: لا يلعب الشطرنج إلا خاطئ^(٢). وقيل لإسحاق بن راهويه: أترى في اللعب بالشطرنج بأس؟ فقال: البأس كله فيه. فقليل له: إن أهل الثغور يلعبون بها لأجل الحرب، فقال: هو فجور. وسئل محمد بن كعب القرظي عن اللعب بالشطرنج فقال: أدنى ما يكون فيها أن اللاعب بها أن يعرض يوم القيامة أو قال: يحشر يوم القيامة مع أصحاب الباطل. وسئل ابن عمر رضي الله عنهما عن الشطرنج فقال: هي أشر من النرد^(٣) وتقدم الكلام عن تحريمه.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (٣٩) ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٦٥١٨) والسنن (٢١٢/١٠) وإسناده ضعيف.

(٢) رواه البيهقي في السنن (٢١٢/١٠) وذكره في «الشعب» (٢٤١/٥).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (١٠٢) وذكره البيهقي في «الشعب» (٢٤١/٥) وسند ابن أبي الدنيا حسن.

وسئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله عن الشطرنج فقال: الشطرنج من النرد. بلغنا عن ابن عباس أنه ولى مالا لیتيم فوجدها فى تركة والد الیتيم فأحرقها^(١). ولو كان اللعب بها حلالا لما جاز له أن يحرقها لكونها مال الیتيم، ولكن لما كان اللعب بها حراما أحرقها فتكون من جنس الخمر إذا وجد فى مال الیتيم وجبت اراقته كذلك الشطرنج. وهذا مذهب حبر الأمة رضي الله عنه، وقيل لإبراهيم النخعي: ما تقول فى اللعب بالشطرنج؟ فقال: إنها ملعونة^(٢).

وروى أبو بكر الأثرم فى جامعه عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله قال: «إن لله فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة إلى خلقه ليس لصاحب الشاه فيها نصيب - يعنى لاعب الشطرنج - لأنه يقول شاه مات»^(٣)، وروى أبو بكر الأجرى بإسناده عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزام النرد والشطرنج وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم، فإنهم إذا اجتمعوا وأكبوا عليها جاءهم الشيطان بجنوده فأحرق بهم، كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان بجنوده، فلا يزالون يلعبون حتى يثفروا كالكلاب اجتمعت على جيفة فأكلت منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت، ولأنهم يكذبون عليها فيقولون: شاه مات»^(٤).

وروى عنه أنه قال: «أشد الناس عذابا يوم القيامة صاحب الشاه، يعنى صاحب الشطرنج، ألا تراه يقول: قتله، والله مات، والله افترى، وكذب على الله»^(٥).

وقال مجاهد: ما من ميت يموت إلا مثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم، فاحتضر رجل ممن كان يلعب الشطرنج فقبل له:

(١) رواه ابن أبي الدنيا فى «ذم الملامى» (١٠١) والبيهقى (٢١٢/١٠).
(٢) رواه ابن أبي الدنيا فى «ذم الملامى» (٩٥) والبيهقى (٢١٢/١٠) وفى «الشعب» (٦٥٢٠) و

(٣)، (٤)، (٥) بعد طول بحث - قال المنذرى فى الترغيب: وقد ورد ذكر الشطرنج فى أحاديث لا أعلم لشيء منها إسنادا صحيحا ولا حسنا والله أعلم.

١٠٠ الكبائر

قل: لا إله إلا الله فقال: شاهك ثم مات، فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته في اللعب، فقال عوض كلمة الأخلاص: شاهك.

وهذا كما جاء في إنسان آخر ممن كان يجالس شراب الخمر أنه حين حضره الموت فجاءه إنسان يلقيه الشهادة فقال له: اشرب واسقني ثم مات فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وهذا كما جاء في حديث مروي: «يموت كل إنسان على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه»^(١).

فنسأل الله المنان بفضله أن يتوفانا مسلمين لا مبدلين ولا مغيرين ولا ضالين ولا زائغين إنه جواد كريم.



(١) رواه أحمد (٣/٣٣١، ٣٦٦) ومسلم (٢٨٧٨) والطحاوي مشكل (٢٥٥) والحاكم (٤٥٢/٢) وابن حبان (٧٣١٩) عن جابر.

□ الكبيرة الحادية والعشرون □

قذف المحصنات

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١). وقال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلَدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢).

بين الله تعالى في الآية أن من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة أنه ملعون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم، وعليه في الدنيا الحد ثمانون جلدة وتسقط شهادته وإن كان عدلاً. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» (٣) فذكر منها قذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

والقذف أن يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة : يا زانية ، أو يا باغية ، أو يا قحبة . أو يقول لزوجها : يا زوج القحبة ، أو يقول لولدها : يا ولد الزانية أو يا ابن القحبة . أو يقول لبنتها : يا بنت الزانية ، أو يا بنت القحبة . فإن القحبة عبارة عن الزانية ، فإذا قال ذلك أحد من رجل أو امرأة لرجل أو لامرأة كمن قال لرجل يا زاني ، أو قال لصبي حر : يا علق (٤) ، أو يا منكوح ، وجب عليه الحد ثمانون جلدة ، إلا أن يقيم البينة بذلك ، والبينة كما قال الله تعالى : أربعة شهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة أو ذاك الرجل ، فإن لم يقم البينة جلد إذا طالبت

(١) سورة النور آية ٢٣، ٢٤ .

(٢) سورة النور آية ٤ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) كلمة علق ليست سباً لذاتها، وإنما كلمة طيبة وهى تعنى كما فى اللسان مادة-علق-الشيء النفيس، أو الثوب النفيس- ولكن العرف سيرها عيباً، فلا تقال، وإن قيلت فهى سب عرفاً ويحاسب عليها الرجل . والله أعلم .

بذلك التي قذفها أو إذا طالبه بذلك الذي قذفه ، وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريته بأن قال لمملوكه: يا زانى أو لجاريته يا زانية أو يا باغية أو يا قحبة ، لما ثبت فى الصحيحين عن رسول الله أنه قال : «من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال»^(١) . وكثير من الجهال واقعون فى هذا الكلام الفاحش الذى عليهم العقوبة فى الدنيا والآخرة ولهذا لما ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»^(٢) . فقال له معاذ بن جبل : يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال : «ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟»^(٣) وفى الحديث : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»^(٤) . وقال الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز:

^(٥) وقال عقبة بن عامر : يا رسول الله ما النجاة؟ قال : «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك وإن أبعد الناس إلى الله القلب القاسى»^(٦) .

وقال ﷺ : « إن أبغض الناس إلى الله الفاحش البذئ الذى يتكلم بالفحش وردى الكلام »^(٧) ، وقانا الله وإياكم شر ألسنتنا بمنه وكرمه إنه جواد كريم .

- (١) : رواه البخاري (٦٨٥٨) ومسلم (١٦٦٠) وأبو داود وأحمد (٤٣١/٢) عن أبي هريرة .
- (٢) : رواه البخاري (٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨) وأحمد (٣٧٨/٢) عن أبي هريرة .
- (٣) رواه عبد بن حميد (١١٢) وهناد فى «الزهد» (١٠٩٠) والترمذي (٢٦١٦) وابن ماجه (٣٩٧٣) وابن أبي الدنيا فى «الصمت» (٦) والحاكم (٤١٢/٢) والبيهقي شعب (٤٦٠٧) والسنن (٢٠/٩) .
- (٤) : رواه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧) وأحمد (٤٦٣/٢) وابن منده (٣٠٠) وابن حبان (٥٠٦) عن أبي هريرة .
- (٥) سورة ق آية ١٨ .
- (٦) رواه الترمذي (٢٤٠٦) وأحمد (١٤٨/٥، ١٤٩، ٢٥٩) وابن أبي الدنيا فى الصمت (٢) والطبراني (١٧/٢٧٠/٧٤٣) والبيهقي فى الشعب (٤٥٨٢) وفى الزهد (٢٣٦) وفى الأدب (٤٠٣) وأبو نعيم (٩/٢) .
- (٧) «(٨٩٠) و«الصحيح» (١٣٨٨) .
- (٧) ولكن ، ليس المؤمن بالطعان واللعان ولا الفاحش البذئ» رواه البخاري فى «الأدب المفرد» (٣١٢) والترمذي (٢٠٤٣) وأحمد (٤٠٥/١) والحاكم (١٢/١) عن ابن مسعود (٢٣٧) .

□ الكبيرة الثانية والعشرون □

الغلول من الغنمية

وهي من بيت المال ومن الزكاة. قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَائِسِينَ» (١)
وقال الله تعالى: «وَمَا كَانَ رَبِّكَ أَنْ يَخْلُقَ مَا يَخْلُقُ إِلَّا فِي قَدَرٍ مَعْلُومٍ» (٢)

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ، ثم قال : « لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رفاع يخفق ، فيقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت ، فيقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك » (٣) . أخرج هذا الحديث مسلم .

(قوله) : على رقبته رفاعه تخفق - أى ثياب وقماش ، (قوله) : على رقبته صامت - أى من ذهب أو فضة ، فمن أخذ شيئا من هذه الأنواع المذكورة من الغنمة قبل أن تقسم بين الغانمين ، أو عن بيت المال بغير إذن الإمام ، أو من الزكاة التي تجمع للفقراء جاء يوم القيامة حامله على رقبته ، كما ذكر الله تعالى في القرآن : « وَمَنْ يَخْلُقْ بِمَا خُلِّقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٤) .

(١) سورة الأنفال آية ٥٨ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٦١ .

(٣) رواه أحمد (٤٢٦/٢) والبخاري (٣٠٧٣) ومسلم (١٨٣١) وابن حبان (٤٨٤٨) والبيهقي (١٠١/٩) .

(٤) سورة آل عمران آية ١٦١ .

ولقول النبي ﷺ: «أدوا الخيط والمخيطة وإياكم والغلول فإنه عار على صاحبه يوم القيامة»^(١) ولقول النبي ﷺ لما استعمل ابن اللثبية على الصدقة وقدم، وقال: هذا لكم وهذا أهدي لي. فصعد النبي ﷺ المنبر وحمد الله وأثنى عليه إلى أن قال: «والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا جاء يوم القيامة يحمله، فلا أعرف رجلاً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاه تيعر، ثم رفع يده ﷺ فقال: اللهم هل بلغت؟»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر (ففتح علينا) فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً، غنمنا المتاع (الطعام) والثياب، ثم انطلقنا إلى الوادي (يعنى وادي القرى) ومع رسول الله ﷺ عبد وهبه له رجل من بني جذام (يدعى رفاعه بن يزيد من بني الضبيص)، فلما نزلنا (الوادي) قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله، فرمى بسهم فكان فيه حتفه، فقلنا: هنيئاً له بالشهادة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة لتلتهب عليه نارا، أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم». قال: ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين (فقال: أصبت يوم خير). فقال رسول الله ﷺ: «شراك أو شراكان من نار» متفق عليه^(٣).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كان على ثقل رسول الله ﷺ رجل يقال له كركرة فمات، فقال النبي ﷺ: «هو في النار» فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عبادة قد غلها^(٤).

وعن زيد بن خالد الجهني أن رجلاً غل في غزوة خيبر فامتنع النبي ﷺ من الصلاة عليه، وقال: «إن صاحبكم غل في سبيل الله». قال: ففتشنا متاعه فوجدنا فيه

(١) حسن: رواه أحمد (٣١٨/٥، ٣١٩) والترمذي (١٥٦١) والنسائي (١٣١/٧) وابن ماجه (٢٨٥٢) والطبري (١٥٦٥٥) وابن حبان (٤٨٥٥) والحاكم (١٣٦/٢) عن عبادة بن الصامت.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٥٩٧) ومسلم (١٨٣٢) عن أبي حميد الساعدي.

(٣) صحيح: رواه مالك (٤٥٩/٢) والبخاري (٤٢٣٤، ٦٠٧٧) ومسلم (١١٥) وأبو داود (٢٧١١) والنسائي (٢٤/٧) عن أبي هريرة.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٣٠٧٤) وأحمد (١٦٠/٢) عن ابن عمرو.

للحافظ الذهبي

١٠٥

خرزا من خرز اليهود ما يساوى درهمين^(١).

قال الإمام أحمد رحمه الله: ما نعلم أن النبي ﷺ امتنع عن الصلاة على أحد إلا الغال، وقاتل نفسه^(٢). وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «هدايا العمال غلول»^(٣). وفي الباب أحاديث كثيرة ويأتى بعضها فى باب الظلم، والظلم على ثلاثة أقسام: (أحدها) أكل المال بالباطل، (وثانيها): ظلم العباد بالقتل والضرب والكسر والجراح، (ثالثها): ظلم العباد بالشتم واللعن والسب والقذف. وقد خطب النبي ﷺ بمبنى فقال: «ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا» متفق عليه^(٤).

وقال ﷺ: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول»^(٥) فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.



(١) رواه أبو داود (٢٧١٠) والنسائي (٦٤/٤) وابن ماجه (٢٨٤٨) ومالك (٤٥٨/٢) والحميدي (٨١٥) وعبد الرزاق (٩٥٠١) وأحمد (١٩٢/٥) والطبراني (٥١٧٤، ٥١٧٥) وابن حبان (٤٨٥٣) عن خالد بن زيد الجهني وهو صحيح.

(٢) ورد أنه لم يصلي على من عليه دين - لكن ربما صلى عليه بعد ذلك لحديث أبي هريرة «أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل الميت عليه الدين فيسأل: هل عليه دين؟ أو هل ترك لدينه وفاء؟ فإن حدث أنه ترك وفاء صلى عليه وإلا قال: صلوا على صاحبكم، فلما فتح الله جل وعلا عليه الفتوح قال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فهو لورثته». رواه أحمد (٢٩٠/٢) مسلم (١٦١٩) والنسائي (٦٦/٤) وأبو داود (٢٩٥٥) وروى البخاري (٥٣٧١) نحوه.

(٣) رواه أحمد (٤٢٤/٥) وابن عدي (٣٠٠/١) والبيهقي (١٣٨/١٠) عن أبي هريرة وعبد الرزاق (١٤٦٦٥) والطبراني أوسط (٤٩٦٩) وابن عدي (٢٨٤/١) عن جابر وصححه الشيخ الألباني فى الإرواء (٢٦٢٢).

(٤) صحيح: رواه البخاري (١٧٤١، ١٠٥) ومسلم (١٦٧٩) وأبو داود (١٩٤٨) وابن ماجه (٢٣٣) وأحمد (٣٩، ٣٧/٥) عن أبي بكر.

(٥) رواه ابن أبي شيبة (٥/١) ومسلم (٢٢٤) وأبو عوانة (٢٣٥/١) والترمذي (١) وابن ماجه (٢٧٣) وأحمد (٣٩، ٢٠/٢) عن ابن عمر ورواه أحمد (٧٤/٥) وأبو داود (٥٩) والنسائي (٥٦/٥). وابن ماجه (٢٧١) والطبراني (٥٠٥) والطيالسي (١٣١٩) عن أسامة بن عمير.

□ الكبيرة الثالثة والعشرون □

السرقه

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا تَعَارَفَا فِي يَوْمٍ﴾
والله عزير حكيم (١).

قال ابن شهاب : نكل الله بالقطع فى سرقة أموال الناس ، والله عزيز فى إنتقامه من السارق ، حكيم فيما أوجبه من قطع يده .

وقال عليه السلام : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولكن التوبة معروضة » (٢) ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قطع فى مجن قيمته ثلاثة دراهم (٣) ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع يد السارق فى ربع دينار فصاعدا (٤) . وفى رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن » . قيل لعائشة رضي الله عنها : وما ثمن المجن ؟ قالت : ربع دينار (٥) . وفى رواية قال : « اقطعوا فى ربع دينار ولا تقطعوا فيما دون ذلك » (٦) (كان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم والدينار اثنى عشر درهما) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده » (٧) . قال الأعمش : كانوا يرون أنه بيض الحديد ، والحبل كانوا يرون أن منها ما يساوى ثمنه ثلاثة دراهم .

(١) سورة المائدة آية ٣٨ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) صحيح : رواه البخاري (٩٥، ٩٦، ٩٨) ومسلم (١٦٨٦) وأبو داود (٤٣٨٦) والنسائي (٧٧/٨) وابن ماجه (٢٥٨٤) وأحمد (٥٤/٢) .

(٤) صحيح : رواه البخاري (٦٧٨٩، ٦٧٩٠) ومسلم (١٦٨٤) وأبو داود (٤٣٨٤) والنسائي (٧٨/٨) .

(٥) صحيح : رواه البخاري (٦٧٩٢، ٦٧٩٣، ٦٧٩٤) ومسلم (١٦٨٥) .

(٦) رواية أحمد فى مسنده (٨٠/٦) .

(٧) صحيح : رواه البخاري (٦٧٨٣، ٦٧٩٩) ومسلم (١٦٨٧) والنسائي (٦٥/٨) وابن ماجه (٢٥٨٣) وابن حبان (٥٧٤٨) والبيهقي (٢٥٣/٨) عن أبى هريرة .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت مخزومية تستعير المتاع وتجحدته فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه فيها فكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أسامة لا أراك تشفع في حد من حدود الله تعالى» ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال: «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» فقطع يد المخزومية^(١).

وعن عبد الرحمن بن جرير قال: سألنا فضالة بن عبيد عن تعليق يد السارق في عنقه أمن السنة؟ قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطع يده ثم أمر بها فعلقت في عنقه^(٢). قال العلماء: ولا تنفع السارق توبته إلا أن يرد ما سرقه، فإن كان مفلساً تحلل من صاحب المال، والله أعلم.

(١) رواه البخاري (٦٧٨٨) ومسلم (١٦٨٨) والنسائي (٧٢-٧٣).
 (٢) رواه أبو داود (٤٤١١) والترمذي (١٤٤٧) والنسائي (٩٢/٨) وابن ماجه (٢٥٨٧) وضعفه الشيخ في الإرواء (٢٤٣٢) وضعيف أبي داود (٩٤٨).

□ الكبيرة الرابعة والعشرون □

قطع الطريق

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

قال الواحدى رحمه الله : معنى يحاربون الله ورسوله يعصونهما ولا يطيعونهما. كل من عصاك فهو محارب لك ، ويسعون فى الأرض فسادا أى بالقتل والسرقة وأخذ الأموال ، وكل من أخذ السلاح على المؤمنين فهو محارب لله ورسوله وهذا قول مالك والأوزاعى والشافعى . (قوله تعالى) : ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ إلى قوله ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ قال الوالى عن ابن عباس رضي الله عنهما (أو) أدخلت للتخيير ومعناها الإباحة ، إن شاء الإمام قتل ، وإن شاء صلب ، وإن شاء نفى ، وهذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد.

وقال فى رواية عطية أو ليست للإباحة ، إنما هى مرتبة للحكم باختلاف الجنايات فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب . ومن أخذ المال ولم يقتل قطع ، ومن سفك الدماء وكف عن الأموال قتل ، ومن أخاف السبيل ولم يقتل نفى من الأرض ، وهذا مذهب الشافعى رضي الله عنه.

وقال الشافعى أيضا : يحد كل واحد بقدر فعله . فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثا ثم ينزل ، ومن وجب عليه القتل دون الصلب قتل ودفع إلى أهله يدفونه ، ومن وجب عليه القطع دون القتل فقطعت يده اليمنى ثم حسمت ، فإن عاد وسرق ثانيا قطعت رجله اليسرى ، فإن عاد وسرق قطعت يده اليسرى ، لما روى عن النبى صلوات الله عليه قال فى السارق : «إن سرق فاقطعوا

== للحافظ الذهبي == ١٠٩ ==

يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله، ثم إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله^(١). ولأنه فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا مخالف لهما من الصحابة^(٢)، ووجه كونها اليسرى اتفاق من صار إلى قطع الرجل بعد اليد على أنها اليسرى وذلك معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ خَلَفَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَنْفُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾. قال ابن عباس: هو أن يهدر الإمام دمه فيقول من لقيه فليقتله، هذا فيمن يقدر عليه، فأما من قبض عليه فتنفيه من الأرض الحبس والسجن، لأنه إذا حبس ومنع من القلب في البلاد فقد نفى منها. أنشد ابن قتيبة لبعض المسجونين شعرا:

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا جاءنا السجن يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

قال: فبمجرد قطع الطريق وإخافة السبيل قد أرتكب الكبيرة فكيف إذا أخذ المال أو جرح أو قتل؟ فقد فعل عدة كبائر مع ما غالبهم عليه من ترك الصلاة وإنفاق ما يأخذونه في الخمر والزنا واللواط وغير ذلك. نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة، إنه جواد كريم غفور رحيم.



(١) رواه أبو داود (٤٤١٠) والنسائي (٩٠ / ٨) والبيهقي (٢٧٢ / ٨) عن جابر، وجاء عن أبي هريرة، والحاترث بن حويطب وغيرهم، وصححه الشيخ في الإرواء (٢٤٣٤).
(٢) اثر «أن أبا بكر وعمر»، رواه ابن أبي شيبة (٢ / ٦١ / ١١) والبيهقي (٢٧٣ / ٨). وقال الألباني في الإرواء (٢٤٣٩) صحيح.

□ الكسرة الخامسة والعشرون □

اليمين العنود

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَبْكِيهِمُ اللَّهُ وَلَا يُنْظَرُ إِلَيْهِمْ سَاعَةً إِلَّا بِمَا هُمْ كَاذِبُونَ﴾ (١)

قال الواحدى: نزلت فى رجلين اختصما إلى النبى ﷺ فى ضيعة ، فهم المدعى عليه أن يحلف ، فأنزل الله هذه الآية فنكل المدعى عليه عن اليمين وأقر للمدعى بحقه (٢) . وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : «من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان» . قال الأشعث: فى والله نزلت ، كان بينى وبين رجل يهودى أرض فجددنى ، فقدمته إلى النبى ﷺ ، فقال: ألك بينة؟ قلت : لا ، قال اليهودى: احلف . قلت يارسول الله إنه إذن يحلف فيذهب بمالى . فأنزل الله تعالى:

(٣) أى عرضا يسيرا من الدنيا وهو ما يحلفون عليه كاذبين

أى لا نصيب لهم فى الآخرة أى بكلام يسرهم

﴿ نظرا يسرهم ، يعنى نظر الرحمة ولا يزيدهم خيرا ولا يثنى عليهم ، وعن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان» . قال عبد الله : ثم قرأ نفلينا رسول الله ﷺ تصديقه من كتاب الله :

إلى آخر الآية أخرجه فى الصحيحين (٤) . وعن أبى أمامة قال: كنا عند رسول الله ﷺ ، فقال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم

(١) سورة آل عمران آية ٧٧ .

(٢) أخرجه بن جرير (٧٢٨٣) عن الشعبي .

(٣) صحيح : رواه البخاري (٢٥١٦، ٢٣٥٧) ومسلم (١٣٨) وابن ماجه (٢٣٢٣) .

(٤) صحيح : رواه البخاري (٧٤٤٥) ومسلم (١٣٨) .

عليه الجنة» فقال رجل: وإن كان يسيراً يا رسول الله؟ قال: «وإن كان قضيباً من أراك» أخرجه مسلم في صحيحه ^(١). قال حفص بن ميسرة: ما أشد هذا الحديث. فقال: أليس في كتاب الله تعالى:

وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم» فقرأ بها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال أبو ذر: خابوا وخسروا يا رسول الله من هم؟ قال: «المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» ^(٢) وقال ﷺ: «الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس» أخرجه البخاري في صحيحه ^(٣) والغموس هي التي يتعمد الكذب فيها، سميت غموساً لأنها تغمس الحالف في الإثم، وقيل تغمسه في النار.

□ فصل □

ومن ذلك الحلف بغير الله عز وجل كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والماء والحياة والأمانة، وهي من أشد ما هنا، والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان. عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن حلف فليحلف بالله أو ليصمت» ^(٤). وفي رواية في الصحيح: «فمن كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت» ^(٥). وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم» رواه مسلم ^(٦). الطواغي: جمع طاغية وهي الأصنام، ومنه الحديث: هذه طاغية دوس ^(٧) أي صنمهم ومعبودهم.

- (١) رواه مالك (٢٢٧/٢) ومسلم (١٣٧) وأحمد (٢٦٠/٥) والنسائي (٢٤٦/٨) وابن ماجه (٢٣٢٤) والطبراني (٧٩٦) والبيهقي (١٧٩/١٠).
- (٢) رواه أحمد (١٤٨/٥، ١٦٢) ومسلم (١٠٦) وأبو عوانة (٤٠/١) وأبو داود (٤٠٨٧) والترمذي (١٢١١) والنسائي (٢٤٥/٧).
- (٣) رواه البخاري (٦٦٧٥) عن ابن عمرو.
- (٤)، (٥) رواه البخاري (٣٨٣٦، ٦١٠٨، ٦٦٤٦، ٦٦٤٨) ومسلم (١٦٤٦) وأبو داود (٣٢٤٩) والترمذي (١٥٣٤) وأحمد (١٧، ١١/٢) عن ابن عمر.
- (٦) رواه مسلم (١٦٤٨).
- (٧) روي البخاري (٧١١٦) عن أبي هريرة مرفوعاً لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذى الخلصة، وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية.

وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حلف بالأمانة فليس منا » رواه أبو داود وغيره ^(١) ، وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حلف فقال إني بريء من الإسلام ، فإن كان كاذبا فهو كما قال ، وإن كان صادقا فلن يرجع إلى الإسلام سالما » ^(٢) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلا يقول : والكعبة ، فقال : لا تحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » . رواه الترمذي وحسنه ابن حبان في صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما ^(٣) .

قال : وفسر بعض العلماء قوله : « كفر أو أشرك » على التغليظ كما روى عن النبي ﷺ أنه قال : « الرياء شرك » . وقال ﷺ : « من حلف فقال في حلفه : واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله » ^(٤) ، وقد كان في الصحابة من هو حديث عهد بالحلف بها قبل إسلامه ، فربما سبق لسانه إلى الحلف بها فأمره النبي ﷺ أن يبادر بقول : لا إله إلا الله ليكفر بذلك ما سبق إلى لسانه ، وبالله التوفيق .



(١) رواه أحمد (٣٥٢/٥) وأبو داود (٣٢٥٣) وابن حبان (٤٣٦٣) والحاكم (٢٩٨/٤) وصححه الشيخ في «الصحيحة» (٩٤) وصحيح الجامع (٦٢٠٣) .

(٢) رواه أحمد (٣٥٦، ٣٣٥/٥) والنسائي (١٤٠/٢) وابن ماجه (٢١٠٠) وأبو داود (٣٢٥٨) والبيهقي (٣٠/١٠) عن بريدة ، وصححه الشيخ في الإرواء (٢٥٧٦) وصحيح الجامع (٦٤٢١) .

(٣) رواه أحمد (١٢٥/٢) وأبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) والطيالسي (١٨٩٦) وابن حبان (٤٣٥٨) والحاكم (٢٩٧/٤) والبيهقي (٢٩/١٠) عن ابن عمر وصححه الشيخ في «الصحيحة» (٢٠٤٢) وصحيح الجامع (٦٢٠٤) .

(٤) صحيح : رواه البخاري (٦١٠٧) ومسلم (١٦٤٧) عن أبي هريرة ، ورواه أحمد (١٨٣/١) وابن ماجه (٢٠٩٧) وأبو يعلى (٧٣٦، ٧١٩) وابن حبان (٤٣٦٤) عن سعد بن أبي وقاص .

□ الكبيرة السادسة والعشرون □

الظلم

بأكل أموال الناس، وأخذها ظلماً، وظلم الناس بالضرب والشتم والتعدي والاستطالة على الضعفاء.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مَقْنَعِي رِءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْثَدَتْهُمْ أَسْوَادُ السَّمَاءِ وَالنَّارُ دُونَهَا بِأَنَّهُمْ يَبْتَغُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَالًا يَدْعُونَ بِهِ نَجَاتَهُمْ وَيُرْسِلُونَ فِيهِ الرُّسُلَ أَيُّدِ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١) وقال الله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٢). وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾

وقال صلوات الله عليه: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». ثم قرأ رسول الله صلوات الله عليه: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (٣)

وقال صلوات الله عليه: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه» (٤).

وقال صلوات الله عليه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» (٥).

(١) سورة إبراهيم آية ٤٢، ٤٥.

(٢) سورة الشعراء آية ٢٢٧.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٦٨٦) ومسلم (٢٥٨٣) والترمذي (٣١١٠) وابن ماجه (٤٠١٨) وابن حبان (٥١٧٥) والطبراني (١٨٥٥٩) عن أبي موسى.

(٤) رواه البخاري (٢٤٤٩) والطيالسي (٢٣١٨) وأحمد (٤٣٥/٢، ٥٠٦) وابن حبان (٧٣٦١) عن أبي هريرة.

(٥) حديث قدسي رواه مسلم (٢٥٧٧) والبخاري أدب مفرد (٤٩٠) والطيالسي (٤٦٣) والترمذي (٢٤٩٥) وابن ماجه (٤٢٥٧) وأحمد (١٦٠/٥) عن أبي ذر.

وقال رسول الله ﷺ : « أتدرون من المفلس؟ » قالوا : يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : « إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج ، فيأتي وقد شتم هذا ، وأخذ مال هذا ، ونبش عن عرض هذا ، وضرب هذا ، وسفك دم هذا . فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فئت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار » . وهذه الأحاديث كلها في الصحيح ^(١) وتقدم حديث : « إن رجلا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » ^(٢) وتقدم قوله لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : « وائق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » ^(٣) . وفي الصحيح : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة » ^(٤) .

وفي بعض الكتب يقول الله تعالى : « اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصرا غيري » . وأنشد بعضهم .

وكان بعض السلف يقول : لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء ، وقال أبو هريرة رضي الله عنه : إن الجباري لتموت في وكرها هزالا من ظلم الظالم .

وقيل : مكتوب في التوراة : ينادى مناد من وراء جسر - يعني الصراط - يا معشر الجبابرة الطغاة ، ويا معشر المترفين الأشقياء إن الله يحلف بعزته وجلاله أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظالم .

(١) : رواه أحمد (٣٣٤، ٣٠٣/٢) ومسلم (٢٥٨١) والترمذي (٢٤١٨) وابن حبان (٤٤١١) والبيهقي (٩٣/٦) والبغوي (٤١٦٤) عن أبي هريرة .
(٢)، (٣)

(٤) صحيح : رواه أحمد (١٨٩، ١٨٨/١) والبخاري (٢٤٥٢) ومسلم (١٦١٠) والترمذي (١٤١٨) وأبو يعلى (٩٥٦) وابن حبان (٣١٩٥) والطبراني (٣٥٣، ٣٥٢) عن سعيد بن زيد - ورواه البخاري (٢٤٥٣) ومسلم (١٦١٢) عن عائشة .

عن جابر قال: لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح إلى رسول الله ﷺ قال: «ألا تخبروني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة؟» فقال فتية كانوا منهم: بلى يا رسول الله بينما نحن يوما جلوس إذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها. فلما قامت التفتت إليه ثم قالت: سوف تعلم يا غادر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون. سوف تعلم من أمرى وأمرك عنده غدا. قال: فقال رسول الله ﷺ: «صدقت كيف يقدر الله قوما لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم؟»^(١).

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «خمس غصب الله عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا وإلا أمر بهم في الآخرة إلى النار: أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم وزعيم قوم يطيعونه ولا يساوى بين القوى والضعيف ويتكلم بالهوى، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجرته، ورجل ظلم امرأة صداقها»^(٢).

وعن عبد الله بن سلام قال: إن الله تعالى لما خلق الخلق واستوا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم إلى السماء، وقالوا: يارب مع من أنت؟ قال: مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه. وعن وهب بن منبه قال: بنى جبار من الجبابرة قصرا وشيده،

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٠) وأبو يعلى (٢٠٠٣) وابن حبان (٥٠٥٨) عن جابر، وله شاهد من حديث بريدة، رواه البزار (١٥٩٦) والبيهقي (٩٥/٦) وفي الأسماء (ص ٤٠٤) ومن حديث ابن عباس، رواه الطبراني (١١٢٣٠)، ومن حديث أبي سفيان بن الحارث، ورواه الحاكم (٢٥٦/٣) والبيهقي (٩٣/١٠) ومن حديث أبي سعيد، رواه ابن أبي شيبة (٥٩٢/٦) وابن ماجه (٢٦٢٦) وأبو يعلى (١٠٩١) وغيرهم (٤٥٩٧، ٤٥٩٨).

(٢) ذكره ابن حجر الهيتمي في الزواج (١٢٢/٢) ولم يذكر عنه شيء قلده المؤلف، و

فجاءت عنجوز فقيرة فبنت إلى جانبه كوخا تأوى إليه ، فركب الجبار يوما وطاف حول القصر ، فرأى الكوخ فقال: لمن هذا؟ فقيل لامرأة فقيرة تأوى إليه فأمر به فهدم ، فجاءت العجوز فرأته مهدوماً فقالت: من هدمه؟ فقيل: الملك رآه فهدمه فرفعت العجوز رأسها إلى السماء ، وقالت: يارب إذا لم أكن أنا حاضرة فأين كنت أنت؟ قال: فأمر الله جبريل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه .

وقيل: لما حبس خالد بن برمك وولده قال: يا أبتى بعد العز صرنا في القيد والحبس . فقال: يا بني دعوة المظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها ، وكان يزيد بن حكيم يقول: ما هبت أحدا قط هيبتى رجلا ظلمته ، وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله يقول لى: حسبي الله والله بينى وبينك .

وحبس الرشيد أبا العتاهية فكتب إليه من السجن هذين البيتين شعرا:

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| وما زال المسىء هو المظلوم | أما والله إن الظلم شوم |
| غدا عند المليك من المعلوم | ستعلم يا ظلوم إذا ألتقينا |

وعن أبى أمامة قال: يجئ الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرفه ما ظلمه به ، فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات ، فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا إلى الدرك الأسفل من النار^(١) . وعن عبد الله بن أنيس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، أنا الملك الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة أو أحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة إلى أن أقصه حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحدا » . قلنا: يا رسول الله

(١) رواه الطبراني فى الأوسط (٥٩٧٦) مرفوعا عن أبى أمامة من طريق عمار بن طلوت محمد بن أبى عدى عن حسين المعلم عن أيوب عن الجهم بن فضالة به ، وقال الهيثمى (٣٥٤/١٠) رجاله وثقوا قلت: رواه ثقات غير الجهم فقد ذكره ابن أبى حاتم (٥٢١/٢) ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا غير أن قال: روى عنه ثقتان فالحديث حسن إن شاء الله .

للحافظ الذهبي

١١٧

كيف وإنما نأتى حفاة عراة: فقال: « بالحسنات والسيئات جزاء ولا يظلم ربك أحدا»^(١). وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة»^(٢). ومما ذكر أن كسرى اتخذ مؤدبا لولده يعلمه ويؤدبه حتى إذا بلغ الولد الغاية في الفضل والأدب استحضره المؤدب يوما وضربه ضربا شديدا من غير جرم ولا سبب، فحقق الولد على المعلم إلى أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له: ما حملك على أن ضربتني في يوم كذا وكذا ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب، فقال المعلم: اعلم أيها الملك لما بلغت الغاية في الفضل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد أهلك، فأردت أن أذيقك ألم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحدا، فقال: جزاك الله خيرا ثم أمر له بجائزة وصرفه. ومن الظلم أخذ مال اليتيم، وتقدم حديث معاذ بن جبل حين قال له رسول الله ﷺ: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»^(٣).

وفى رواية أن دعاء المظلوم يرفع فوق الغمام ويقول الرب تبارك وتعالى: «وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين»^(٤). وأنشدوا شعرا:

| | |
|----------------------------|-------------------------|
| توق دعا المظلوم إن دعاءه | ليرفع فوق السحب ثم يجاب |
| توق دعا من ليس بين دعائه | وبين إله العالمين حجاب |
| ولا تحسبن الله مطرحا له | ولا أنه يخفي عليه خطاب |
| فقد صح أن الله قال: وعزتي | لأنصر المظلوم وهو مثاب |
| فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه | جهول وإلا عقله فمصاب |

(١) ذكر البخاري طرفا منه في كتاب العلم باب الخروج في طلب العلم معلقا مجزوما به ووصله في الأدب المفرد (٩٧٠) وأحمد (٤٩٥/٣) والخرائطي في المساوي (٦٣٤) والحاكم (٤٣٧/٢) وصححه الشيخ في صحيح الأدب (٧٢٤).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (١٤٦٨) والبخاري في الأدب المفرد (١٨٥) عن أبي هريرة وصححه الشيخ في الصحيحة (٥٣٥٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه أحمد (٣٠٥/٢) والترمذي (٣٥٩٨) وابن ماجه (١٧٥٢) وابن حبان (٣٤٢٨) وابن خزيمة (١٩٠١) والخرائطي في المساوي (٦١٨) والبيهقي (٣٤٥/٣) والبعوي (١٣٩٥) وحسنه الألباني في الصحيحة (١٢١١) عن أبي هريرة.



ومن أعظم الظلم المماثلة بحق عليه مع قدرته على الوفاء لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله قال: «مطل الغنى ظلم»^(١) وفي رواية: «لى الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته»^(٢) أى يحل شكايته وحبسه.



ومن الظلم أن يظلم المرأة حقها من صداقها ونفقتها وكسوتها وهو داخل في قوله: «لى الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته»^(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رؤوس الخلائق هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه. قال: فتفرح المرأة ان يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ: . قال: فيغفر الله من حقه ما شاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئاً ، فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق : اتوا إلى حقوقكم . قال: فيقول الله تعالى للملائكة : خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذى حق حقه بقدر طلبته ، فإن كان وليا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها ، وإن كان عبدا شقيا ولم يفضل له شئ فتقول الملائكة : ربنا فنيت حسناته وبقي طالبوه ، فيقول الله : خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ، ثم صك له صكا إلى النار^(٤) . ويؤيد ذلك ما تقدم من قول النبي : «أتدرون من المفلس؟ فذكر أن المفلس من أمته من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتى

(١) رواه مالك (٦٧٤/٢) وأحمد (٢٧٩/٢) والبخاري (٢٢٨٧) ومسلم (١٥٦٤) وأبو داود (٣٣٤٥) والنسائي (٣١٧/٧) وابن حبان (٥٠٥٣) والطحاوي مشكل (٨/٤) عن أبي هريرة.
(٢) رواه أحمد (٢٢٢/٤) والنسائي (٣١٦/٧) وأبو داود (٣٦٢٨) وابن ماجه (٢٤٢٧) والطبراني (٧٢٤٩) والحاكم (١٠٢/٤). (١٤٣٤).

(٣) سبق تخريجه .

(٤) رواه ابن جرير (٤٢/١٨) وابن المبارك في «الزهد» (١٤١٦) وأبو نعيم (٢٠٢/٤).

وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا، فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار»^(١).



ومن الظلم أن يستأجر أجيرا أو إنسانا فى عمل ولا يعطيه أجرته لما ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله قال: «يقول الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطى بى ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجرته»^(٢). وكذلك إذا ظلم يهوديا أو نصرانيا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فهو داخل فى قوله تعالى: «أنا حجيجه» - أو قال: «أنا خصمه» - يوم القيامة. ومن ذلك أن يحلف على دين فى ذمته كاذبا فاجرا لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة. قيل: يا رسول الله وإن كان شيئا يسيرا؟ قال: وإن كان قضيا من أراك»^(٣).

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٢٢٢٧، ٢٢٧٠) عن أبي هريرة.

(٣) سبق تخريجه.

وقد روى أنه لا إكراه للعبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة ظلمه بها في الدنيا كما قال النبي ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلاحء من الشاة القرناء»^(١). وقال ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شئ فليتحلل منه اليوم من قبل أن يكون دينار ولا درهم. إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ثم طرح في النار»^(٢).

وروى عبد الله بن أبي الدنيا بسنده إلى أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: «أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تعنت لزوجها في الدنيا ويشهد على الرجل يده ورجله بما كان يولى زوجته من خير أو شر، ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك فما يوخذ منهم دوائق ولا قراريط ولكن حسنات هذا الظالم تدفع إلى هذا المظلوم، وسيئات هذا المظلوم تحمل على هذا الظالم، ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد فيقال سوقوهم إلى النار»^(٣).

وكان شريح القاضي يقول: سيعلم الظالمون حق من انتقصوا أن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر والثواب. وروى أنه إذا أراد الله بعبد خيرا سلط الله عليه من يظلمه، ودخل طاوس اليماني على هشام بن عبد الملك فقال له: اتق الله يوم الأذان، قال هشام: وما يوم الأذان؟ قال: قال الله تعالى: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٤). فصعق هشام. فقال طاوس: هذا ذل ذا الصفة فكيف بذل المعاينة؟ يا راضيا باسم الظالم كم عليك من المظالم؟ السجن جهنم، والحق الحاكم!

(١) رواه مسلم (٢٥٨٢) والبخاري أدب مفرد (١٨٣) والترمذي (٢٤٢٠) وابن حبان (٧٣٦٣) وأحمد (٣٢٣، ٢٣٥/٢) عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ضعيف جدا: رواه الطبراني كبير (٣٩٦٩) من طريق عبد الله بن عبد العزيز الليثي عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد عن أبي أيوب رفعه، قال في المجمع (٣٤٩/١٠) وفيه عبد الله بن عبد العزيز وهو ضعيف، وذكره الذهبي من أباطيل الليثي هذا.

(٤) سورة الأعراف آية ٤٤.

فصل

في الحذر من الدخول على الظلمة ومخالطتهم ومعونتهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(١) والركون هاهنا السكون إلى الشيء والميل إليه بالمحبة، قال ابن عباس رضي الله عنه: لا تميلوا كل الميل في المحبة ولين الكلام والمودة، وقال السدي وابن زيد: لا تداهنوا الظلمة. وقال عكرمة: هو أن يطيعهم ويؤيدهم، وقال أبو العالية: لا ترضوا بأعمالهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ فيضييكم لفحها ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾، وقال ابن عباس رضي الله عنه: مالكم من مانع يمنعكم من عذاب الله ﴿ثُمَّ لَا تَنْصَرُونَ﴾ لا تمنعون من عذابه، وقال الله تعالى: ﴿احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾^(٢) أي أشباههم وأمثالهم وأتباعهم. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيكون أمراء يغشاهم غواش أو حواش من الناس يظلمون ويكذبون، فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه»^(٣). وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من أعان ظالما سلط عليه»^(٤)، وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم الصالحة، وقال مكحول الدمشقي: ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم؟ فما يبقى أحد مد لهم حبرا أو حبر لهم دواة أو بري لهم قلما فما فوق ذلك إلا حضر معهم فيجمعون في تابوت من نار فيلقون في جهنم. وجاء رجل خياط إلى سفيان الثوري فقال: إنني رجل أخيط ثياب السلطان هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال سفيان: بل أنت من الظلمة أنفسهم، ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الأبرة والخيوط، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون»^(٥) الذين

(١) سورة هود آية ١١٣.

(٢) سورة الصافات آية ٢٢،

(٣) رواه أحمد (٢٤/٣) وابن حبان (٢٨٦) وأبو يعلى عن أبي سعيد. قال الهيثمي (٢٤٦/٥) فيه سليمان بن أبي سليمان القرشي ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) موضوع: رواه أبو حفص الكتاني في جزء حديثه (١٤١-١٤٢) وقال الشيخ في الضعيفة (١٩٣٧) والضعيف (٥٤٥٣) موضوع.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط (٦٦٣٥) وابن عدي (٢٦٧/٧) من طريق هشام بن عمار ثنا الوليد بن مسلم ثنا حماد بن سلمة ثنا أبو المهزم عن أبي هريرة، وأبو المهزم متروك وأسمه يزيد بن سفيان وقال ابن عدي: حديث غير محفوظ.

يكون معهم الأسواط يضربون بها الناس بين يدي الظلمة، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيامة . الجلاوزة: أعوان الظلمة .

وقد روى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن مر بنى إسرائيل أن لا يتلوا من ذكرى فإنى أذكر من ذكرنى ، وأن ذكرى إياهم أن ألعنهم ، وفى رواية: فإنى أذكر من ذكرنى منهم باللعنة . وجاء عن النبى أنه قال: « لا يقف أحدكم فى موقف يقتل فيه رجل ظلما فإن اللعنة تنزل على من حضر ذلك المكان إذا لم يدفعوا عنه »^(١) .

وروى عن رسول الله أنه قال : «أتى رجل فى قبره فقيل له : إنا ضاربوك مائة ضربة لم يزل يتشفع إليهم حتى صاروا إلى ضربة واحدة فضربوه، فالتهب القبر عليه نارا فقال : لم ضربتمونى هذه الضربة؟ فقالوا: إنك صليت صلاة بغير طهور ومررت برجل مظلوم فلم تنصره» فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع القدرة على نصره فكيف حال الظالم؟^(٢) .

وقد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله أنه قال: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما»، فقال: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوما فكيف أنصره إذا كان ظالما؟ قال: « تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره »^(٣) .

ومما حكى قال بعض العارفين : رأيت فى المنام رجلا ممن يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته بمدة فى حالة قيحة فقلت له : ما حالك؟ قال: شر حال ، فقلت: إلى أين صرت؟ قال: إلى عذاب الله . قلت : فما حال الظلمة عنده؟ قال: شر حال، أما

(١) رواه الطبراني (١١٦٧٥) من طريق مندل بن علي عن أسد بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس به، وقال الهيثمي (٢٨٤/٦) فيه أسد بن عطاء قال الأزدي مجهول ومندل وثقه أبو حاتم، وضعفه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات .

(٢) رواه الطبراني من حديث ابن عمر وفيه يحيى بن عبد الله بن الضحاك البابلتي وهو ضعيف . وعزاه المنذري فى الترغيب لأبي الشيخ فى التوبيخ وأشار إلى ضعفه ، قلت : ولم أعثر عليه فيه .

(٣) : رواه البخاري (٢٤٤٣، ٢٤٤٤) وأحمد (٩٩/٣) والترمذي (٢٢٨٢) عن أنس ، ورواه أحمد (٣٢٤/٣) ومسلم (٢٥٨٤) عن جابر .

سمعت قول الله عزوجل :

ومما حكى قال بعضهم: رأيت رجلا مقطوع اليد من الكتف وهو ينادى من رآنى فلا يظلمن أحدا فتقدمت إليه ، فقلت له : يا أخى ما قصتك؟ قال : يا أخى قصة عجيبة ، وذلك إنى كنت من أعوان الظلمة فرأيت يوما صيادا وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبته ، فجئت إليه فقلت : أعطنى هذه السمكة ، فقال : لا أعطيها أنا آخذ بثمرها قوتا لعيالى ، فضربته وأخذتها منه قهرا ومضيت بها .

قال : بينما أنا أمشى بها حاملها إذ عضت على إبهامى عضه قوية فلما جئت بها إلى بيتى وألقيتها من يدى ضربت على إبهامى وآلمتني ألما شديدا حتى لم أنم من شدة الوجع والألم وورمت يدى ، فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت له الألم ، فقال : هذه بدء الآكلة أقطعها وإلا تقطع يدك ، فقطعت إبهامى ثم ضربت على يدى فلم أطق النوم ولا القرار من شدة الألم ، فقل لي : أقطع كفك فقطعته ، وانتشر الألم إلى الساعد وآلمني ألما شديدا ، ولم أطق القرار ، وجعلت أسغيث من شدة الألم ، فقل لي : اقطعها إلى المرفق فقطعته ، فانتشر الألم إلى العضد وضربت على عضدى أشد من الألم الأول ، فقل لي : أقطع يدك من كتفك وإلا سرى إلى جسدك كله فقطعته . فقال لي بعض الناس : ما سبب ألمك؟ فذكرت قصة السمكة ، فقال لي : لو كنت رجعت فى أول ما أصابك الألم إلى صاحب السمكة واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضوا ، فاذهب الآن إليه وأطلب رضاه قبل أن يصل الألم إلى بدنك قال : فلم أزل أطلبه فى البلد حتى وجدته ، فوقعته على رجليه أقبلها وأبكى وقلت له : يا سيدى سألتك بالله ألا عفوت عني . فقال لي : ومن أنت؟ قلت : أنا الذى أخذت منك السمكة غصبا ، وذكرت ما جرى وأريته يدى فبكى حين رآها . ثم قال : يا أخى قد أحللتك منها لما قد رأيته بك من هذا البلاء ، فقلت : يا سيدى بالله هل كنت قد دعوت على لما أخذتها؟ قال : نعم . قلت : اللهم إن هذا تقوى على بقوته على ضعفى على ما رزقتنى ظلما فأرني قدرتك فيه . فقلت : يا سيدى قد أراك الله قدرته فى وأنا تائب إلى الله عزوجل عما كنت عليه من خدمة الظلمة ، ولا عدت أقف لهم على باب ، ولا أكون من أعوانهم ما دمت حيا . إن شاء الله ، وبالله التوفيق .

□ موعظة □

إخواني كم أخرج الموت نفساً من دارها لم يدارها، وكم أنزل أجساداً بجارها لم يجارها، وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها - شعر:

يا معرضاً بوصال عيش ناعم ستصد عنه طائعاً أو كارهاً
إن الحوادث تزعج الأحرار عن أوطانها والطير عن أوكارها

أين من ملك المغارب والمشارق؟ وعمر النواحي وغرس الحدائق؟ ونال الأمانى وركب العواتق؟^(١) صاح به من داره غراب بين ناعق؟، وطرقه فى لهوه أقطع طارق، وزجرت عليه رعود وصواعق، وحل به ما شيب بعض المفارق وقلاه الحبيب الذى لم يفارق، وهجره الصديق الرفيق الصادق، ونقل من جوار المخلوقين إلى جوار الخالق. نازله والله الموت فلم يحاشه^(٢)، وأذله بالقهر بعد عز جأشه^(٣)، وأبدله خشن التراب بعد لين فراشه، ومزقه الدود فى قبره كتمزيق قماشه، وبقي فى ضنك شديد من معاشه، وبعد عن الصديق فكأنه لم يماشه^(٤). ما نفعه والله الاحتراز^(٥)، ولا ردت عنه الركاز^(٦)، بل ضره من الزاد والإعواز، وصار والله عبرة للمجتاز^(٧)، وقطع شاسعا من السبل الأوفار^(٨)، وبقي رهينا لا يدرى أهلك أم فار. وهذا لك بعد أيام، وما أنت فيه الآن أحلام، ودنياك لا تصلح وما سمعت ستراه غدا على التمام، ويقع لى ولك، ويحك! أما يؤثر فيك هذا الكلام؟

-
- (١) أي البنات الشابات في أول شبابها.
(٢) فلم يتعد عنه.
(٣) قوته.
(٤) أي يمش معه.
(٥) التوقي والحذر.
(٦) الكنوز المدفونة.
(٧) من الجواز - أي يجتاز.
(٨) جمع مفازة أي الصحراء أو الأرض الواسعة.

□ الكبيرة السابعة والعشرون □

المكاس

وهو داخل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

والمكاس من أكبر أعوان الظلمة، بل هو من الظلمة أنفسهم. فإنه يأخذ ما لا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق، ولهذا قال النبي ﷺ: «المكاس لا يدخل الجنة». وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة صاحب مكس» رواه أبو داود (٢)، وما ذاك إلا لأنه يتقلد مظالم العباد. ومن أين للمكاس يوم القيامة أن يؤدي للناس ما أخذ منهم؟ إنما يأخذون من حسناته إن كانت له حسنات! وهو داخل في قول النبي ﷺ: «أتدرون من المفلس؟» قالوا يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال: «إن المفلس من أمتي من يأتي بصلاة وزكاة وصيام وحج، ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا، فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرح عليه ثم طرح في النار» (٣).

وفي حديث المرأة التي طهرت نفسها بالرجم: لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له أو لقبلت منه، والمكاس من فيه شبه من قاطع الطريق وهو من اللصوص. وجابى المكس وكاتبه وشاهده وآخذه من جندي وشيخ وصاحب رواية شركاء في الوزر أكلون للسحت والحرام، وصح أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت. النار أولى به» (٤) والسحت: كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار.

(١) سورة الشورى آية ٤٢.

(٢) رواه أحمد (١٤٣/٤، ١٥٠) وأبو داود (٢٩٣٧) والدارمي (١٦٧٣) وابن خزيمة (٢٣٣٣) وأبو يعلى (١٧٥٠) والطبراني (١٧/٣١٧/٨٧٨) وابن الجارود (٣٣٩) والحاكم (٤٠٤/١) عن عقبة بن عامر، وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (٦٣٤١) وضعيف أبي داود (٦٣١)، ولم أعثر عليه باللفظ الأول. والله أعلم.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه البيهقي في الشعب (٥٣٧٣، ٥٣٧٤) عن عقبة بن عامر وإسناده صحيح وسيأتي بلفظ أبي بكر قريبا.

وذكره الواحدي رحمه الله في تفسير قول الله تعالى :

(١) . وعن جابر أن رجلاً قال : يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتي ، وإنني جمعت من بيعها مالا ، فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى ؟ فقال رسول الله : «إن أنفقتَه في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة. إن الله لا يقبل إلا الطيب» ، فأنزل الله تعالى تصديقا لقول رسول الله : (٢) ، قال عطاء

والحسن : الحلال والحرام ، فنسأل الله العفو والعافية .



أين من حصن الحصون المشيدة واحترس؟ ، وعمر الحقائق فبالغ وغرس ، ونصب لنفسه سرير العز وجلوس ، وبلغ المنتهى ورأس الملتبس ، وظن في نفسه البقاء ولكن خاب الظن في النفس ، ازعجه والله هازم اللذات واختلس ، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس ، ووجه به إلى دار البلاء فانطمس ، وتركه في ظلام ظلمة من الجهل والدنس ، فالعاقل من أباد أيامه فإن العواقب في خلس .

(١) سورة المائدة آية ١٠٠ .

(٢) ذكره في أسباب النزول للواحدي (ص ١٢١) بغير إسناد .

(١)



يا من يرحل فى كل يوم مرحلة، وكتابه قد حوى حتى الخردلة، ما يتفع بالندير
والنذر متصلة، ولا يصغى إلى ناصح وقد عذله، ودروعه مخرقة والسهام مرسله،
ونور الهدى قد بدا ولكن ما رآه ولا تأمله وهو يؤمل البقا، ويرى مصير من قد أمله
قد انعكف بعد الشيب على العيب بصباة ووله. كن كيف شئت فبين يديك
الحساب والزلزلة. ونعم جلدك فلا بد للديدان أن تأكله. فيا عجباً من فتور مؤمن
موقن بالجزاء والمسألة استيقن من غرور وبله. ويحك يا هذا من استدعاك وفتح منزله
فقد أولاك لو علمت منزله. فبادر ما بقى من عمرك واستدرك أوله. فبقية عمر
المؤمن جوهرة قيمة.

(١) معاني الكلمات :

الجدث : القبر.

الرمس : التراب.

البلى : ما صاروا إليه من البلى والفناء.

البلس : التحير والأندهاش.

حسان : ومنه قول تعالى

تنتهي : تعتبر وتتعظ.

الشين : العيب.

مختصر : «حتام» أي حتى متى.

ينبجس : يتفجر ومنه قوله تعالى

□ الكبيرة الثامنة والعشرون □

أكل الحرام وتناوله على أى وجه كان

قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾^(١)

أى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل . قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعنى باليمين الباطلة الكاذبة يقطع بها الرجل مال أخيه بالباطل والأكل بالباطل على وجهين : أحدهما : أن يكون على جهة الظلم نحو الغصب والخيانة والسرقة .

والثانى : على جهة الهزل واللعب كالذى يؤخذ فى القمار والملاهى ونحو ذلك ، وفى صحيح البخارى : أن رسول الله ﷺ قال : « إن رجلا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة »^(٢) . وفى صحيح مسلم حين ذكر النبى ﷺ : « الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام ، وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك »^(٣) ، وعن أنس رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال ﷺ : « يا أنس اطب كسبك تجب دعوتك ، فإن الرجل ليرفع اللقمة من الحرام إلى فيه فلا يستجاب له دعوة أربعين يوما »^(٤) .

وروى البيهقى بإسناده إلى رسول الله ﷺ قال : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا من يحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ولا يكسب عبد مالا

(١) سورة البقرة الآية : ١٨٨ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) رواه مسلم (١٠١٥) والترمذي (٢٩٨٩) والدارمي (٦٩٦) وأحمد (٣٢٨/٢) والبيهقى شعب (١١١٨) .

(٤) قلت : هو ليس عن أنس وإنما الذي طلب ذلك سعد فقال الرسول ﷺ « يا سعد اطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقدف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا ، فالنار أولى به » ، رواه الطبراني في الأوسط (٦٤٩٥) عن ابن عباس مرفوعا - قال الهيثمي (٢٩١/١٠) وفيه من لم أعرفهم .

للحافظ الذهبي

١٢٩

حراما فينشق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق منه فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار. إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن»^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا حلوة نضرة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه في حقه أثابه وأورثه جنته، ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه في غير حقه أدخله الله تعالى دار الهوان. ورب متخوض (فيما اشتتت نفسه من الحرام) له النار يوم القيامة»^(٢) وجاء عنه ﷺ أنه قال: «من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أي باب أدخله النار»^(٣). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لأن يجعل أحدكم في فيه ترابا خيرا من أن يجعل في فيه حراما»^(٤). وقد روى عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال: إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه، فإن كان مطعم سوء قال: دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه. إن إجهاده مع أكل الحرام لا ينفعه ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيح من قوله ﷺ عن الرجل الذي مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟ وقد روى في حديث أن ملكا على بيت المقدس ينادي كل يوم وكل ليلة: «من أكل حراما لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» الصرف: النافلة، والعدل: الفريضة.

(١) رواه أحمد (٣٨٧/١) والحاكم (٣٤/١) وابن عدي (١٦٦/٤) والبيهقي في الشعب (٥٩٩) وأبو نعيم (١٦٦/٤) وابن الجوزي في العلل (٣٥٢/٢) عن ابن مسعود مرفوعاً ورواه ابن المبارك في الزهد (١١٣٤) ورائد وابن أبي شيبه (٢٩٤/٣) البخاري في الأدب المفرد (٢٧٩) الطبراني (٨٩٩٠/٩) (٢٢٩/٩) وأبو نعيم (١٩٥/٤) موقوفاً عنه، قال الدارقطني: رفعه جماعة ووقفه جماعة والصحيح الموقوف.

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٥١٣٩) عن ابن عمر وصححه الشيخ في الصحيح (١٥٩٢) والصحيح (٣٤١٠).

(٣) رواه الطبراني (١٦٦٠، ١٦٦١، ١٦٦٢) والبيهقي (٥٣٧٠) عن جندب مرفوعاً: من استطاع منكم أن لا يصيب دماً حراماً ولا محجمة من دم حرام لا يأتي باباً من أبواب الجنة إلا بينه وبين أن يدخلها. وإسناده لا بأس به.

(٤) رواه البيهقي في الشعب (٥٣٧٩) مرفوعاً عن أبي هريرة وإسناده صحيح.

وقال عبد الله بن المبارك: «لأن أرد درهما من شبهة أحب إلى من أن أتصدق بمائة ألف ومائة» وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «من حج بمال حرام فقال لبيك، قال ملك: لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك»^(١). وروى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة مادام عليه»^(٢). وقال وهب بن الورد: لو قمت قيام السارية ما نفعتك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام^(٣).

وقال ابن عباس رضيهما الله عنهما: «لا يقبل الله صلاة امرئ وفي جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه». وقال سفيان الثوري: من أنفق الحرام في الطاعة كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال. وقال عمر رضي الله عنه: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام». وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة جسد غذى بالحرام»^(٤) وعن زيد بن أرقم قال: كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج - أي قد كاتبه على مال - وكان يجيئه كل يوم بخراجه فيسأله: من أين أتيت بها؟ فإن رضيته أكله وإلا تركه. قال: فجاءه ذات ليلة بطعام وكان أبو بكر صائما فأكل منه لقمة ونسى أن يسأله، ثم قال له: من أين جئت بهذا؟ فقال: كنت تكهنت بأناس بالجاهلية وما كنت أحسن الكهانة، إلا أني خدعتهم، فقال أبو بكر: أف لك كدت تهلكني! ثم أدخل يده في فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج، فقليل له: أنها لا تخرج إلا بالماء، فدعا بماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى قاء كل شئ في بطنه. فقليل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟ فقال رضي الله عنه: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها. إني سمعت رسول الله ﷺ

(١) قال المنذري: رواه الطبراني وسنده ضعيف وقد أخرجه ابن عدي (١٠٦/٣) وابن الجوزي في العلل (٩٣٠/٢).

(٢) رواه أحمد (٩٨/٢) وابن أبي الدنيا في الورع (١٧٣) وابن عدي (١٥٣/٢) وابن حبان في المجروحين (٣٨/٢) والخطيب في الجامع (٢١/١٤) وهو ضعيف جدا - كما في الضعيف (٥٤٢٨) والضعيفة (٨٤٦).

(٣) رواه أبو نعيم (١٥٤/٨).

(٤) رواه أحمد (٣٩٩/٣) والبزار (١٦٠٩) كشف، والدارمي في الرقائق (ص ٧١٤) وعبد الرزاق (٢٠٧١٩) وابن حبان (٥٥٦٧) والحاكم (٧٩/١، ٤٢٢/٤) وأبو يعلى (١٩٩٩) والبيهقي شعب (٥٣٧٧) وهو حديث حسن.

للحافظ الذهبي

١٣١

يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به»، فخشيت أن ينبت بذلك في جسد من هذه اللقمة^(١). وقد تقدم قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة جسد غدى بحرام»^(٢). وإسناده صحيح. قال العلماء رحمهم الله: ويدخل في هذا الباب: المكاس، والخائن، والزغلي^(٣)، والسارق، والبطال، وأكل الربا وموكله، وأكل مال اليتيم وشاهد الزور، ومن استعار شيئاً فجحده، وأكل الرشوة، ومنقص الكيل والوزن، ومن باع شيئاً فيه عيب فغطاه، والمقامر، والساحر، والمنجم، والمصور، والزانية، والنائحة والعشرية، والدلال، إذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع، ومخبر المشتري بالزائد ومن باع حراً فأكل ثمنه.

□ فصل □

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة، حتى إذا جئ بهم جعلها الله هباءً منثوراً ثم يقذف بهم في النار». فقيل: يا رسول الله، كيف ذلك؟ قال: «كانوا يصلون، ويصومون، ويزكون، ويحجون، غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم»^(٤). وعن بعض الصالحين أنه رأى بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: خيراً، غير أنني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردّها. فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

□ موعظة □

عباد الله أما الليالي والأيام تهدم الآجال؟ أما مآل المقيم في الدنيا إلى الزوال. أما آخر الصحة يؤول إلى الاعتلال، أما غاية السلامة نقصان الكمال، أما بعد استقرار المنى هجوم الآجال، أما أنبتتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال أما بانت لكم العبر وضربت لكم الأمثال؟

(١) صحيح : ورواه البيهقي (٥٣٧٥) وقد سبق. وأصله في الصحيحين من رواية عائشة.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الغاش.

(٤) قال السيوطي في الدر (١٢٢/٥) أخرجه سمويه في فوائده عن سالم مولى أبي حذيفة.

وعزيز ناعم ذل له كل صعب المرتقي وعر المرام
فكساه بعد لين ملبس خشنا بالرغم منه في الرغام
ووجوه ناضرات بدلت بعد لون الحسن لونا كالقتام
وشموس طالعات أفلت بعد ذاك النور منها بالظلام
ومنيف شامخ بنيانه لين الأعطاف مهتز القوام
أف للدنيا فما شيمتها غير نقض العقد أو خفر الذمام
فأستعدوا الزاد تنجوا واعملوا صالحا من قبل تفويض الخيام

يا متعلقا بزخرف يروق بقاءه كلمح البروق، يا مضيعا في الهوى واجبات الحقوق، تبارز الخالق وتستحي من المخلوق، يا موثراً أعلى العلالى ساترا ذلك الفسوق، ألا سترى ذلك الفسوق! يا متولها مهاد الهوى وهو في سجن الردى مرموق، إبك على نفسك العليلة فإنك بالبكاء محقوق، عجباً لمن رأى فعل الموت بصحبه، وأيقن بتلفه وما قضى نحبه، وسكن الإيمان بالآخرة في قلبه، ونام غافلاً على جنبه، ونسى جزاءه على جرمه وذنبه وأعرض إلى رأيه من الهوى عن ربه، كأتى به وقد سقى كأس حمام يستغيث من شربه، وأفرده الموت عن أهله وسربه، ونقله إلى قبره ذل فيه بعد عجبه.

فيأذا اللب جز على قبره وعجب به، لقد خرقت المواعظ المسامع وما أراه انتفع به السامع، لقد بدا نور المطالع لكنه أعمى المطالع، ولقد بانت العبر بأقار الغير لمن اغتر بالمصارع، فما بالها لا تسكب المدامع؟

يا عجباً لقلب عند ذكر الحق غير خاشع، لقد نشبت فيه مخالب المطامع. يامن شبيه قد أتى هل ترى ما مضى من العمر براجع؟ انتبه لما بقى وائته وراجع، فالهول عظيم والحساب شديد والطريق شاسع، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾.



□ الكبيرة التاسعة والعشرون □

أن يقتل الإنسان نفسه

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا أَنَا وَظُلْمًا فَسُوفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (١).

قال الواحدى فى تفسير هذه الآية: ولا تقتلوا أنفسكم ، أى لا يقتل بعضكم بعضا لأنكم أهل دين واحد ، فأنتم كنفس واحدة . هذا قول ابن عباس والأكثرين وذهب قوم إلى أن هذا نهى عن قتل الإنسان نفسه ، ويدل على صحة هذا ما أخبرنا به أبو منصور محمد بن محمد المنصورى بإسناده عن عمرو بن العاص ، قال : احتملت فى ليلة باردة وأنا فى غزوة ذات السلاسل ، فأشفقت إن أغتسلت أن أهلك ، فتيمنت فضليت بأصحابى الصبح ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ؟» فأخبرته الذى منعني من الاغتسال فقلت : إني سمعت الله يقول : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ . فضحك رسول الله ﷺ ، ولم يقل شيئا (٢) . فدل هذا الحديث على أن عمرو تأول هذه الآية هلاك نفسه لا نفس غيره ولم ينكر ذلك عليه النبي ﷺ . قوله : ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ كان ابن عباس يقول : الإشارة تعود إلى كل ما نهى عنه من أول السورة إلى هذا الموضع . وقال قوم : الإوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة ، وقوله تعالى : ﴿عَدُوًّا أَنَا وَظُلْمًا﴾ مع العدوان أن يعدو ما أمر الله به ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ أى أنه قادر على إيقاع ما توعد به من إدخال النار . وعن جندب ابن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال : «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع ، فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقا الدم حتى مات . قال الله تعالى : بادرني عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة» . مخرج فى الصحيحين . (٣) وعن أبى هريرة روى قال : قال

(١) سورة النساء آية ٢٩ - ٣٠ .

(٢) رواه أحمد (٢٠٣/٤ - ٢٠٤) وأبو داود (٣٣٤) والدارقطنى والحاكم (١٧٧/١) وصححه الشيخ فى الإرواء (١٥٤) .

(٣) صحيح : رواه البخارى (٣٤٦٣) ومسلم (١١٣) .

رسول الله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل في نار جهنم خالدا فيها أبدا»، مخرج في الصحيحين^(١). وفي حديث ثابت بن الضحاك قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن المؤمن كقتله، ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة»^(٢). وفي الحديث الصحيح عن الرجل الذي آلت له الجراح فاستعجل الموت، فقتل نفسه بذباب سيفه فقال رسول الله ﷺ: «هو من أهل النار»^(٣). فنسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه جواد كريم غفور رحيم.

□ موعظة □

ابن آدم كيف تظن أعمالك مشيدة، وأنت تعلم أنها مكيدة؟ وكيف تترك معاملة المولى وتعلم أنها مفيدة؟ وكيف تقصر في زادك وقد تحققت أن الطريق بعيدة؟ يا معرضا عنا إلى متى هذا الجفاء والإعراض؟ يا غافلا عن الموت والعمر لا شك في انقراض. يا مغترا في أمله وأيدى المنايا في أجله تقرضه بمقراض، يا مغرورا بصحته ويدنه كل يوم في انتقاض، يا من يفنى كل يوم بعضه ستفنى والله الأبعاض. يا غافلا عن الزاد وقد أُنذره بعد السواد البياض، يا قليل الاحتراس ونبيل المنايا طوال عراض. يا من يساق إلى موارد التلف وقد نزحت الحياض، يا ضاحكا وعيون الفنا غير غماض عجبا لمن هذه الأوقات بين يديه كيف يقدر جفنه على الإغماض؟!



(١) صحيح: رواه البخاري (٥٧٧٨) ومسلم (١٠٩).
 (٢) صحيح: رواه البخاري (٦١٠٥) ومسلم (١١٠).
 (٣) صحيح: رواه البخاري (٦٦٠٧) ومسلم (١١٢) عن سهل بن سعد.

□ الكبيرة الثلاثون □

الكذب في غالب أقواله

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (١)، وقال الله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ (٢) أى الكاذبون، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (٣).

وفى الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» (٤).

وفى الصحيحين أيضاً أنه ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» (٥). وقال ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا حدث كذب» (٦). وفى صحيح البخارى فى حديث منام النبى ﷺ قال: «فأتينا على رجل مضطجع لقفاه، وآخر قائم عليه بكلوب من حديد يشترش شذقه إلى قفاه وعيناه إلى قفاه، ثم يذهب إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل فى الجانب الأول، فما يرجع إليه حتى يصح مثل ما كان، فيفعل به كذلك إلى يوم القيامة فقلت لهما: من هذا؟ فقالا: إنه كان يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق» (٧).

(١) سورة آل عمران آية ٦١ .

(٢) سورة الذاريات آية ١٠ .

(٣) سورة غافر آية ٢٨ .

(٤) رواه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧) وابن حبان (٢٧٣) والبيهقي (٢٤٣/١٠) عن ابن مسعود.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩) والترمذي والنسائي عن أبي هريرة.

(٦) صحيح: رواه البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨) وأبو داود (٤٦٨٨) والترمذي (٢٧٦٨) وأحمد (١٨٩/٢).

عن ابن مسعود.

(٧) صحيح: رواه البخاري وقد سبق تخريجه.

وقال ﷺ: «يطبع المؤمن على كل شيء ليست الخيانة والكذب» (١).

وفى الحديث: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» (٢). وقال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر» (٣). العائل: الفقير. وقال ﷺ: «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب. ويل له، ويل له، ويل له» (٤). وأعظم من ذلك الحلف كما أخبر الله تعالى عن المنافقين بقوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٥)، وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء يمنع ابن السبيل، ورجل بايع رجلا سلعة فحلف بالله لأخذتها بكذا وكذا فصدقه وأخذها وهو على غير ذلك، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه منها وفى له وإن لم يعطه لم يف له» (٦). وقال ﷺ: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب» (٧)، وفى الحديث أيضا: «من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقده» (٨)، وقال رسول الله ﷺ: «أفرى الفرى على الله أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا» (٩) معناه أن يقول: رأيت فى منامى كيت وكيت ولم يكن

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مالك (٩٠٧-٩٠٨) وأحمد (٤٦٥/٢، ٥١٧) والبخاري (٦٠٦٦) ومسلم (٢٥٦٣) وأبو داود (٤٩١٧) وابن حبان (٥٦٨٧) والبيهقي (٨٥/٦) عن أبي هريرة.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه أبو داود (٤٩٩٠) والترمذي (٢٣١٥) الدارمي (٦٩٢) أحمد (٥/٥) والطبراني (٤٠٣/١٩) (٩٥٠) وهناد فى الزهد (١١٥٠) والحاكم (٤٦/١) والبيهقي (٤٤٩١) شعب - والخطيب (٤/٤) عن بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده وحسنه الشيخ فى صحيح الجامع (٧٠١٣).

(٥) سورة المجادلة آية ١٤.

(٦) صحيح رواه البخاري (٢٣٥٨) ومسلم (١٠٨) وأبو داود (٣٤٧٤) والنسائي (٢٤٦/٧) وابن ماجه (٢٢٠٧) وأحمد (٤٨٠/٢) عن أبي هريرة.

(٧) رواه هناد فى الزهد (١٣٨٤) وأحمد (١٨٣/٤) وابن عدي (٥٠/١) والبيهقي شعب (٤٤٧٩) وأبو نعيم (٩٩/٦) عن النواس بن سمعان، وضعفه الشيخ فى الضعيفة (١٢٥١).

(٨) رواه الحميدي (٥٣١) وأحمد (٢١٦/١، ٣٥٩) والبخاري (٧٠٤٢) والطبراني (١١٨٣١، ١١٩٢٣) وابن حبان (٥٦٨٥) والبيهقي (٢٦٩/٧) عن ابن عباس.

(٩) رواه أحمد (١٠٦/٤) والبخاري (٣٥٠٩) والطبراني (١٧٨/٧٢/٢٢) والبيهقي شعب (٤٤٩٠) والخطيب فى الجامع (١٢٨٩) عن وائلة بن الأسقع.

للحافظ الذهبي

١٣٧

رأى شيئاً. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت في قلبه نكتة سوداء، حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين.

فينبغي للمسلم أن يحفظ لسانه عن الكلام، إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة. فإن في السكوت سلامة والسلامة لا يعدلها شيء. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلی الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(١). فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح في أنه لا ينبغي للإنسان أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً وهو الذي ظهرت مصلحته للمتكلم قال أبو موسى: قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٢). وفي الصحيحين: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها - أي ما يفكر فيها بأنها حرام - يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»^(٣).

وفي موطأ الإمام مالك من رواية بلال بن الحارث المزني أن رسول الله صلی الله عليه وسلم قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى بها له رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه»^(٤) والأحاديث الصحيحة بنحو ما ذكرنا كثيرة وفيما أشرنا إليه كفاية.

وسئل بعضهم: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من أن تحصى، والذي أحصيته ثمانية آلاف عيب، ووجدت خصلة إن استعملها سترت العيوب كلها، وهي حفظ اللسان. جنبنا الله معاصيه واستعملناه فيما يرضيه إنه جواد كريم.

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري (١١) ومسلم (٤٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه مالك (٩٨٥/٢) ومن طريقه الطبراني (١١٣٤/٣٦٩/١) وهناد في الزهد (١١٤١) وعنه الترمذي (٢٣١٩) وابن ماجه (٣٩٦٩) وأحمد (٤٦٩/٣) وابن أبي الدنيا في الصمت (١١٢٩) والحميدي (٩١١) وابن المبارك في الزهد (١٣٩٤) ومن طريقه البغوي (٤١٢٥) والطبراني (١١٣٦/٣٦٩/١) والحاكم (٤٥/١) والبيهقي في الشعب (٤٦٠٦) وصححه الشيخ في الصحيحه (٨٨٦).

□ موعظة □

أيها العبد : لا شئ أعز عليك من عمرك وأنت تضيعه ، ولا عدو لك كالشيطان وأنت تطيعه ، ولا أضر من موافقة نفسك وأنت تصافيهها ، ولا بضاعة سوى ساعات السلامة وأنت تسرف فيها .

لقد مضى من عمرك الأطايب فما بقى بعد شيب الذوائب ؟ يا حاضر البدن والقلب غائب ، اجتماع العيب والشيب من جملة المصائب يمضى زمن الصبا وحب الحبايب . كفى زجرا واعظا تشيب منه الذوائب .

يا غافلا فإنه أفضل المناقب ، أين البكا لخوف العظيم الطالب ؟ أين الزمان الذى ضاع فى الملاعب ؟ نظرت فيه آخر العواقب ؟ . كما فى القيامة مع دمع ساكب على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب ؟ ! من لى إذا قمت فى موقف المحاسب وقيل لى : ما صنعت فى كل واجب ؟ كيف ترجو النجاة وتلهو بأسر الملاعب ، إذا أبتك الأمانى بظن الكاذب ؟ . الموت صعب شديد مر المشارب ، يلقي شره بكأس صدور الكتائب . فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب يأتى بقهر ويرمى بسهم صائب . يا أملا أن تبقى سليما من النوائب بنيت بيتا كنسيج العناكب .

أين الذين علوا متون الركائب ، ضاقت بهم المنايا سبل المذاهب وأنت بعد قليل حليف المصايب ، فانظر وتفكر وتدبر قبل العجايب .



□ الكبيرة الحادية والثلاثون □

القاضي السوء

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١). وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢). قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣).

روى الحاكم بإسناده وفي صحيحه عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله»^(٤).

وصحح الحاكم أيضا من حديث بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القضاة ثلاثة: قاض في الجنة وقاضيان في النار، قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة، وقاض عرف الحق فجار متعمدا فهو في النار، وقاض قضى بغير علم فهو في النار». قالوا: فما ذنب الذي يجهل؟ قال: «ذنبه أن لا يكون قاضيا حتى يعلم»^(٥). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين»^(٦). وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: ينبغي للقاضي أن يكون يوما في القضاء ويوما في البكاء على نفسه.

وقال محمد بن واسع رحمه الله: أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يؤتى بالقاضي

(١)، (٢)، (٣) سورة المائدة آية ٤٤، ٤٥، ٤٧.

(٤) رواه الحاكم (٨٩/٤) عن طلحة بن عبيد الله، وقال صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بقوله: إسناده مظلم وفيه عبد الله بن محمد العدوي وهو متهم.

(٥) رواه أبو داود (٣٥٧٣) والترمذي (١٣٢٢) وابن ماجه (٢٣١٥) والحاكم (٩٠/٤) والطبراني (١١٥٤، ١١٥٦) والبيهقي (١١٦/١٠) وله شاهد من حديث ابن عمر، رواه القضاعي (٣١٧) والطبراني كبير وصححه الشيخ في الإرواء (٢٦١٤) وصحيح الجامع (٤٤٤٦، ٤٤٤٧).

(٦) رواه أبو داود (٣٥٧١، ٣٥٧٢) والترمذي (١٣٢٣) والحاكم (٩٠/٤) عن أبي هريرة وحسنه الشيخ في الصحيح (٦٥٩٤).

العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم يقض بين اثنين في تمرة^(١).
وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن القاضي ليزل في زلقة في جهنم أبعد من عدن»^(٢). وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليس من وال ولا قاض إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عز وجل على الصراط ثم تنشر سريره فتقرأ على رؤوس الخلائق، فإن كان عدلاً نجاه الله بعدله، وإن كان غير ذلك انتفض به ذلك الجسر أنفضاً، فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا، ثم ينخرق به الجسر إلى جهنم»^(٣).

وقال مكحول: لو خيرت بين القضاء وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي على القضاء. وقال أيوب السخيتاني: إني وجدت أعلم الناس أشدهم هرباً منه. وقيل للثوري: إن شريحا قد استقضى، فقال: أي رجل قد أفسدوه! ودعا مالك بن المنذر محمد بن واسع ليجمعه على قضاء البصرة فأبى، فعاودوه وقال: لتجلسن، وإلا جلدتك. فقال: إن تفعل فإنك سلطان، وإن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة! وقال وهب بن منبه: إذا هم الحاكم بالجور أو عمل به أدخل الله النقص على أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شيء، وإذا هم بالخير أو العدل أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك. وكتب عامل من عمال حمص إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: أما بعد فإن مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت إلى إصلاح. فكتب إليه عمر: حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور، والسلام.

قال: ويحرم على القاضي أن يحكم وهو غضبان^(٤)، وإذا اجتمع في القاضي قلة علم وسوء قصد وأخلاق زعرة^(٥) وقلة ورع فقد تم خسارته ووجب عليه أن

(١) إسناده ضعيف : رواه أحمد (٧٥/٦) وابن حبان (٥٠٥٥) والبيهقي (٩٦/١٠) عن عائشة، انظر ضعيف الجامع (١٥١٦).

(٢) رواه عبد بن حميد في المنتخب (١٠٨) وسنده ضعيف.

(٣) لم أعثر عليه :- وقد ذكره ابن حجر في الزواج (١٨٧/٢) من غير عزو.

(٤) جاء مرفوعاً بلفظ «لا يقض القاضي بين اثنين وهو غضبان» رواه البخاري (٧١٥٨)

ومسلم (١٧١٧) وأبو داود (٣٥٨٩) والترمذي (١٣٣٤) والنسائي (٢٣٧/٨) عن أبي بكر.

(٥) أخلاقه زعرة أي سيئة.

للحافظ الذهبي

— ١٤١ —

يعزل نفسه، ويبادر بالخلاص. فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى،
إنه جواد كريم^(١).

□ موعظة □

يا من عمره كلما زاد نقص، يامن يامن ملك الموت وقد أقتصص، يا مائلا إلى
الدنيا هل سلمت من النقض؟ يا مفرطا في عمره هل بادرت الفرص؟

يا من إذا ارتقى في منهاج الهدى ثم لاح له الهوى نكص، من لك يوم الحشر
عند نشر القصص. عجبا لنفس أمست بالليل هاجعة، ونسيت أهوال يوم الواقعة،
ولأن تفرعها المواعظ فتصغى لها سامعة، ثم تعود الزواجر عنها ضائعة والنفوس
غدت في كرم الكريم طامعة، وليست له في حال من الأحوال طائعة، والأقدام
سعت في الهوى في طرق شاسعة، بعد أن وضحت من الهدى سبل واسعة،
والهمم شرعت في مشاريع الهوى متنازع، لم تكن مواعظ العقول لها نافعة، وقلوب
تضممر التوبة إذا فرغت بزواجر رادعة، ثم تعود إلى ما لا يحل مرارا متتابعة.



(١) قال ابن حجر في الزواجر (١٨٧/٢): والحاصل أن هذا المنصب أخطر المناصب وأفزع المتاعب
والمثالب، وقد أفردت قضاة السوء بتأليف مستقل سمّيته «جمهر الفضائل لمن تولى القضا» وذكرت
فيه أحوالهم الفظيعة والشنيعة ما تمجّه الأسماع وتستنكره الطباع لما أن الجراءة على فعله توجب
القطع اليقين بأنهم ليسوا من المتقين- بل ولا من المسلمين- نسأل الله العافية بمنه وكرمه.
قلت: هذا في زمن الحكم بما أنزل الله تعالى، فكيف هذا في ظل الحكم بغير ما أنزل الله؟ وإذا
كان حال القضاة بهذه المثابة في زمن الحكم الشرعي، فكيف بهم في ظل القوانين المستوردة،
وزمن تفشي الرشوة؟ نسأل الله السلامة بمنه وكرمه.

□ الكبيرة الثانية والثلاثون □

أخذ الرشوة على الحكم

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١)

أى لا تدلوا بأموالكم إلى الحكام ، أى لا تصانعوهم بها ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقا لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم . وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «لعن الله الراشى والمرتشى فى الحكم» أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن (٢) . وعن عبد الله بن عمرو : لعن رسول الله ﷺ الراشى والمرتشى (٣) . قال العلماء : فالراشى هو الذى يعطى الرشوة ، والمرتشى هو الذى يأخذ الرشوة ، وإنما تلحق اللعنة الراشى إذا قصد بها أذية مسلم أو ينال بها مالا يستحق ، أما إذا أعطى ليتوصل إلى حق له ويدفع عن نفسه ظلما فإنه غير داخل فى اللعنة . وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام أبطل بها حقا أو دفع بها ظلما . وقد روى فى حديث آخر : «إن اللعنة على الرائش أيضا» (٤) وهو الساعى بينهما ، وهو تابع للراشى فى قصده خيرا لم تلحقه اللعنة وإلا لحقته .

□ فصل □

ومن ذلك ما روى أبو داود فى سننه عن أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها هدية فقد أتى بابا كبيرا من أبواب

(١) سورة البقرة آية ١٨٨ .

(٢) رواه أحمد (٣٨٨، ٣٨٧/٢) والترمذى (١٣٣٦) وابن الجارود (٥٨٥) وابن حبان (٥٠٧٦) والحاكم (١٠٣/٤) والخطيب فى تاريخه (٢٥٤/١٠) وهو فى صحيح الجامع (٥٠٩٣) .

(٣) رواه أحمد (٢/١٦٤، ١٩٠، ٢١٢) وأبو داود (٣٥٨٠) والترمذى (١٣٣٧) وابن ماجه (٢٣١٣) والطيالسي (٢٢٧٦) وابن الجارود (٥٨٦) وابن حبان (٥٠٧٧) والحاكم (١٠٢/٤) وهو حسن .

(٤) جاء فى حديث عبد الرحمن بن عوف بلفظ «لعن الله الأكل والمطعم يعنى المرتشى والرائش» قال الشيخ فى الإرواء (٢٤٥/٨) رواه أبو نعيم فى القضاء وسنده ضعيف . قلت : روراه ابن أبى شيبة (٥٨٧، ٥٤٩/٦) والطبراني (١٤١٥/٩٤/٢) والبيهقى (٥١/٥) عن ثوبان مرفوعا بلفظ «لعن رسول الله الراشى والمرتشى والرائش» . وضعفه الشيخ فى «ضعيف الجامع» (٤٦٨٧) .

للحافظ الذهبي

١٤٣

الربا»^(١). وعن ابن مسعود قال: السحت أن تطلب لأخيك الحاجة فتقضى فيهدى إليك هدية فتقبلها منه^(٢)، وعن مسروق أنه كلم ابن زياد في مظلمة فردها فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفا فردها ولم يقبلها، وقال سمعت ابن مسعود يقول: من رد عن مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلا أو كثيرا فهو سحت. فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نظن أن السحت إلا الرشوة في الحكم. فقال: ذلك كفر، نعوذ بالله منه ونسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومكروه.

□ حكاية □

عن الإمام أبي عمر الأوزاعي رحمه الله - وكان يسكن بيروت - أن نصرانيا جاء إليه فقال: إن والي بعلبك ظلمني بمظلمة، وأريد أن تكتب إليه وأتاه بقلعة عسل، فقال الأوزاعي رحمه الله: إن شئت رددت القلعة وكتبت لك إليه، وإن شئت أخذت القلعة. فكتب له إلى والي أن ضع عن هذا النصراني من خراجة. فأخذ القلعة والكتاب ومضى إلى والي فأعطاه الكتاب فوضع عنه ثلاثين درهما بشفاعة الإمام، رحمه الله وحشرنا في زمرة.

□ موعظة □

عباد الله: تدبروا العواقب، واحذروا قوة المناقب، واخشوا عقوبة المعاقب، وخافوا سلب السالب، فإنه والله طالب غالب. أين الذين قعدوا في طلب المنى وقاموا، وداروا على توطئة دار الرحيل وحاموا؟ ما أقل ما لبثوا وما أوفى ما أقاموا! لقد وبخوا في نفوسهم في قعر قبورهم على ما أسلفوا ولا موا.

أما والله لو علم الأنعام لما خلقوا لما هجعوا وناموا

لقد خلقوا لأمر لو رأته عيون قلوبهم تاهوا وهاموا

(١) حسن: رواه أحمد (٢٦١/٥) وأبو داود (٣٥٢٤) والطبراني (٧٨٥٣، ٧٩٢٨) عن أبي أمامة وحسنه الشيخ في صحيح الجامع (٦٣١٦).

(٢) رواه عبد الرزاق (١٤٧/٨-١٤٨) وابن جرير (٢٥٧/٦) والبيهقي (١٣٩/١٠) وفي الشعب (٥١١٦) ورجاله ثقات

مات ، ثم قبر ، ثم حشر ، وتوبيخ ، وأهوال ، عظام
ليوم الحشر قد عملت رجال فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا كاهل الكهف أيقاظ نيام

يامن بأقذار الخطايا قد تلتخ ، وبآفات البلايا قد تضمخ ، يامن سمع كلام من لام
ووبخ ، يعقد عقد التوبة حتى إذا أمسى يفسخ ، يامطلقا لسانه والملك يحصى
وينسخ ، يامن طير الهوى فى صدره قد عشش وفرخ ، كم أباد الموت ملوكا كالجبال
الشمخ ، كم أزعج قواعد كانت فى الكبر ترسخ ، وأسكنهم ظلم اللحود ومن
ورائهم برزخ ، يامن قلبه من بدنه بالذنوب أوسخ ، يا مبارزا بالعظام أتا من أن
يخسف بك أو تمسخ يا من لازم العيب بعد اشتمال الشيب ففعله يؤرخ ، والحمد لله
دائما أبدا .



□ الكبيرة الثالثة والثلاثون □

تشبيه النساء بالرجال وتشبيه الرجال بالنساء

فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء»^(١). وفى رواية: «لعن الله الرجل من النساء»^(٢). وفى رواية قال: «لعن الله المخثن من الرجال والمترجلات من النساء»^(٣). يعنى اللاتى يتشبهن بالرجال فى لبسهم وحديثهم، وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة»^(٤). فإذا لبست المرأة رى الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة فقد شابحت الرجال فى لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ولزوجها إذا أمكنها من ذلك أى رضى به ولم ينهها لأنه مأمورا بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية لقول الله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٥) أى أدبهم وعلموهم ومروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصية الله كما يجب ذلك عليكم فى حق أنفسكم، ولقول النبى ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. الرجل راع فى أهله ومسؤول عنهم يوم القيامة»^(٦). وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء»^(٧). وقال الحسن: والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله تعالى فى النار.

- (١) صحيح: رواه البخاري (٥٨٨٥، ٦٨٣٤) والترمذي (٢٧٨٤) وأبو داود (٤٠٩٧) وابن ماجه (١٩٠٤) والطبراني (١١٦٤٧، ١١٨٢٣) عن ابن عباس.
- (٢) رواه أبو داود (٤٠٩٩) عن عائشة وصححه الألباني.
- (٣) رواه أحمد (٢٢٥، ٢٢٧، ٢٥٤) والبخاري (٥٨٨٦) وعبد الرزاق (٢٠٤٣٣) والترمذي (٢٧٨٥) والدارمي (٥٦٤٩) أبو يعلى (٢٤٣٣) الطبراني (١١٦٧٨، ١١٨٣، ١١٨٤٧، ١١٨٤٨) عن ابن عباس.
- (٤) رواه أحمد (٣٢٥/٢) وأبو داود (٤٠٩٨) وابن ماجه (٣٩٠٣) وابن حبان (٥٧٥١، ٥٧٥٢) والحاكم (١٩٤/٤) وهو صحيح.
- (٥) سورة التحريم آية ٦.
- (٦) رواه البخاري (٥١٨٨) ومسلم (١٨٢٩) والترمذي (١٧٠٥) وأحمد (٥٤، ٥٥) عن ابن عمر.
- (٧) رواه الحاكم (٢٩١/٤) والطبراني أوسط (٤٢٧) وأبو نعيم فى أخبار أصبهان (٣٤/٢) وابن عدي (٣٨/١) وأحمد (٤٥/٥) وضعفه الشيخ فى الضعيف (٤٣٦) والضعيف (٦١١٠) وقد صح بلفظه لمن يفلح قوم تملكهم امرأة، رواه البخاري (٤٤٢٥) (٧٠٩٩) والترمذي (٢٢٦٢) والنسائي (٢٢٧/٧) وأحمد (٤٣/٥) والطيالسى (٨٧٨) عن أبى بكر.

وقال ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما. قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»^(١) أخرجه مسلم.

(قوله): كاسيات أى من نعم الله، عاريات من شكرها وقيل: هو أن تلبس المرأة ثوبا رقيقا يصف لون بدنّها. ومعنى مائلات قيل: عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه مميلات أى يعلمن غيرهن الفعل المذموم، وقيل: مائلات متبخرات مميلات باكتافهن وقيل: يمشطن المشطة الميلاء وهى مشطة البغايا، ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة. رؤوسهن كأسنمة البخت أى يكبرنها ويعظمنها بلف عصاة أو عمامة أو نحوهما. وعن نافع قال: كان ابن عمر وعبد الله بن عمرو عند الزبير بن عبد المطلب إذ أقبلت امرأة تسوق غنما متكبّة قوسا. فقال عبد الله بن عمر: أرجل أنت أم امرأة؟ فقالت: امرأة. فالتفت إلى ابن عمرو فقال: إن الله تعالى لعن على لسان نبيه ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء.

ومن الأفعال التى تلعن عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب، وتطييبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت، ولبسها الصباغات والأزر والحرير والأقوية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام وتطويلها إلى غير ذلك إذا خرجت، وكل ذلك من التبرج الذى يمقت الله عليه ويمقت فاعله فى الدنيا والآخرة، وهذه الأفعال التى قد غلبت على أكثر النساء، قال عنهن النبى ﷺ: «اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء»^(٢)، وقال ﷺ: «ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء»^(٣). فنسأل الله أن يقينا فتنتهن وأن يصلحهن وإيانا بمنه وكرمه.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) وأحمد (٣٥٦/٢، ٤٤٠) عن أبي هريرة.
(٢) صحيح: رواه البخارى (٥١٩٨) (٣٢٤١) (٦٤٤٩، ٦٥٤٦) عن عمران، ورواه مسلم (٢٧٣٧) عن ابن عباس، ورواه مسلم (٢٧٣٨) عن عمران بلفظ: «إن أقل ساكنى الجنة النساء».
(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٠٩٦) ومسلم (٢٧٤٠) عن أسامة بن زيد.

□ موعظة □

ابن آدم كأنك بالموت وقد فجأك وهجم وألحقك بمن سبقك من الأمم ، ونقلك إلى بيت الوحدة والظلم ، ومن ذلك إلى عسكر الموتى مخيمة بين الخيم . مفرقا من مالك ما اجتمع ومن شملك ما انتظم ، ولا تدفعه بكثرة الأموال ولا بقوة الخدم ، وندمت على التفريط غاية الندم ، فياعجبا لعين تنام وطالبها لم ينم ، متى تحذر مما توعده وتهدد ، ومتى تضرم نار الخوف في قلبك وتتوقد ، إلى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدد ، إلى متى لا يهولك زجر الواعظ وإن شدد ، إلى متى أنت بين الفتور والتواني تتردد ، متى تحذر يوما فيه الجلود تنطق وتشهد ؟ متى تترك ما يفنى فيما لا ينفذ ، متى تهب بك في بحر الوجد ربح الخوف والرجاء ، متى تكون في الليل قائما إذا سجا ، أين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا ، وقاموا في الدجى وركعوا وسجدوا ، وقدموا إلى بابه في الأسحار ووفدوا ، وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا ، لقد ساروا وتخلفت وفاتك ما وجدوا . وبقيت في أعقابهم وإن لم تلحق بعدوا :

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| يا نائم الليل مستي ترقد | قم يا حبيبي قد دنا الموعد |
| من نام حتي ينقض ليله | لم يبلغ المنزل قبل أن يجهد |
| فقل لذوي الأبواب أهل التقى | قنطرة العرض لكم موعد |



□ الكبيرة الرابعة والثلاثون □

الديوث المستحسن على أهله والقواد الساعى بين الإثنين بالفساد

قال الله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء» (٢). وروى النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن خمر والعاق لوالديه والديوث الذي يقر الخبث في أهله» (٣) يعنى المستحسن على أهله نعوذ بالله من ذلك.

قال المصنف رحمه الله تعالى: فمن كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبه فيها أو لأن لها عليه ديناً وهو عاجز، أو صداقاً ثقيلاً، أو له أطفال صغار فترفعه إلى القاضى وتطلب فرضهم فهو دون من يعرض عنه، ولا خير فيمن لا غيره له. فنسأل الله العافيه من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم.

□ موعظة □

أيها المشغول بالشهوات الفانيات متى تستعد لممات آت، حتى متى لا تجتهد فى إلحاق القوافل الماضيات، أطمع وأنت رهين الوساد فى لحاق السادات؟ هيهات هيهات هيهات! يآملأ فى زعمه اللذات احذر هجوم هازم اللذات، احذر مكائده فهى كوامن فى عدة الأنفاس واللحظات:

(١) سورة النور آية ٣.
(٢) رواه أحمد (١٢٨، ٦٩/٢) والحاكم (٧٢/١) والبيهقي (٢٢٦/١٠) وصححه الشيخ فى الصحيح (٣٠٥٢) عن ابن عمر.
(٣) رواه أحمد (١٣٤/٢) والنسائي (٨٠/٥) والطبراني (١٣١٨٠) وصححه الشيخ فى الصحيح (٣٠٦٣) وله شاهد من حديث عمار بن ياسر- انظر صحيح الجامع (٣٠٦٢).

تمضى حلاوة ما أخفيت وبعدها تبقى عليك مرارة التبعات
يا حسرة العاصين يوم معادهم لو أنهم سبقوا إلى الجنات
لو لم يكن إلا الحياء من الذي ستر العيوب لأكثروا الحسرات

يامن صحيفته بالذنوب قد جفت ، وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت ، أما رأيت
أكفاء عن مطامعها كفت ، أما رأيت عرائس آحاد إلى اللحد قد زفت ؟ ، أما عاينت
أبدان المترفين وقد أدرجت في الأكفان ولفت ، أما عاينت طور الأجسام في
الأرحام ؟ ومتى تنتبه لخلاص نفسك أيها الناعس ، متى تعتبر بربيع غيرك الدارس ؟

أين الأكاسرة الشجعان الفوارس ؟ ، وأين المنعمون بالجوارى والظباء الخنس
الكوانس ؟ ، أين المتكبرون ذوو الوجوه العوابس ؟ ، أين من اعتاد سعة القصور ؟ !
حبس في القبور في أضيق المحابس !

أين الرافل في أثوابه ؟ عرى في ترابه عن الملابس ، أين الغافل في أمله وأهله
عن أجله ؟ سلبته أكف الخالس ، أين جامع الأموال سلب المحروس وهلك
الحارس ! حق لمن علم مكر الدنيا أن يهجرها ، ولمن جهل نفسه أن يزجرها ، ولمن
تحقق نقلته أن يذكرها ، ولمن غمر بالنعماء أن يشكرها ، ولمن دعى إلى دار السلام أن
يقطع مفاور الهوى ليحضرها .



□ الكبيرة الخامسة والثلاثون □

المحلل والمحلل له

صح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن المحلل والمحلل له ^(١). قال الترمذي: والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وعبد الله بن عمر، وهو قول الفقهاء من التابعين ورواه الإمام أحمد في مسنده والنسائي في سننه أيضا بإسناد صحيح. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن المحلل فقال: «لا، إلا نكاح رغبة، لا نكاح ذلة ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل حتى يذوق العسيلة» ^(٢). ورواه أبو إسحاق الجوزجاني. وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «هو المحلل، لعن الله المحلل والمحلل له». رواه ابن ماجه بإسناد صحيح ^(٣).

وعن ابن عمر أن رجلا سأله فقال: ما تقول في امرأة تزوجتها أحلها لزوجها لم يأمرني ولم يعلم؟ فقال له ابن عمر: لا إلا نكاح رغبة إن أعجبتك أمسكتها وإن كرهتها فارقتها، وإنا كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله ﷺ ^(٤). وأما الآثار عن الصحابة والتابعين فقد روى الأثرم وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما». وسئل ابن عمر بن الخطاب عن تحليل المرأة لزوجها فقال: (ذلك السفاح) ^(٥). وعن عبد الله بن شريك العامري قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنه وقد سئل عن رجل طلق ابنة عم له، ثم ندم ورغب

(١) رواه النسائي (٩٨/٢) والترمذي والدارمي (٢٢٥٨) وابن أبي شيبة (٤٤/٧، ٤٥) والبيهقي (٢٠٨/٧) وأحمد (٤٤٨/١) عن ابن مسعود وصححه الشيخ في الإرواء (١٨٩٧) وله طرق راجعها هناك.
(٢) رواه الطبراني في الكبير (١١٥٦٧) عن ابن عباس وإسناده ضعيف.
(٣) رواه ابن ماجه (١٩٣٦) والحاكم (١٩٨/٢) والبيهقي (٢٠٨/٧) وحسنه الشيخ في الإرواء بطرقه (٢١٠/٦).
(٤) رواه الطبراني في الأوسط والحاكم (١٩٩/٢) والبيهقي (٢٠٨/٧) وصححه الشيخ في الإرواء (١٨٩٨).
(٥) رواه عبد الرزاق (١٠٧٧٦) وابن أبي شيبة (٢٩٤/٤) والبيهقي (٢٠٨/٧) وإسناده صحيح.

للحافظ الذهبي

١٥١

فيها، فأراد رجل أن يتزوجها ليحلها له. فقال ابن عمر: كلاهما زان وإن مكثا عشرين سنة أو نحو ذلك إذا كان يعلم أنه يريد أن يحللها^(١)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأل رجل فقال: ابن عمي طلق امرأته ثلاثا ثم ندم فقال: ابن عمك عصي ربه فأندمه، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا. فقال: كيف ترى في رجل يحللها له؟ فقال: من يخادع الله يخدعه^(٢). وقال إبراهيم النخعي: إذا كان نية أحد الثلاثة الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول^(٣). وقال الحسن البصري: إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد^(٤). وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين في رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول، فقال: لا تحل^(٥). ومن قال بذلك مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، والإمام أحمد. وقال إسماعيل بن سعيد: سألت الإمام أحمد عن الرجل يتزوج المرأة وفي نفسه أن يحللها لزوجها الأول ولم تعلم المرأة بذلك؟ فقال: هو محلل وإذا أراد بذلك الإحلال فهو ملعون، ومذهب الشافعي رحمه الله: إذا شرط التحليل في العقد بطل العقد، لأنه عقد بشرط قطعه دون غايته فبطل كنكاح المتعة، وإن وجد الشرط قبل العقد فالأصح الصحة، وإن عقد كذلك ولم يشترط في العقد ولا قبله لم يفسد العقد، وإن تزوجها على أنه إذا أحلها طلقها ففيه قولان أصحهما أنه يبطل. ووجه البطلان أنه شرط يمنع صحته دوام النكاح فأشبهه التأقيت وهذا هو الأصح في الرافعي. ووجه الثاني أنه شرط فاسد قارن العقد فلا يبطل كما لو تزوجها بشرط أن لا يتزوج عليها ولا يسافر بها والله أعلم. فنسأل الله أن يوفقنا لما يرضيه، ويجنبنا معاصيه، إنه جواد كريم غفور رحيم.

(١) رواه عبد الرزاق (١٠٧٧٨).
(٢) ذكره الشيخ في الإرواء (١٨٩٩) وسكت عنه ورواه عبد الرزاق (١٠٧٧٩) وسعيد بن منصور (١٠٦٠) (١٠٦١)، والطحاوي (٣٣/٢) وإسناده صحيح.
(٣) رواه ابن أبي شيبة (٢٩٥/٤) وسعيد بن منصور (١٩٩٤).
(٤) رواه ابن أبي شيبة (٢٩٥/٤) وسعيد بن منصور (١٩٩٥).
(٥) رواه سعيد بن منصور (١٩٨٩).

□ موعظة □

لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها ، وأخرجوا قلوبهم بالنفر عن ظلام شكلها ،
التقطوا أيام السلامة فغنموا ، وتلذذوا بكلام مولاهم فاستسلموا لأمره
وسلموا ، وأخذوا مواهبه بالشكر وتسلموا ، هجروا فى طاعته لذيد الكرى وهربوا إليه
من جميع الورى ، وأثروا طاعته إيثار من علم ودرى . ورضوا فلم يعترضوا على ما
جرى ، وباعوا أنفسهم فيا نعم البيع ويا نعم الشراء أسلموا إليه لما سلموا الروح ،
وخدموه والصدر لخدمته مشروح ، وقرعوا بابه وإذا الباب مفتوح ، وواصلوا البكاء
فالجن بالدمع مقروح ، وقاموا فى الأسحار قيام من يبكى وينوح ، وصبروا على
مقطعات الصوف ولبس المسوح ، وراضوا أنفسهم فإذا المذموم ممدوح .

تعرفهم بسيماهم عليهم آثار الصديق تلوح ، قد عبقوا بنشر أنسه رائحة ارتياحهم
تفوح ، من طيب الثنا روائح لهم بكل مكان تستشوق ، ممسكة النفحات إلا أنها
وحشية لسواهم لا تعبق .



□ الكبيرة السادسة والثلاثون □

عدم التنزه من البول وهو شعار النصارى

قال الله تعالى: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾^(١)، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرئ من البول»^(٢) أى لا يتحرز منه. مخرج فى الصحيحين، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه» رواه الدار قطنى^(٣).

ثم إن من لم يتحرز من البول فى بدنه وثيابه فصلاته غير مقبولة. وروى الحافظ أبو نعيم فى «الحلية» عن شقى بن مائع الأصبحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسعون ما بين الحميم والحميم، ويدعون بالويل والثبور، ويقول أهل النار لبعضهم البعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى. قال: فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاءه، ورجل يسيل فمه قيحا ودما، ورجل يأكل لحمه. قال: فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد مات وفى عنقه أموال الناس، ثم قال للذى يجر أمعاءه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، فيقول: إن الأبعد كان لا يبالى أين ما أصاب البول منه (ولا يغسله). ثم يقال للذى يسيل فمه قيحا ودما: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان ينظر كل كلمة قيحة فيستلذها». وفى رواية: «كان يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة، ثم

(١) سورة المدثر آية ٤.

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٣٧٨، ٦٠٥٢، ١٣٦١) ومسلم (٢٩٢) وأبو داود (٢٠) والترمذي (٧٠) والنسائي (٢٨/١-٣٠) وابن ماجه (٣٤٧) وأحمد (٢٢٥/١) عن ابن عباس.

(٣) رواه الدارقطني (١٢٨/١) عن أبي هريرة، ورواه ابن أبي شيبة (٢/٤٤/١) وابن ماجه (٣٤٨) والدارقطني (١٢٨/١) والأجري فى الشريعة (ص ٣٦٢، ٣٦٣) والحاكم (١٨٣/١).

ورواه أحمد (٣٢٦/٢، ٣٨٨، ٣٨٩) عنه بلفظ «أكثر عذاب القبر من البول»، وإسناده صحيح على شرطهما كما قال الحاكم والذهبي والألبانى وله شاهد من حديث ابن عباس وأنس وراجع الإرواء (٢٨٠) وصحيح الجامع (٣٠٠٢).

يقال للذي يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس - يعنى بالغيبة^(١)، فنسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه إنه أرحم الراحمين.

□ موعظة □

أيها العبيد تذكروا بمصارع الذين سبقوا، وتدبروا في عواقبهم أين انطلقوا؟، واعملوا أنهم قد تقاسموا وافترقوا، أما أهل الخير فسعدوا وأما أهل الشر فشقوا، فانظر لنفسك قبل أن تلقى مالمقوا.

| | |
|----------------------------|--------------------------------|
| والمرء مثل هلال عند مطلعته | يبدو ضئيلا لطيفا ثم يتسق |
| يزداد حتى إذا ما تم أعقبه | كر الجديدين نقصا ثم يمتحق |
| كان الشباب رداء قد بهجت به | فقد تطاير منه للبلا خرق |
| ومات مبتسم جد المشيب به | كالليل ينهض في أعجازه الأفق |
| عجبت والدهر لا تفني عجائبه | من راكنين إلى الدنيا وقد صدقوا |
| وطالما نغصت بالفجع صاحبها | بطارق الفجع والتغريض قد طرقوا |
| دار تعد بها الآجال مهلكة | وذو التجارب فيها خائف فرق |
| يا للرجال لمخدوع بباطلها | بعد البيان ومغرور بها يثق |
| أقول والنفس تدعوني لزخرفها | أين الملوك، ملوك الناس والسوق |
| أين الذين إلي لذاتها جنحوا | قد كان قبلهم عيش ومرتفق |
| أمست مساكنهم قفرا معطلة | كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا |
| يا أهل لذة دار لا بقاء لها | إن اغترار بظل زائل حمق |



(١) رواه ابن أبي الدنيا في الغيبة (٤٩) و«الصمت» (١٨٦) وأبو نعيم (١٦٧/٥) والطبراني كبير (٧٢٢٦) وابن المبارك في الزوائد للزهد (٣٢٨) عن شفي بن مائع وهو تابعي على الراجح فالحديث مرسل ورجاله ثقات. وروى نحوه ابن المبارك في الزوائد (٣٣٦) وابن أبي الدنيا في «وصف النار» (٣٧) عنه أيضا.

□ الكبيرة السابعة والثلاثون □

الرياء

قال الله تعالى مخبرا عن المنافقين: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١). وقال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(٢)، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾^(٣)، وقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٤).

أى لا يرائى بعمله. وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلی الله علیه وسلم: «إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فى سبيل الله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فىك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جريء، وقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تجب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار. ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فىك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم، وقرأت ليقال هو قارىء، ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار» رواه مسلم^(٥). وقال صلی الله علیه وسلم: «من سمع سمع الله به، ومن يرائى يرائى به»^(٦). قال الخطابى: معناه من عمل عملا على غير إخلاص إنما يريد أن يراه

(١) سورة النساء آية ١٤٢ .

(٢) سورة الماعون آية ٤-٧ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٦٤ .

(٤) سورة الكهف آية ١١٠ .

(٥) رواه مسلم (١٩٠٥) .

(٦) سبق تخريجه فى أول الكتاب .

الناس ويسمعه جوزى على ذلك بأنه يشهره ويفضحه ، فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك ، والله أعلم .

وقال عليه السلام : « اليسير من الرياء شرك »^(١) . وقال عليه السلام : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » ، فقليل : وما هو يارسول الله ؟ قال : « الرياء . يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء »^(٢) ، وقيل فى قول الله تعالى : « وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ »^(٣) قيل : كانوا عملوا أعمالا كانوا يرونها فى الدنيا حسنات بدت لهم يوم القيامة سيئات ، وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية يقول و يل لأهل الرياء . وقيل : إن المرائى ينادى به يوم القيامة بأربعة أسماء : يا مرائى ، يا غادر ، يا فاجر ، يا خاسر ، اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا . وقال الحسن : المرائى يريد أن يغلب قدر الله فيه هو رجل سوء ، يريد أن يقول الناس هو صالح ، فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء ؟ فلا بد من قلوب المؤمنين أن تعرفه . وقال قتادة : إذا رأى العبد يقول الله : انظروا إلى عبدى كيف يستهزئ بى ، وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نظر إلى رجل وهو يطاطئ رقبتة ، فقال : يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ، ليس الخشوع فى الرقاب إنما الخشوع فى القلوب ، وقيل إن أبا أمامة الباهلى رضي الله عنه أتى على رجل فى المسجد وهو ساجد يركى فى سجوده ويدعو ، فقال له أبو أمامة : أنت ، أنت ، لو كان هذا فى بيتك ! وقال محمد بن المبارك الصورى : أظهر السميت بالليل فإنه أشرف من إظهاره بالنهار ، لأن السميت بالنهار للمخلوقين ، والسميت بالليل لرب العالمين . وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه : للمرائى ثلاث علامات : يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان فى الناس ، ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه ، وينقص إذا ذم به . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما ، فنسأل الله المعونة والإخلاص فى الأعمال والأقوال والحركات والسكنات إنه جواد كريم .

(١) سبق تخريجه فى أول الكتاب . (٢) سبق تخريجه .

(٣) الزمر آية ٤٧ .

□ موعظة □

عباد الله ! إن أيامكم قلائل ومواعظكم قوائل ، فليخبر الأواخر الأوائل ، وليستيقظ الغافل قبل سير القوافل ، يا من يوقن أنه لاشك راحل ، وما له زاد ولا راحل ، يامن لج في لجة الهوى متى ترتقى إلى الساحل ؟ هل انتبهت من رقاد شامل ، وحضرت المواعظ بقلب غير غافل ، وقمت في الليل قيام عاقل ، وكتبت بالدموع سطور الرسائل ، تخفى بها زفرات الندم والوسائل ، وبعثتها في سفينة دمع سائل لعلها ترسو على الساحل . وأسفا لمغرور جهول غافل ، لقد أثقل بعد الكهوله بالذنب الكاهل ، وقد ضيع البطالة وبذل الجاهل ، وركن إلى ركوب الهوى ركة مائل ، بينى البنيان ويشيد المعقل ، وهو عن ذكر قبره متشاغل ، ويدعى بعد هذا أنه عاقل . تالله لقد سبقه الأبطال إلى أعلى المنازل ، وهو يؤمل في بطالته فوز العامل وهيئات هيئات ما فاز باطل بطائل :

| | |
|---------------------|------------------|
| أيها المعجب فخرا | بمقاصير البيوت |
| إنما الدنيا محل | لقيام وقنوت |
| فغدا تنزل بيتا | ضيقا بعد النحوت |
| بين أقصوام سكوت | ناطقات في الصموت |
| فارض في الدنيا بثوب | ومن العيش بقوت |
| وأخذ بيتا ضعيفا | مثل بيت العنكبوت |
| ثم قل : يا نفس هذا | بيت مشواك فموتي |



□ الكبيرة الثامنة والثلاثون □

التعلم للدنيا وكتمان العلم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١) يعنى العلماء بالله عزوجل، قال ابن عباس: يريد إنما يخافنى من خلقى من علم جبروتى وعزتى وسلطانى. وقال مجاهد والشعبي: العالم من خاف الله تعالى. وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله فليس بعالم. وقال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾^(٢)

نزلت هذه الآية فى علماء اليهود، وأراد ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ الرجم والحدود والأحكام، ﴿وَالْهُدَىٰ﴾ أمر محمد ﷺ، ونعته ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾ أى بنى إسرائيل ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ أى فى التوراة، ﴿أُولَٰئِكَ﴾ يعنى الذين يكتمون ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾، قال ابن عباس: كل شئ لا الجن والإنس. وقال ابن مسعود: ما تلاعن اثنين من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين يكتمون أمر محمد ﷺ وصفته. وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُغِضَ مَا يَشْتَرُونَ﴾^(٣).

قال الواحدى: نزلت هذه الآية فى يهود المدينة، أخذ الله ميثاقهم فى التوراة ليبين شأن محمد ﷺ ونعته ومبعثه ولا يخفونه، وهو قول تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾، وقال الحسن: هذا ميثاق الله تعالى على علماء اليهود أن يبينوا

(١) سورة فاطر آية ٢٨.

(٢) سورة البقرة آية ١٥٩.

(٣) سورة آل عمران آية ١٨٧.

للحافظ الذهبي

١٥٩

للناس مافى كتابهم ، وفيه ذكر رسول الله ﷺ وقوله : ﴿فَبَذَلُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾^(١)
قال ابن عباس : أى ألقوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم ، ﴿وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^(٢)
يعني ماكانوا يأخذونه من سفلتهم برياستهم فى العلم ، وقوله : ﴿فَبَيْسَ مَا
يَشْتَرُونَ﴾ . قال ابن عباس : قبح شراؤهم وخسروا . وقال رسول الله ﷺ : «من
تعلم علما مما يتغنى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد
عرف الجنة» يعنى ربحها رواه أبو داود^(٣) وقد مر حديث أبي هريرة فى الثلاثة الذين
يسحبون إلى النار ، أحدهم الذى يقال له : إنما «تعلمت ليقل عالم وقد قيل» ،
وقال ﷺ : «من ابتغى العلم ليهامى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو تقبل أفئدة
الناس إليه ، فإلى النار» . وفى لفظ : «أدخله الله النار»^(٤) أخرجه الترمذى ، وقال
ﷺ : «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»^(٥) . وكان من
دعاء رسول الله ﷺ : «أعوذ بك من علم لا ينفع»^(٦) . وقال ﷺ : «من تعلم
علما لم يعمل به لم يزد العلم إلا كبرا»^(٧) . وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول
الله ﷺ : «يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف فى النار فيدور بقصبه كما يدور
الحمار بالرحا فيقال له : بما لقيت هذا وإنما اهتدينا بك فيقول : كنت أخالفكم إلى
مأنهاكم عنه»^(٨) . وقال هلال بن العلاء : طلب العلم شديد وحفظه أشد من طلبه
والعمل به أشد من حفظه ، والسلامة منه أشد من العمل به فנסأل الله السلامة من
كل بلاء والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

(١) رواه أحمد (٣٣٨/٢) وأبو داود (٣٦٦٤) وابن ماجه (٢٥٢) والحاكم (٨٥/١) وابن حبان (٧٨)
وابن عبد البر فى جامع العلم (ص ٢٣٠) عن أبي هريرة وصححه الشيخ فى الصحيح (٦١٥٩) .
(٢) رواه ابن ماجه والبغدادى فى إقتضاء العلم (ص ١٠٢) وصححه الشيخ فى الصحيح (٦١٥٨) .
(٣) رواه أحمد (٢٦٣/٢ ، ٣٠٥) وأبو داود (٣٦٥٨) والترمذى (٢٦٤٩) والنسائى وابن ماجه (٢٦١)
والبيهقى شعب (١٦١٢) عن أبي هريرة وصححه الشيخ فى الصحيح (٦٢٨٤) .
(٤) رواه ابن أبي شيبه (١٨٧/١٠) ومسلم (٢٧٢٢) وابن عبد البر فى العلم (ص ٢١٥) عن زيد بن
أرقم ، ورواه الطيالسى (٢٠٠٧) وابن أبي شيبه (١٨٧/١٠ ، ١٨٨) وأحمد (١٩٢/٣)
والنسائى (٢٦٤/٨) والحاكم (١٠٤/١) عن أنس .
(٥) روى نحوه ابن ماجه (٢٥٨) عن ابن عمر وإسناده ضعيف وجاء بلفظه عن ابن مسعود موقوفا .
(٦) أخرجه الأصبهاني فى الترغيب (٢١٣٦) وسنده ضعيف .

□ موعظة □

ابن آدم! متى تذكر عواقب الأمور؟ متى ترحل الرحال عن هذه القصور؟ إلى متى أنت في جميع ما تبني تدور؟ أين من كان من قبلكم في المنازل والدور؟ أين من ظن بسوء تدبيره أنه لا يحور؟ رحل والله الكل فاجتمعوا في القبور؟ واستوطنوا أحسن المهاد إلى نفخ الصور، فإذا قاموا إلى فصل القضاء والسماء تمور، كشفوا الحجاب المخفي وهتك المستور، وظهرت عجائب الأفعال وحصل مافى الصدور، ونصب الصراط فكم من قدم عثور، ووضعت عليه كلاليب لخطف كل مغرور، وأصبحت وجوه المتقين تشرق كالبدور. وباءوا بتجارة لن تبور، ودعا أهل الفجور بالويل والثبور، وجيء بالنار تقاد بالأزمة وهي تفور، ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ﴾

| | |
|---------------------|------------------|
| ليس في الدنيا لمن آ | من بالبعث سرور |
| إنما يفرح بالدن | يا جهول أو كفور |
| إنما الدنيا متاع | كل ما فيها غرور |
| فتذكر هول يوم | السماء فسيه تمور |



□ الكبيرة التاسعة والثلاثون □

الخيانة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

قال الواحدى رحمه الله تعالى: نزلت هذه الآية فى أبى لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى قريظة لما حاصروهم وكان أهله وولده فيهم، فقالوا: يا أبا لبابة ماترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه أى أنه الذبح فلا تفعلوا، فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله قال أبو لبابة: فما زالت قدماى من مكاني حتى عرفت أنى خنت الله ورسوله^(٢)، وقوله: ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عطف على النهى أى ولا تخونوا أماناتكم. قال ابن عباس: الأمانات الأعمال التى اتّمن الله عليها العباد، يعنى الفرائض يقول: لا تنقضوها. قال الكلبي: أما خيانة الله ورسوله فمعصيتهما، وأما خيانة الأمانة: فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه، إن شاء خانها وإن شاء أداها لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى. وقوله: ﴿أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنها أمانة من غير شبهة، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ أى لا يرشد كيد من خان أمانته يعنى أنه يفتضح فى العاقبة بحرمان الهداية. وقال ﷺ: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتّمن خان»^(٣). وقال رسول الله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»^(٤).

(١) سورة الأنفال آية ٢٨ .

(٢) قال فى الدر (٣٢٣/٣) رواه سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عبد الله بن قتادة - فذكره . ورواه سنيد وابن جرير عن الزهري به وأخرجه عبد حميد عن الكلبي .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) رواه ابن أبي شيبه فى الإيمان (٧) وفى المصنف (١١/١١) وأحمد (٣/١٣٥، ١٥٤، ٢١٠) والقضاعي (٨٤٩، ٨٥٠) وابن حبان (١٩٤) والبيهقي (٦/٢٨٨) والبغوي (٣٨) عن أنس .

وحسنه الشيخ فى الصحيح (٧١٧٩) .

والخيانة قبيحة في كل شيء وبعضها شر من بعض ، وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم . وعن رسول الله ﷺ أنه قال : « أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك »^(١) . وفي الحديث أيضا : « يطبع المؤمن على كل شيء ليس الخيانة والكذب »^(٢) وقال رسول الله ﷺ : « يقول الله : أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه »^(٣) ، وفيه أيضا : « أول ما يرفع من الناس الأمانة ، وآخر ما يبقى الصلاة ، ورب مصل لا خير فيه »^(٤) . وقال رسول الله ﷺ : « إياكم والخيانة فإنها بثست البطانة »^(٥) ، وقال ﷺ : « هكذا أهل النار وذكر منهم رجلا لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانته »^(٦) . وقال ابن مسعود : « يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة الذي خان فيها فيقال له : أد أمانتك ، فيقول : أنى يارب وقد ذهبت الدنيا ؟ قال : فتمثل له كهيتها يوم أخذها في قعر جهنم ، ثم يقال له : انزل إليها فأخرجها ، قال : فينزل إليها فيحملها على عاتقه فهي عليه أثقل من جبال الدنيا ، حتى إذا ظن أنه ناج هوت وهوى في أثرها أبد الآبدين ثم قال : الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والغسل أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة ، وأعظم ذلك الودائع » ، اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك .

(١) رواه أبو داود والترمذي والحاكم عن أبي هريرة والدارقطني والضياء عن أنس ، والطبراني عن أبي أمامة ، والدارقطني عن أبي بن كعب وصححه الشيخ في الصحيحين (٤٢٤) وفي الصحيح (٢٤٠) .

(٢) سبق تحريجه .

(٣) رواه الخطيب في تاريخه (٣١٦/٤) من طريق محمد بن سليمان لوين أخبرنا أبو همام الأهوازي عن أبي حيان التميمي عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا ، وقال لوين : لم يسنده أحد إلا أبو همام وحده وهو ثبت ، قلت : وإسناده حسن .

(٤) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص ٢٨) والضياء في المختارة (٤٩٥/١) وأبو نعيم في الحلية (٢٦٥/٦) وأخبار أصبهان (٢١٣/٢) عن أنس - هذا عزو الشيخ في الصحيحين (١٧٣٩) - صححه الشيخ هناك .

(٥) رواه أبو داود (١٥٤٧) والنسائي (٢٦٣/٨) وابن ماجه (٣٣٥٤) وابن حبان (١٠٢٩) والبغوي (١٣٧٠) عن أبي هريرة بلفظ « اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بثس الضجيع » الحديث وحسنه الشيخ في الجامع (١٢٨٣) .

(٦) رواه مسلم (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار .

□ موعظة □

عباد الله! ما أشرف الأوقات وقد ضيعتموها، وما أجهل النفوس وقد أطعمتموها،
وما أدق السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها، وما أحفظ الصحف بالأعمال
فتدبروا ما أودعتموها، قبل الرحيل عن القليل والمناقشة عن النقيير والفتيل قبل أن
تنزلوا بطون اللحود، وتصيروا طعاماً للدود في بيت بابه مسدود، ولو قيل فيه
للعاصي ماتختار لقال أعود ولا أعود:

| | |
|---------------------------------|---------------------------|
| أين أهل الديار من قوم نوح | ثم عاد من بعدهم وثمود |
| بينما القوم في النمارق والإستبـ | رق أفضت إلى التراب الخدود |
| وصحيح أضحى يعود مريضاً | وهو أدنى للموت ممن يعود |



□ الكبيرة الأربعون □

المنان

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (١).

قال الواحدى: هو أن يمن بما أعطى، وقال الكلبي: بالمن على الله فى صدقته والأذى لصاحبها، وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» (٢).

المسبل هو الذى يسبل إزاره أو ثيابه أو قميصه أو سراويله حتى تكون إلى القدمين، لأنه ﷺ قال: «ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو فى النار» (٣).

وفى الحديث أيضا: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان» رواه النسائي (٤). وفيه أيضا: «لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان» (٥). والخب هو المكر والخديعة، والمنان هو الذى يعطى شيئا أو يتصدق به ثم يمن به.

وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «إياكم والمن بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر» (٦)، ثم تلا رسول الله ﷺ قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾

وسمع ابن سيرين رجلا يقول لآخر: أحسنت إليك وفعلت وفعلت. فقال له ابن سيرين: أسكت فلا خير فى المعروف إذا أحصى. وكان بعضهم يقول: من من بمعروفه سقط من شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره.

(١) البقرة آية ٢٦٤.

(٢)، (٣)، (٤) سبق تخريجهم.

(٥) رواه الترمذى (٢٠٢٩) وابن ماجه (٣٦٩١) والبيهقى شعب (١٠٨٦٢) والخرايطى فى المساوى (٣٥٩، ٣٦٠) عن أبى بكر وضعفه الشيخ فى الجامع (٦٣٥٤).

(٦) لم أعثر عليه.

للحافظ الذهبي

١٦٥

وأنشد الشافعي رحمه الله تعالى:

لا تحمِلن من الأنام بأن يمنوا عليك منه
واختر لنفسك حظها وأصبر فإن الصبر جنة
من الرجال على القلوب أشد من وقع الأسنة

وأنشد بعضهم فقال:

وصاحب سلفت منه إلي يد أبطأ عليه مكافأتي فعاداني
لما تيقن أن الدهر حاربني أبديس الندامة مما كان أولاني
أفسدت بالمن ما قدمت من حسن ليس الكريم إذا أعطى بمنان

□ موعظة □

يامبادرا بالخطايا ما أجهلك ! إلى متى تغتر بالذي أمهلك ، كأنه قد أهملك ؟
فكأنك بالموت وقد جاء بك وأنهلك ، وأذن الرحيل وقد أفرعك الملك ، وأسرك
البلا بعد الهوى وعقلك ، وندمت على وزر عظيم قد أثقلك .

يا مطمئنا بالفاني ما أكثر زللك ، ويا معرضا عن النصح كأن النصح ما قيل لك ،
أين حبيبك الذي كان وأين أنتقل ؟ أما وعظك التلف في جسده والمقل ، أين كثير
المال ؟ أين طويل الأمل ؟ أما خلا وحده في لحده بالعمل ، أين من جر ثوبه الخيلاء
غافلا ورفل ؟ أما سافر به وإلى الآن ما وصل ، أين من تنعم في قصره فكأنه في
الدنيا ما كان وفي قبره لم يزل ؟ ، أين من تفوق واحتفل ؟ غاب والله نجم سعوده
وأفل . أين الأكاسرة والجبابرة العتاة الأول ، ملك أموالهم سواهم والدنيا دول .



□ الكبيرة الحادية والأربعون □

التكذيب بالقدر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(١).

قال ابن الجوزي في تفسيره: في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن مشركي مكة أتوا رسول الله ﷺ يخاصمونهم في القدر فنزلت هذه الآية. وانفرد بإخراجه مسلم^(٢) وروى أبو أمامة أن هذه الآية في القدرية^(٣). والقول: الثاني: أن أسقف نجران جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد تزعم أن المعاصي بقدر وليس كذلك. فقال ﷺ: «أنتم خصماء الله» فنزلت هذه الآية:

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٤)

وروى عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة أمر مناديا فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرين: أين خصماء الله؟ فتقوم القدرية فيؤمر بهم إلى النار»^(٥). يقول الله: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، وإنما قيل لهم خصماء الله لأنهم يخاصمون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها^(٦).

(١) سورة القمر آية ٤٩.

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٦/١٩) وأحمد (٤٤٤/٢) والواحدي في أسباب النزول (٨٢٦) واللالكائي في «السنة» (٩٤٧) والترمذي (٢١٥٧) عن أبي هريرة.

(٣) رواه ابن عدي (٣٨٠/٥) والواحدي في أسباب النزول (٨٢٧) من طريق عفير بن معدان وهو

مجمع على ضعفه. (٤) رواه الواحدي (٨٢٨) عن طريق بحر السقاء عن شيخ من قريش عن عطاء به. إسناده ضعيف وفيه ثلاث علل الانقطاع والضعف والجهالة.

(٥) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٣٣٦) والطبراني في الأوسط (٦٥١٠) وقال الشيخ إسناده ضعيف في ظلال الجنة.

(٦) رواه الطبراني كبير (١١١٦٣) عن ابن عباس وقال الهيثمي (١١٧/٧) وفيه عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف.

للحافظ الذهبي

١٦٧

وروى هشام بن حسان عن الحسن قال: والله لو أن قدريا صام حتى يصير كالجبل، ثم صلي حتى يصير كالوتر لكبه الله على وجهه في سقر، ثم قيل له ذق مس سقر ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر، قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»^(١). وقال ابن عباس: كل شيء خلقناه بقدر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه^(٢). قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. قال ابن جرير: فيها وجهان، أحدهما: أن تكون بمعنى المصدر فيكون المعنى: والله خلقكم وعملكم، والثاني: أن تكون بمعنى الذي فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام، وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة والله أعلم.

وقال الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ الإلهام إيقاع الشيء في النفس، قال سعيد بن جبير: ألزمها فجورها وتقواها. وقال ابن زيد: جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور والله أعلم.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله من على قوم فألهمهم الخير فأدخلهم في رحمته، وابتلى قوما فخذلهم وذمهم على أفعالهم ولم يستطيعوا غير ما ابتلاهم فعذبهم وهو عادل» ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٣). وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مابعث الله نبيا قط وفي أمته قدرية ومرجئة، إن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيا»^(٤). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «القدرية مجوس هذه الأمة»^(٥).

(١) رواه مالك (٢/٨٩٩) وأحمد (٢/١١٠) والبخاري في خلق أفعال العباد (ص ٢٥) ومسلم (٢٦٥٥) والبخاري (٧٣).
 (٢) ذكره البخاري في خلق أفعال العباد (ص ٢٦) عنه بلفظ «كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خلك».
 (٣) رواه الدارقطني في الأفراد (٢/٤٦)، (١-٧٦-٢) طبقات الأصبهانيين (١/٧٦) (٢٠٠١) أخبار أصبهان (١/٣٢٦) عن أبي هريرة هذا عزو الشيخ في الضعيفة (١٦٤٠) وضعفه الشيخ وفي ضعيف الجامع (١٦٦٣).
 (٤) رواه ابن أبي عاصم (٣٢٥) والخطيب في الموضح (٢/٦) والطبراني (٢٠/١١٧/٢٣٢) وضعفه الشيخ الألباني في ظلال الجنة.
 (٥) حسن: رواه أبو داود (٤٦٩١) والحاكم وابن أبي عاصم (٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١) عن ابن عمر، ورواه ابن أبي عاصم (٣٤٢) والدولابي (١/١٤٨) والآجري (ص ١٩١) عن أبي هريرة. وحسنه الشيخ في ظلال الجنة وفي صحيح الجامع (٤٤٤٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة»^(١) «الذين يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف». قال: فإذا لقيتهم فأخبرهم أنني منهم بريء وأنهم براء مني» ثم قال: «والذي نفسي بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبل حتى يؤمن بالقدر خيره وشره» ثم ذكر حديث جبريل وسؤاله النبي ﷺ «قال: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(٢).

قوله: « أن تؤمن بالله» الإيمان بالله التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال، منزّه عن صفات النقص، وأنه فرد صمد خالق جميع المخلوقات، متصرف فيها بما يشاء في ملكه ما يريد. والإيمان بالملائكة هو التصديق بعبوديتهم لله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(٣)

والإيمان بالرسول هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى أيدهم الله بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأنهم بلغوا عن الله تعالى رسالاته وبيّنوا للمكلفين ما أمرهم الله به، وأنه يجب احترامهم، وأن لا يفرق بين أحد منهم.

والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار، وأنهما دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح به النقل. والإيمان بالقدر: هو التصديق بما تقدم ذكره، وحاصله ما دل عليه قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٤) وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

(١) رواه أبو داود (٤٦٩١) وقد سبق فراجع، وأبو داود (٤٦٩٥) والترمذي (٢٧٣٨) وأحمد (٢٧/١) عن عبد الله بن عمر عن عمر.

(٢) رواه مسلم (٨) عن عمر.

(٣) سورة الأنبياء آية ٢٦: ٢٨.

(٤) سورة الصافات آية ٩٦.

ومن ذلك قوله ﷺ في حديث ابن عباس: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»^(١). ومذهب السلف وأئمة الخلف أن من صدق بهذه الأمور تصديقا جازما لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمنا حقا، سواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو اعتقادات جازمة والله أعلم.

□ فصل □

أجمع سبعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين والسلف وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ أولها: الرضا بقضاء الله وقدره، والتسليم لأمره، والصبر تحت حكمه، والأخذ بما أمر الله به، والنهي عما نهى الله عنه، وإخلاص العمل لله، والإيمان بالقدر خيره وشره، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين، والمسح على الخفين، والجهاد مع كل خليفة براً وفاجراً، والصلاة على من مات من أهل القبلة.

والإيمان: قول وعمل ونية، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والقرآن كلام الله نزل به جبريل على نبيه محمد ﷺ غير مخلوق، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا ولا نكفر أحداً من أهل القبلة وإن عمل بالكبائر إلا أن استحلوها، ولا نشهد لأحد من أهل القبلة بالجنة لخير أتى به إلا من شهد له النبي ﷺ، والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ. وأفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم على رضي الله عنهم أجمعين ونترحم على جميع أزواج النبي ﷺ وأولاده وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

(١) رواه أحمد (٢٩٣/١، ٣٠٣) والترمذي (٢٥١٦) وعبد بن حميد (٦٣٦) وابن أبي عاصم (٣١٥، ٣١٦) والطبراني (١١٢٤٣، ١١٤١٦) والآنسري (ص ١٨٩) وأبو يعلى (٢٥٤٩) وابن السني (٤١٩) وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

□ فائدة □

فيها من كلام الناس ما هو كفر، صرحت به العلماء منها: ما لو سخر باسم من أسماء الله أو بأمره أو وعده أو وعيده، كفر، ولو قال: لو أمرني الله بكذا ما فعلت: كفر، ولو صارت القبلة في هذه الجهة ماصليت إليها: كفر، ولو قيل له: ألا تترك الصلاة فإن الله يؤاخذك فقال: لو آخذني بها مع ما في من المرض والشدة لظلمني: كفر. ولو قال: لو شهد عندى الأنبياء والملائكة بكذا ما صدقت، كفر، ولو قيل له: قلم أظافرك فإنها سنة، فقال: لا أفعل وإن كانت سنة: كفر، ولو قال: فلان في عيني كاليهودي: كفر. ولو قال: إن الله جلس للإنصاف أو قام للإنصاف: كفر، وجاء في وجه: من قال لمسلم: لا ختم الله لك بخير أو سلبك الإيمان، كفر وجاء أيضا أن من طلب يمين إنسان فأراد أن يحلف بالله فقال: أريد أن تحلف بالطلاق: كفر. واختلفوا في من قال: رؤيتي لك كرؤية الموت، فقال بعضهم يكفر. ولو قال: لو كان فلان نبياً ما آمنت به: كفر. ولو قال: إن كان ما قاله صدقاً نجونا، كفر. ولو صلى بغير وضوء استهزاءً أو استحلالاً، كفر. ولو تنازع رجلان فقال أحدهما: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال الآخر: لا حول ولا قوة إلا بالله لا تغنى من جوع: كفر، ولو سمع أذان المؤذن فقال: إنه يكذب، كفر. ولو قال: لا أخاف القيامة، كفر. ولو وضع متاعه فقال: سلمته إلى الله فقال له رجل: سلمته إلى من لا يتبع السارق قد كفر. ولو جلس رجل على مكان مرتفع تشبهاً بالخطيب فسألوه المسائل وهم يضحكون أو قال أحدهم: قصعة ثريد خير من العلم، كفر. ولو ابتلى بمصائب فقال أخذت مالى وولدى وماذا تفعل، كفر. ولو ضرب ولده أو غلامه فقال له رجل: أأست بمسلم؟ فقال: لا - متعمداً - كفر. ولو تمنى أن لا يحرم الله الزنا أو القتل أو الظلم، كفر. ولو شد على وسطه حبلاً فسئل عنه فقال: هذا زنا فالأكثر على أنه يكفر. ولو قال معلم الصبيان: اليهود خير من المسلمين لأنهم يعطون معلمى صبيانهم كفر. ولو قال: النصراني خير من

— للحافظ الذهبي — ١٧١ —

المجوسى، كفر. ولو قيل لرجل: ما الإيمان؟ فقال: لا أدري، كفر. ومن ذلك ألفاظ مستكرهة مستنكرة وهى: لا دين لك، لا إيمان لك، لا يقين لك، أنت فاجر، أنت منافق، أنت زنديق، أنت فاسق. ومن ذا وأشباهه كله حرام ويخشى على العبد بها سلب الإيمان والخلود فى النار، فنسأل الله المنان بلطفه أن يتوفانا مسلمين على الكتاب والسنة إنه أرحم الراحمين.

□ موعظة □

عباد الله! أين الذين كنزوا الكنوز وجمعوا وثلموا من الشهوات وشبعوا، وأملوا البقاء فما نالوا فيها ما طمعوا، وفنيت أعمارهم بما غروا به وخدعوا؟ نصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا، وجاءهم ملك الموت فذلوا وخضعوا، وأخرجهم من ديارهم فلا والله ما رجعوا، فهم مفترقون فى القبور فإذا نفخ فى الصور اجتمعوا.

| | |
|------------------------------|---------------------------------|
| وكيف قرت لأهل العلم أعينهم | أو استلذوا لذيد العيش أو هجعوا |
| والموت ينذرهم جهرا علانية | لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا |
| والنار ضاحية لأبد موردتهم | وليس يدرون من ينجو ومن يقع |
| وقد أمست الطير والأنعام آمنة | والنون فى البحر لا يخشى لها فزع |
| والآدمي بهذا الكسب مرتتهن | له رقيب على الأسرار يطلع |
| حتي يرى فيه يوم الجمع منفردا | وخصمه الجلد والأبصار والسمع |
| وإذا يقومون والأشهاد قائمة | والجن والإنس والأملأك قد خشعوا |
| وطارت الصحف فى الأيدي منشرة | فيها السرائر والأخبار تطلع |
| فكيف بالناس والأنبياء واقفة | عما قليل وما تدري بما تقع |
| أني الجنان وفوز لا انقطاع له | أم فى الجحيم فلا تبقي ولا تدع |
| تهوي بسكانها طورا وترفعهم | إذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا |
| طال البكاء فلم ينفع تضرعهم | هيهات لا رقة تغني ولا جزع |



□ الكبيرة الثانية والأربعون □

التسمع على الناس وما يسرون

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾^(١). قال ابن الجوزي رحمه الله: قرأ أبو رزين والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء. قال أبو عبيدة: التجسس والتجسس واحد - وهو التبعث - ومنه الجاسوس. وقال يحيى بن أبي كثير: التجسس بالجيم: عن عورات الناس، وبالحاء الاستماع لحديث القوم. قال المفسرون: التجسس: البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم. فالمعنى: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه إذا ستره الله. وقيل لابن مسعود: هذا الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا قال: إنا نهينا عن التجسس فإن يظهر لنا شيء نأخذ به^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة». أخرجه البخاري^(٣)، والآنك: الرصاص المذاب. نعوذ بالله منه، ونسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

□ موعظة □

عباد الله! إن المنايا قد دقت واقتربت، فالنفوس رهينة قد جمعت وتعبت كأنكم بأكف الردى قد أخذت وسلبت، رب شمس طالعة على القبر قد غربت، يا فراخ الفنا! فخاخ البلى قد نصبت، عباد الله: كل المعاصي قد سطرت وكتبت والنفوس رهينة بما جنت واكتسبت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾. يامن يغتر بالأمانى والآمال الكواذب، ومبارز بالقبايح وما يدرى من يحارب، يا حاضر البدن غير أن القلب غائب، أرضيت أن تفوتك الخيرات والרגائب؟ يامن عمره يفنى في ممره ويسري كالنجائب، يامن شاب وماتاب هذا من العجائب، يا عجبا كيف نام المطلوب وما غفل الطالب؟!

(١) سورة الحجرات آية ١٢.

(٢) زاد المسير (٤٧١/٧)، وأثر ابن مسعود رواه أبو داود (٤٨٩٠) وإسناده صحيح.

(٣) رواه البخاري (٧٠٤٢) والحميدي (٥٣١) وابن حبان (٥٦٨٥) والطبراني (١١٨٥٥) والبيهقي (٢٦٩/٧) وأحمد (٣٥٩، ٢١٦/١).

□ الكبيرة الثالثة والأربعون □

النمام

وهو من ينقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم . هذا بيانها .

وأما أحكامها فهي حرام بإجماع المسلمين ، وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْعُمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ (١) .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة نمام » (٢) وفي الحديث أن رسول الله ﷺ مر بقبرين قال : « إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما أنه كبير . أما أحدهما فكان لا يستبريء من بوله ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة . ثم أخذ جريدة رطبة فشققها اثنتين وغرز في كل قبر واحدة ، وقال لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا » (٣) .

وقوله : وما يعذبان في كبير أى ليس بكبير تركه عليهما ، أو ليس بكبير فى زعمهما . ولهذا قال فى رواية أخرى : « بلى إنه كبير » وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » (٤) « ومن كان ذا لسانين فى الدنيا فإن الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة » (٥) . ومعنى من كان ذا لسانين أى يتكلم مع هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام وهو بمعنى صاحب الوجهين . قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله : إنما تطلق فى الغالب على من ينم قول الغير إلى القول فيه بقوله فلان يقول فيك كذا . وليست

(١) سورة القلم آية ١٠-١١ .

(٢) رواه أحمد (٣٩٦، ٣٩١/٥) ومسلم (١٠٥) وابن أبي الدنيا فى الغيبة (١١٦) عن حذيفة ، ورواه البخاري (٦٠٥٦) ومسلم (١٠٥) وأبو داود (٤٨٧١) والترمذي (٢٠٢٦) والنسائي (٣١٨/٨) وأحمد (٣٨٩، ٣٨٢/٥) بلفظ « قات » .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) صحيح : رواه البخاري (٣٤٩٣، ٣٤٩٤، ٣٤٩٥) ومسلم (٢٥٢٦) والترمذي (٢٠٢٥) وابن حبان (٥٧٥٤) وأحمد (٣٠٧/٢) .

(٥) صحيح : رواه البخاري (١٣١٠) والطيالسي (٦٤٤) وابن حبان (٥٧٥٦) وأبو يعلى (١٦٣٧) .

النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث، وسواء أكان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء أو نحوها، وسواء كان من الأقوال أو الأعمال، وسواء كان عيباً أو غيره. فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه. وينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس إلا مافى حكايته فائدة للمسلمين أو دفع معصية. قال: وكل من حملت إليه النميمة وقيل له قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ستة أحوال:

(الأول): أن لا يصدقه لأنه «نمام» فاسق وهو مردود الخبر. (الثاني): أن ينهائه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله. (الثالث): أن يبغضه في الله عز وجل فإنه بغض عند الله والبغض في الله واجب. (الرابع): أن لا يظن في المنقول عنه السوء لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾^(١). (الخامس): أن لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾. (السادس): أن لا يرضى لنفسه مانهى النمام عنه فلا يحكى نميمته، وقد جاء أن رجلاً ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلاً بشيء فقال عمر: يا هذا إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾، وإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية ﴿هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً.

ورفع إنسان رقعة إلى صاحب بن عباد رحمه الله يحثه فيها على أخذ مال اليتيم وكان له مال كثير فكتب على ظهر الرقعة: النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة، والميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمره الله، والساعي لعنه الله. وقال الحسن البصري: من نقل إليك حديثاً فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك وهذا مثل قول الناس: من نقل إليك نقل عنك فاحذره. وقال ابن المبارك: ولد الزنا لا يكتم الحديث أشار به إلى أن كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنا استنباط من قول الله تعالى: ﴿عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾، والزنيم هو الدعي.

== للحافظ الذهبي == ١٧٥ ==

وروى أن بعض السلف الصالحين زار أخا له وذكر له عن بعض إخوانه شيئا يكرهه، فقال له: يا أخى أطلت الغيبة وأتيتني بثلاث جنایات: بغضت إلى أخى، وشغلت قلبى بسببه، واتهمت نفسك الأمانة. وكان بعضهم يقول: من أخبرك بشتم عن أخيك فهو الشاتم لك. وجاء رجل إلى على بن الحسين عليهما السلام فقال: إن فلانا شتمك وقال عنك كذا وكذا، فقال: اذهب بنا إليه، فذهب معه وهو يرى أن يتتصر لنفسه، فلما وصل إليه قال: يا أخى إن كان ما قلت فى حقنا فغفر الله لى، وإن كان ما قلت فى باطلا فغفر الله لك، وقيل فى قول الله تعالى: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ يعنى امرأة أبى لهب، أنها كانت تنقل الحديث بالنميمة. سمي النميمة حطبا لأنها سبب العداوة، كما أن الحطب سبب لاشتعال النار. ويقال: عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة.

□ حكاية □

روى أن رجلا رأى غلاما يباع وهو ينادى عليه ليس به عيب إلا أنه نمام فقط، فاستخف بالعيب واشتراه، فمكث عنده أياما ثم قال لزوجته سيده: إن سيدى يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى، وقال إنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فإذا نام فخذى موسى واحلقى شعرات من تحت لحيته واتركى الشعرات معك، فقالت فى نفسها: نعم. واشتغل قلب المرأة، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها، ثم جاء إلى زوجها وقال سيدى: إن سيدتى زوجتك قد اتخذت لها صديقا ومحبا غيرك ومالت إليه، وتريد أن تخلص منك، وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن لم تصدقنى فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجيء إليك وفى يدها شئ تريد أن تذبحك به، وصدقه سيده. فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال فى نفسه: والله صدق الغلام بما قال، فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به، فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه، فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشؤم ^(١).

(١) رواه ابن أبي الدنيا فى الغيبة (١٣٣) وفى الصمت (٢٧١) عن حماد بن سلمة عن حميد فذكره.

فَلَذَلِكَ سَمِيَ اللَّهُ النَّيْمَامَ فَاسِقًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (١).

□ موعظة □

يامن أسره الهوى فما يستطيع له فكاكا، يا غافلا عن التلف وقد أدركه إدراكا،
يا مغرورا بسلامته وقد نصب له الموت أشراكا، تفكر فى ارتحالك وأنت على حالك
فإن لم تبكى فتباكى.

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| بكيت فما تبكي شباب صباك | كفاك نذير الشيب فيك كفاك |
| ألم تر أن الشيب قد قام ناعيا | مكان الشباب الغض ثم نعاكا |
| ألم تر يوما مر إلا كأنه | بإهلاكه للهالكين عناكا |
| ألا أيها الفاني وقد حان حينه | أتطمع أن تبقي فلست هناكا |
| ستمضي ويبقى ماتراه كما تري | فينساك ما خلفته، هو ذاكا |
| تموت كما مات الذين نسيتهم | وتنسي ويهوي الحي بعد هواكا |
| كأنك قد أقصيت بعد تقرب | إليك وإن باك عليك بكاكا |
| كأن الذي يحشو عليك من الشري | يريد بما يجثو عليك رضاكا |
| كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة | عليك إذا الخطب الجليل أتاكا |
| تري الأرض كم فيها رهون دفيئة | غلقت فلم يقبل لهن فكاكا |



□ الكبيرة الرابعة والأربعون □

اللعان

قال النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»^(١). وقال ﷺ: «لعن المؤمن كقتله» أخرجه البخاري^(٢). وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»^(٣) وقال ﷺ: «لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا»^(٤). وفي الحديث: «ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا بالفاحش ولا بالبذيء»^(٥). والبذيء: هو الذي يتكلم بالفحش وردىء الكلام. وعن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينا وشمالا، فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذي لعن إن كان أهلا لذلك، وإلا رجعت إلى قائلها»^(٦)، وقد عاقب النبي ﷺ من لعنت ناقته بأن سلبها إياها، قال عمران بن حصين: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجت فلعتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة». قال عمران فكأنى أنظر إليها الآن تمشى في الناس ما يعرض لها أحد. أخرجه مسلم^(٧). وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه المسلم»^(٨).

(١) رواه البخاري (٦٠٤٨، ٦٠٤٤) وفي الأدب المفرد (٤٣١) ومسلم (٦٤) والترمذي (١٩٨٣) والنسائي (١٢٢/٧) وابن ماجه (٦٩) والحميدي (١٠٤) والطيالسي (٢٤٨) وأحمد (٤١١، ٣٨٥/١) عن ابن مسعود.
(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٠٤٧) ومسلم (١١٠) من حديث ثابت بن الضحاك.
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٨) عن أبي الدرداء.
(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٧) عن أبي هريرة.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) رواه أبو داود (٤٩٠٥) وابن أبي الدنيا في الصمت (٢٠٢) وصححه الشيخ في صحيح الجامع (١٦٧٢) والصحيح (١٢٦٩).
(٧) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٥).
(٨) سبق تخريجه.

وعن عمرو بن قيس قال : إذا ركب الرجل دابته قالت : اللهم اجعله بى رفيقا
رحيما فإذا لعنها قالت : على أعصانا لله ورسوله لعنه الله عز وجل .

□ فصل □

فى جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين قال الله تعالى : ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الظَّالِمِينَ﴾^(١) . وقال : ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٢) .

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده
وكاتبه»^(٣) . وإنه قال : «لعن الله المحلل والمحلل له»^(٤) وأنه قال : «لعن الله
الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة»^(٥) . فالواصلة :
هى التى تصل شعرها ، والمستوصلة : هى التى يوصل لها ، والنامصة : هى التى
تتف الشعر من الحاجبين ، والمتنمصة : التى يفعل بها ذلك . وأنه ﷺ لعن الصالقة
والخالقة والشاقة^(٦) . فالصالقة : هى التى ترفع صوتها عند المصيبة ، والخالقة : هى
التي تحلق شعرها عند المصيبة ، والشاقة : هى التى تشق ثيابها عند المصيبة .

وأنه ﷺ لعن المصورين^(٧) ، وأنه لعن من غير منار الأرض^(٨) أى حدودها ، وأنه
قال : «لعن الله من لعن والديه ، ولعن من سب أمه»^(٩) . وفى السنن أنه قال : «لعن الله من

(١) سورة هود آية ١٨ .

(٢) سورة آل عمران آية ٦١ .

(٣)، (٤) سبق تخريجهما .

(٥) صحيح : رواه البخاري (٥٩٣١) ومسلم (٢١٢٥) عن ابن مسعود ، ورواه البخاري (٥٩٤٧) ومسلم (٢١٢٤) وأبو داود (٤١٨٦) والترمذي (٢٧٨٣) والنسائي (١٤٥/٨) وأحمد (٢١/٢) عن ابن عمر ، ورواه مسلم (٢١٢٦) والطحاوي (٤٢/٢) وأحمد (٣٨٧/٣) عن عائشة .

(٦) رواه البخاري (١٢٩٦) معلقا ووصله مسلم (١٠٤) وأبو عوانة (٥٦/١) والنسائي (٢٠/٤) وابن ماجه (١٥٨٦) عن أبي موسى ، ورواه ابن أبي شيبة (٢٩٠/٣) وابن ماجه (١٥٨٥) والطبراني (٧٥٩١) وابن حبان (٣١٥٦) عن أبي أمامة بلفظ «لعن الله الخامشة وجهها والشاقة جيبتها والداعية بالويل» ، وهو صحيح .

(٧) رواه البخاري (٢٠٨٦) عن أبي جحيفة .

(٨) روى أحمد (١٨٨/١، ١٥٢) والبخاري (١٧) فى الأدب المفرد ، ومسلم (١٩٧٨) والنسائي (٢٣٢/٧)

وأبو يعلى (٦٠٢) وابن حبان (٥٨٩٦) عن علي مرفوعا بلفظ «لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من سرق منار الأرض ، ولعن الله من لعن والديه ، ولعن الله من أوى محدثا» .

(٩) سبق فى الحديث السابق .

== للحافظ الذهبي ==

أضل أعمى عن الطريق^(١)، ولعن الله من أتى بهيمة^(٢)، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط^(٣)، «وأنه لعن من أتى كاهنا»^(٤)، «أو أتى امرأة في دبرها»^(٥)، «ولعن النائحة ومن حولها»^(٦)، «ولعن من أم قوما وهم له كارهون»^(٧)، «ولعن الله امرأة باتت وزوجها عليها ساخط»^(٨)، «ولعن رجالا سمع : حى على الصلاة، حى على الفلاح ثم لم يجب». «ولعن من ذبح لغير الله»^(٩)، «ولعن السارق»^(١٠)، «ولعن من سب الصحابة»^(١١)، «ولعن المخثنين من الرجال والمترجلات من النساء»^(١٢)، «ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»^(١٣)، «ولعن المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة»^(١٤). «ولعن من سل سخيمته على الطريق يعنى تغوط على طريق الناس»^(١٥)، «ولعن السلطاء». والمرأة السلطاء : التى لا تخضب يديها، والمرأة التى لا تكتحل، «ولعن من خبب امرأة على زوجها أو مملوكا على سيده»^(١٦) - يعنى أفسدها أو أفسده - «ولعن من أتى حائضا أو امرأة فى دبرها»^(١٧)، «ولعن من أشار إلى أخيه بحديدة»^(١٨)، «ولعن مانع الصدقة يعنى الزكاة»^(١٩)، «ولعن من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه»^(٢٠)، «ولعن من

(١)، (٢)، (٣) روي أحمد (١/٢١٧، ٣١٧) وأبو يعلى (٢١٢) وابن حبان وعبد بن حميد (٥٨٧) والبيهقي (٤٩٨٨) والسنن (٨/٢٣١) عن ابن عباس مرفوعا « لعن الله من تولى غير مواليه ولعن الله من غير تخوم الأرض » لعن الله من كره أعمى عن السبيل ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من وقع على بهيمة، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط، صحيح الجامع (٥٧٦٧).

(٤)، (٥) سبق تخريجهما (٦) روي أحمد وأبو داود عن أبي سعيد وهو ضعيف راجع الإرواء (٧٦٩) وضعيف الجامع (٤٦٩٣) بلفظ «لعن الله النائحة والمستمعة»

(٧) ورد بغير لعن عن أبي أمامة رواه الترمذي وهو في صحيح الجامع (٣٠٥٧).
(٨) جاء من أحاديث كثيرة منها ما رواه البخاري (٣٢٣٧) ومسلم (١٤٣٦) عن أبي هريرة.
(٩)، (١٠) سبق تخريجهما.

(١١) رواه الطبراني عن ابن عباس، والخطيب عن أنس والطبراني عن ابن عمر، وحسنه الشيخ في الصحيحة (٢٣٤٠) وصحيح الجامع (٥١١١).

(١٢)، (١٣)، (١٤) سبق تخريجهم.

(١٥) صحيح بغير هذا اللفظ وسيأتي.

(١٦) صحيح بلفظ «من خبب زوجة امرئ، أو مملوكه فليس منا» انظر صحيح الجامع (٦٢٢٣) والصحيحة (٣٢٤).

(١٧) سبق تخريجه.

(١٨) روي أحمد ومسلم عن أبي هريرة بلفظ «من أشار إلي أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه»

(١٩)، (٢٠) سبق بغير لعن

كوى دابة في وجهها»^(١). «ولعن الشافع والمشفع في حد من حدود الله إذا بلغ الحاكم»، «ولعن المرأة إذا خرجت من دارها بغير إذن زوجها»^(٢)، «ولعنها إذا بايت هاجرة فراش زوجها حتى ترجع»^(٣)، «ولعن تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا أمكنه»، «ولعن الفاعل والمفعول به - يعنى اللواط^(٤) - «ولعن الخمرة وشاربها وساقبها ومستقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها والدال عليها».

وقال ﷺ: «سته لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة : المكذب بقدر الله ، والزائد في كتاب الله، والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعزه الله، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتى ما حرم الله ، والتارك لستى»^(٥).

«ولعن الزانى بامرأة جاره»^(٦)، «ولعن ناكح يده»^(٧)، «ولعن ناكح الأم وابنتها»^(٨)، «ولعن الراشى والمرتشى فى الحكم والرائش» يعنى الساعى بينهما^(٩) «ولعن من كتم العلم»^(١٠) «ولعن المحتكر»^(١١)، «ولعن من أخفر مسلما يعنى خذله ولم ينصره»، «ولعن الوالى إذا لم يكن فيه رحمة»، «ولعن المتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج»، «والمتبتلات من النساء»، «ولعن راكب الفلاة وحده»، «ولعن من أتى بهيمة»^(١٢) نعوذ بالله من لعنته ولعنة رسوله.

(١) رواه مسلم وأبو داود وابن حبان عن جابر، ورواه الطبراني عن ابن عباس بلفظ «لعن الله من يسم في الوجه» انظر صحيح الجامع (٥١١٠) والصحيح (٢١٤٩).

(٢)، (٣) سيأتي قريباً.

(٤) سبق تخريجه.

(٥)(٦) سبق تخريجهما.

(٧) غير صحيح.

(٨) ورد بغير لعن.

(٩)، (١٠) سبق تخريجهما.

(١١) ورد ثلاثة أحاديث في المحتكر ليس فيها لعن وكلها ضعيفة، راجع ضعيف الجامع (٥٣٥٥، ٥٣٥٦، ٥٣٥٧).

(١٢) سبق تخريجه.

□ فصل □

اعلم أن لعن المسلم المصون حرام بإجماع المسلمين، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك : لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين، لعن الله اليهود والنصارى، لعن الله الفاسقين، لعن الله المصورين . ونحو ذلك كما تقدم، وأما لعن إنسان بعينه من اتصف بشيء من المعاصي كيهودى أو نصرانى أو ظالم أو زان أو سارق أو آكل ربا فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام . وأشار الغزالي رحمه الله إلى تحريمه إلا فى حق من علمنا أنه مات على الكفر، كأبى لهب وأبى جهل وفرعون وهامان وأشباههم، قال : لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله وما ندرى ما يختتم به لهذا الفاسق والكافر . قال : وأما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم كما قال : «اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله»^(١) . وهذه ثلاث قبائل من العرب فيجوز أنهن ﷺ علم موتهم على الكفر، قال : ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان : لا أصبح الله جسمه ولا سلمه الله وما جرى مجراه وكل ذلك مذموم، وكذلك لعن جميع الحيوانات والجمادات فهذا كله مذموم، قال بعض العلماء : من لعن من لا يستحق اللعن فليبادر بقوله إلا أن يكون لا يستحق .

□ فصل □

ويجوز للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكل مؤدب أن يقول لمن يخاطبه فى ذلك : ويلك، أو يا ضعيف الحال، أو يا قليل النظر لنفسه، أو يا ظالم نفسه، أو ما أشبه ذلك، بحيث لا يتجاوز إلى الكذب، ولا يكون فيه لفظ قذف صريح أو كناية أو تعريض ولو كان صادقا فى ذلك .

(١) الصحيح : رواه مسلم (٦٧٥) .

وإنما يجوز ما قدمناه ويكون الغرض من ذلك التأديب والزجر ، ويكون الكلام أوقع فى النفس والله أعلم .

اللهم نزه قلوبنا عن التعلق لمن دونك ، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

□ موعظة □

يا قليل الزاد والطريق بعيد ، يا مقبلا على ما يضر تاركا لما يفيد ، أتراك يخفى عليك الأمر الرشيد ، إلى متى تضيع الزمان وهو يحصى برقيب وعتيد .

| | |
|------------------------------|------------------------|
| مضى أمسك الماضي شهيدا معدلا | وأعقبه يوم عليك شهيدا |
| فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة | فبادر بإحسان وأنت حميد |
| ولا تبق فضل الصالحات إلى غد | فرب غد يأتي وأنت فقيد |
| إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت | حميمك فاعلم أنها ستعود |



□ الكبيرة الخامسة والأربعون □

الغدر وعدم الوفاء بالعهد

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (١).

قال الزجاج: كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من العهد. وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (٢).

قال الواحدي: قال ابن عباس في رواية الوالبي (العهود) يعني ما أحل وما حرم وما فرض وما حد في القرآن. وقال الضحاك: بالعهود التي أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها مما أحل وحرم وما فرض من الصلاة وسائر الفرائض والعهود وكذا العهود جمع عهد. العقد بمعنى المعقود وهو الذي أحكم ما فرض الله علينا فقد أحكم ذلك، ولا سبيل إلى نقضه بحال. وقال مقاتل بن حيان: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ التي عهد الله إليكم في القرآن، مما أمركم به من طاعته أن تعملوا بها ونهيه الذي نهاكم عنه وبالعهود الذي بينكم وبين المشركين وفيما يكون من العهد بين الناس والله أعلم.

وقال النبي ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا أوثق خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» مخرج في الصحيحين (٣).

وقال رسول الله ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان بن فلان» (٤) وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل ثلاثة أنا خصمهم يوم

(١) سورة الإسراء آية ٣٤.

(٢) سورة المائدة آية ١.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه البخاري (٣١٨٦) ومسلم (١٧٣٦) وابن ماجه (٢٨٧٢) وأحمد (٤١١/١، ٤١٧) عن ابن مسعود، ورواه البخاري (٣١٨٨) ومسلم (١٧٣٥) وأبو داود (٢٧٥٦) عن ابن عمر.

القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره». أخرجه البخارى. (١)

وقال رسول الله ﷺ: «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» أخرجه مسلم (٢).

وقال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعمه إن استطاع، فإن جاء أحد ينازعه فاضربوا عنق الآخر» (٣).



(١) صحيح : رواه البخاري (٢٢٢٧، ٢٢٧٠) وأحمد (٢٤٢/٢) عن أبي هريرة.

(٢) صحيح : رواه مسلم (١٨٥١) عن ابن عمر.

(٣) رواه مسلم (١٨٤٤) وأبو داود (٤٢٤٨) والنسائي (١٥٢/٧، ١٥٤) وابن ماجه (٤٩٥٦) وابن حبان (٥٩١٦) عن ابن عمرو.

□ الكبيرة السادسة والأربعون □

تصديق الكاهن والمنجم

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١).

قال الواحدى فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ قال الكلبى: لا تقل ما ليس لك به علم، وقال قتادة: لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم^(٢). والمعنى: لا تقولن فى شيء بما لا تعلم ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

قال الوالى عن ابن عباس: يسأل الله العباد فىم استعملوها وفى هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل والاستماع إلى ما يحرم وإرادة ما لا يجوز، والله أعلم. وقال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾^(٣).

قال ابن الجوزى: عالم الغيب هو الله عزوجل وحده لا شريك له فى ملكه فلا يظهر: أى فلا يطلع على غيبه الذى لا يعلمه أحد من الناس ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾، لأن الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب. والمعنى: إن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب ففى هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر والله أعلم^(٤). وقال رسول الله ﷺ: «من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(٥). وروينا فى الصحيحين عن زيد بن خالد الجهنى رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح فى أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال:

(١) سورة الإسراء آية ٣٦.

(٢) رواه الطبري (٨٦/١٥) عن قتادة موقوفا بإسناد صحيح.

(٣) سورة الجن آية ٢٦-٢٧.

(٤) انظر زاد المسير (٣٨٥/٨).

(٥) رواه أحمد (٤٢٩/٢) والحاكم (٨/١) عن أبي هريرة وصححه الشيخ فى الصحيح (٥٦٣٩).

«هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر . فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب»^(١) .

قال العلماء : إن قال مسلم مطرنا بنوء كذا وكذا يريد أن النوء هو الموجد والفاعل المحدث للمطر صار كافرا مرتدا بلا شك ، وإن قال مريدا أنه علامة نزول المطر ويتزل المطر عند هذه العلامة ونزوله بفعل الله خلقه لم يكفر ، واختلفوا فى كراهته ، والمختار أنه مكروه لأنه من ألفاظ الكفار وهذا ظاهر الحديث .

(وقوله) : فى أثر سماء - السماء هنا المطر - والله أعلم . وقال رسول الله ﷺ : «من أتى عرافا فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما»^(٢) رواه مسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سأل رسول الله ﷺ أناس عن الكهان فقال : «ليسوا بشيء» قالوا : يا رسول الله أليس قد قال كذا وكذا؟ فقال رسول الله ﷺ : «تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرها فى أذن وليه (أى يلقيها) فيخلط معها مائة كذبة» . مخرج فى الصحيحين^(٣) . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الملائكة تنزل فى العنان - وهو السحاب - فتذكر الأمر قضى فى السماء ، فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحىه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم» رواه البخارى^(٤) .

وعن قبيصة بن أبى المخارق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «العيافة والطيرة والطرق من الجبت» رواه أبو داود^(٥) وقال : الطرق : الزجر ، أى زجر

(١) رواه البخارى (٨٤٦) ومسلم (٧١) وأبو داود (٣٩٠٦) والحميدي (٨١٣) والنسائي (١٦٥/٣) وابن منده (٥٠٣)

(٢) رواه مسلم (٢٢٣٠) وأحمد (٣٨٠/٥) عن بعض أمهات المؤمنين .

(٣) رواه البخارى (٥٧٦٢، ٦٢١٣) ومسلم (٢٢٢٨) وأحمد (٨٧/٦) وعبد الرزاق (٢٠٣٤٧) .

(٤) صحيح : رواه البخارى (٢٢١٠) .

(٥) أخرجه عبد الرزاق (١٩٥٠٢) وابن سعد (٣٥/٧) وأحمد (٤٧٧/٣) وأبو داود (٣٩٠٧) والطبرانى

(١٨/٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٥) والبيهقي (١٣٩/٨) وابن حبان (٦١٣١) وإسناده ضعيف ، انظر

ضعيف أبى داود (٨٤٢) .

للحافظ الذهبي

١٨٧

الطير، وهو أن يتيامن أو يتشاءم بطيرانه. فإن طار إلى جهة اليمين تيمن، وإن طار إلى جهة اليسار تشاءم. قال أبو داود: العيافة الخط. قال الجوهري: الجبت كلمة تقع على الأصنام والكاهن و، الساحر ونحو ذلك. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»^(١)، وقال علي بن أبي طالب: الكاهن ساحر والساحر كافر. فنسأل الله العافية والعصمة في الدنيا والآخرة.

□ موعظة □

عباد الله تفكروا في سلفكم قبل تلفكم، وانظروا في أموركم قبل حلول قبوركم، فتأهبوا للرحيل قبل فوت تحويلكم، أين الأقران والإخوان، أين من شيد الإيوان، رحلوا والله عن الأوطان ومزقت في اللحود تلك الأكفان هتف نذيرهم بأهل العرفان ﴿كل من عليها فان﴾ تقلبت بهم الأحوال. ولعب بهم في أيدي الليال. وشغلوا عن الأولاد والأموال، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال. عانقوا التراب وفارقوا الأموال فلو أذن لأحدهم في المقال لقال:

| | |
|-------------------------|----------------------------|
| من رأنا فليحدث نفسه | أنه وقف على قرب زوال |
| وصروف الدهر لا يبقى لها | ولما تأتي به صم الجبال |
| رب ركب قد أناخوا حولنا | يشربون الخمر بالماء الزلال |
| والأباريق عليهم قدمت | وعتاق الخيل تردي بالجلال |
| عممروا دهرا بعيش ناعم | أبيض دهرهم غير محال |
| ثم أضححوا لعب الدهر بهم | وكذاك الدهر يودي بالرجال |



(١) رواه أحمد (٣١١ / ١) وأبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجه (٣٧٢٦) وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٦٠٧٤) والصحيحة (٧٩٣).

□ الكبيره السابعة والأربعون □

نشوز المرأة علي زوجها

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ (١).

قال الواحدى رحمه الله تعالى: النشوز ههنا معصية الزوج وهو الترفع عليه بالخلاف. وقال عطاء: هو أن تتعطر له وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله من الطواعية. ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بكتاب الله وذكرهن ما أمرهن الله به، ﴿وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ قال ابن عباس هو أن يوليها ظهره على الفراش ولا يكلمها. وقال الشعبي ومجاهد: هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاجعها، ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ ضربا غير مبرح. وقال ابن عباس: أدبا مثل اللكزة، وللزوج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذن الله له مما ذكره الله في هذه الآية: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ فيما يلتمس منهن ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ﴾ قال ابن عباس: فلا تتجنوا عليهن العلل. وفي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت لعنتها الملائكة حتى تصبح» (٢). وفي لفظ: «فبات وهو عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح» ولفظ الصحيحين أيضا: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها زوجها» (٣)، وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة، ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة: العبد الأبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده فى أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها، والسكران حتى يصحو» (٤)، وعن الحسن قال حدثنى من سمع النبي ﷺ يقول: «أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلمها» (٥).

(١) سورة النساء آية ٣٤ .

(٢) رواه البخاري (٣٢٣٧) ومسلم (١٤٣٦) وأبو داود (٢١٤١) وأحمد (٤٣٣/٢) عن أبي هريرة .

(٣) رواه البخاري (٥١٩٤) ومسلم (١٤٣٦) .

(٤) سبق تخريجه فى الكبيرة التاسعة عشر .

(٥) مرسل: ورواه أبو الشيخ فى «ثواب الأعمال» عن أنس نحوه مرفوعا .

وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله وباليوم الآخر أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه» أخرجه البخاري (١). ومعنى شاهد أى حاضر غير غائب وذلك فى صوم التطوع فلا تصوم حتى تستأذنه لأجل وجوب حقه وطاعته وقال ﷺ: «لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» رواه الترمذى (٢). وقالت عمة حصين بن محصن وذكرت زوجها للنبي ﷺ فقال: «انظري من أين أنت منه فإنه جنتك ونارك» أخرجه النسائي (٣)، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهى لا تستغنى عنه» (٤). وجاء عنه ﷺ أنه قال: «إذا خرجت المرأة من بيت زوجها لعتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب» (٥)، وقال رسول الله ﷺ: «أما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة» (٦).

فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها وتجتنب سخطه ولا تمتنع منه متى أَرادها لقول النبي ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتأته وإن كانت على التنور» (٧)، قال العلماء: إلا أن يكون لها عذر من حيض أو نفاس فلا يحل لها أن تحيئه ولا يحل للرجل أيضاً أن يطلب ذلك منها في حال الحيض والنفاس، ولا يجامعها حتى تغتسل لقول الله تعالى: «فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ» (٨) أى لا تقربوا جماعهن حتى يطهرن.. قال ابن قتيبة: (يطهرن)

(١) رواه البخاري (٥١٩٥) ومسلم (١٠٢٦).

(٢) رواه الترمذى (١١٥٩) وابن حبان (٤١٦٢) والحاكم (١٧١/٤) والبيهقى (٢٩١/٧) وهو صحيح عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٤/٣٤١، ٦/٤١٩) والطبراني في الأوسط (٥٣٢)، قال الهيثمي (٣٠٦/٤) رجاله رجال الصحيح خلا حصين وهو ثقة قلت: إسناده حسن إن شاء الله.

(٤) أخرجه النسائي في عشرة النساء (٢٥١) موقوفاً وسنده صحيح ورواه الطبراني والبخاري بإسنادين وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح مرفوعاً قاله الهيثمي (٣٠٩/٤).

(٥) أخرجه الخطيب في التاريخ (٢٠١، ٢٠٠/٦) عن أنس قال الشيخ في الضعيفة موضوع (١٠٢٠) وضعيف الجامع (٢٢٢١).

(٦) رواه ابن أبي شيبة (١/٤٧/٧) والترمذى (١١٧١) وابن ماجه (١٨٥٤) والحاكم (١٧٣/٤) والطبراني (٢٣/٣٧٤/٨٨٤) قال الشيخ في ضعيف الجامع (٢٢٢٦) ضعيف.

(٧) رواه الطيالسي (١٠٩٧) وأحمد (٢٣، ٢٢/٤) والترمذى (١١٦٠) والطبراني (٨٢٣٥، ٨٢٤٨، ٨٢٤٠) وابن حبان (٤١٦٥) والبيهقى (٢٩٤/٧) وإسناده صحيح عن طلق.

(٨) سورة البقرة آية ٢٢٢.

ينقطع عنهن الدم، فإذا تطهرن أى اغتسلن بالماء، والله أعلم. ولما تقدم من قول النبي ﷺ: «من أتى حائضا أو امرأة من دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد»^(١). وفي حديث آخر: «ملعون من أتى حائضا أو امرأة في دبرها»^(٢). والنفاس مثل الحيض إلى الأربعين، فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا أراد إتيانها في حال الحيض والنفاس، وتطيعه فيما عدا ذلك، وينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف في نفسها ولا في ماله إلا بإذنه وتقدم حقه على حقها، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها، وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة، ولا تفتخر عليه بجمالها، ولا تعيبه بقبح إن كان فيه.

قال الأصمعي: دخلت البادية فإذا امرأة حسناء لها بعل قبيح فقلت لها: كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثل هذا؟ فقالت: اسمع يا هذا، لعله أحسن فيما بينه وبين الله خالقه فجعلني ثوابه ولعلي أسأت فجعله عقوبتي.

وقالت عائشة رضي الله عنها: يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها.

وقال ﷺ: «نساءكم من أهل الجنة الودود التي إذا آذت أو أوذيت أتت زوجها حتى تضع يدها في كفه فتقول: لا أذوق غمضا حتى ترضى»^(٣).

ويجب على المرأة أيضا دوام الحياء من زوجها، وغض طرفها قدامه، والطاعة لأمره، والسكوت عند كلامه، والقيام عند قدومه، والابتعاد عن جميع ما يسخطه، والقيام معه عند خروجه، وعرض نفسها عليه عند نومه، وترك الخيانة له في غيبته في فراشه وماله وبيته، وطيب الرائحة وتعاهد الفم بالسواك وبالمسك والطيب، ودوام الزينة بحضرته، وتركها الغيبة، وإكرام أهله وأقاربه وترى القليل منه كثيرا.

(١)، (٢) سبق في الكبيرة الحادية عشر.

(٣) رواه الدارقطني في الأفراد، والطبراني (١٩/ ١٤٠/ ٣٠٧) وفي الأوسط (٥٦٤٨) عن كعب بن عجرة وحسنه الشيخ في الصحيح (٢٦٠٤) ورواه الطبراني في الأوسط (١٧٦٤) والصغير (١١٨) عن أنس بلفظ «ألا أخبركم بنسائكم» الحديث.

□ فصل □

فى فضل المرأة الطائعة لزوجها وشدة عذاب العاصية، ينبغى للمرأة الخائفة من الله تعالى أن تجتهد لطاعة الله ورسوله وطاعة زوجها وتطلب رضاه جهدها، فهو جنتها ونارها . لقول النبى ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة »^(١)، وفى الحديث أيضا: « إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأطاعت بعلمها دخلت من أى أبواب الجنة شاءت »^(٢)،

وروى عنه ﷺ أنه قال: « يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها، الطير فى الهواء والحيتان فى الماء، والملائكة فى السماء، والشمس والقمر مادامت فى رضا زوجها . وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وأيما امرأة كلحت فى وجه زوجها فهى فى سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه . وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع »^(٣)،

وجاء عن رسول الله ﷺ أيضا قال: « أربع من النساء فى الجنة، وأربع فى النار . فأما الأربع اللواتى فى الجنة : فامرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها، ولود صابرة قانعة باليسير مع زوجها، ذات حياء، إن غاب عنها حفظت نفسها وماله، وإن حضر أمسكت لسانها عنه، والرابعة امرأة مات عنها زوجها ولها أولاد صغار فحبست نفسها على أولادها وربتهم وأحسنن إليهم ولم تتزوج خشية أن يضيعوا . وأما الأربع اللواتى فى النار من النساء: فامرأة بذية اللسان على زوجها أى طويلة اللسان على زوجها أى طويلة اللسان فاحشة الكلام، إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وإن حضر أذته بلسانها . والثانية: امرأة تكلف زوجها مالا يطيق . والثالثة: امرأة لا تستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبرجة . والرابعة: امرأة ليس لها هم إلا الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة فى الصلاة ولا فى طاعة الله ولا طاعة رسوله ولا فى طاعة زوجها ».

(١) سبق تخريجه .
(٢) رواه ابن حبان (٤١٦٣) والطبراني فى الأوسط (٤٥٩٨) عن أبي هريرة، ورواه أحمد (١٩١/١)
والطبراني الأوسط (٨٨٠٥) عن عبد الرحمن بن عوف، ورواه البزار (١٤٦٣) عن أنس وصححه الشيخ فى صحيح الجامع (٦٦١) .
(٣) لم أعثر عليه

فالمرأة إذا كانت بهذه الصفة وتخرج من بيتها بغير إذن زوجها كانت ملعونة من أهل النار إلا أن تتوب إلى الله»^(١)، وقال النبي ﷺ: «اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»^(٢) وذلك بسبب قلة طاعتهم لله ورسوله ولأزواجهم وكثرة تبرجهم، والتبرج إذا أرادت الخروج لبست أفخر الثياب وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها فإن سلمت هي بنفسها لم يسلم الناس منها. ولهذا قال النبي ﷺ: «المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان»^(٣).

وأعظم ما تكون المرأة من الله ما كانت في بيتها، وفي الحديث أيضا: «المرأة عورة فاحبسوها في البيوت»^(٤)، فإن المرأة إذا خرجت إلى الطريق قال لها أهلها: أين تريد؟ قالت: أعود مريضا، أشيع جنازة، فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها. وما ألتمت المرأة رضا الله بمثل أن تقعد في بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلمها. وقال علي رضي الله عنه لزوجته فاطمة رضي الله عنها: يا فاطمة ما خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى الرجال ولا يروها. وكان علي رضي الله عنه يقول: ألا تستحون، ألا تغارون؟ يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم وينظرون إليها! وكانت عائشة وحفصة رضي الله عنهما يوما عند النبي ﷺ جالستين، فدخل ابن أم مكتوم وكان أعمى فقال النبي ﷺ: «احتجبا منه»، فقالتا: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال ﷺ: «أفعميا وان أتما ألتما تبصرانه؟»^(٥).

فكما أنه ينبغي للرجل أن يغض طرفه عن النساء، فكذلك ينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال، كما تقدم من قول فاطمة رضي الله عنها: أن خير ما للمرأة أن لا ترى

(١) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، ولكن صح عن سعد مرفوعا بلفظ «أربع من السعادة» وأربع من الشقاء وهو صحيح من صحيح الجامع (٨٨٧) والصحيحة (٢٨٢).

(٢) رواه البخاري (٣٢٤١) ومسلم (٢٧٣٧) عن ابن عباس.

(٣) رواه الترمذي (١١٧٣) وابن حبان (٥٥٩٨، ٥٥٩٩) وابن خزيمة (١٦٨٦) والطبراني (١٠١١٥) عن ابن مسعود، وهو صحيح انظر صحيح الجامع (٦٦٩٠) والإرواء (٢٧٣).

(٤) لم أعثر عليه.

(٥) رواه أبو داود (٤١١٢) والترمذي (٢٩٤٠) عن أم سلمة، وضعفه الشيخ في ضعيف أبي داود (٨٨٧) والإرواء (١٨٠٦).

== للحافظ الذهبي == ١٩٣ ==

الرجال ولا يروها. فإن اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها ولأجل حمام ونحوه مما لا بد لها منه، فلتخرج بإذن زوجها غير متبرجة في ملحفة وسخة في ثياب بيتها، وتغض طرفها في مشيتها، وتنظر إلى الأرض لا يمينا ولا شمالا، فإن لم تفعل ذلك وإلا كانت عاصية. وقد حكى أن امرأة كانت من المتبرجات في الدنيا، وكانت تخرج من بيتها متبرجة، فماتت فرآها بعض أهلها في المنام وقد عرضت على الله عز وجل في ثياب رقاق، فهبت ريح فكشفتها فأعرض الله عنها، وقال: خذوا بها ذات الشمال إلى النار فإنها كانت من المتبرجات في الدنيا.

وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم أنا وفاطمة رضي الله عنهما وجدناه يبكي بكاء شديدا، فقلت له: فداك أبي وأمي يا رسول الله، ما الذي أبكاك؟ قال: «يا على ليلة أسرى بي إلى السماء رأيت نساء من أمتي يعذبن بأنواع العذاب، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلى دماغها، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى ثدييها ويدها إلى ناصيتها، ورأيت امرأة معلقة بثدييها، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار عليها ألف ألف لون من العذاب، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار»، فقامت فاطمة رضي الله عنها وقالت حيبى وقرة عيني ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «يا بنية أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال، وأما التي كانت معلقة بلسانها فإنها كانت تؤذى زوجها، وأما المعلقة بثدييها فإنها كانت تفسد فراش زوجها، وأما التي تشد رجلاها إلى ثدييها ويدها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض وتستعزيء بالصلاة، وأما التي رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فإنها كانت نمامة كذابة، وأما التي على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فإنها كانت منانة حسادة، ويا بنية الويل لامرأة تعصى زوجها»^(١).

(١) لم أعثر عليه، وإن كنت لا أشك في وضعه.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تؤذى المرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله»^(١).

□ فصل □

وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه، فالزوج أيضا مأمور بالإحسان إليها واللفظ بها، والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره، وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقول الله تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾. ولقول النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء، ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا. فحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن، وحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون»^(٢).

وقوله ﷺ: «عوان» أي أسيرات جمع عانية وهي الأسيرة، شبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الرجل بالأسير، وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله»^(٣)، وفي رواية: «خيركم أطفلكم بأهله»^(٤) وكان رسول الله ﷺ شديد اللطف بالنساء. وقال ﷺ: «أما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه، وأما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون»^(٥).

(١) رواه أحمد (٢٤٢/٥) والترمذي (١١٨٤) وابن ماجه (٢٠١٤) والطبراني (٢٢٤/١١٣/٢٠) عن معاذ وهو في صحيح الجامع (٧١٩٢) والصحيحة (١٧٣).

(٢) جزء من حديث رواه مسلم (١٢١٨) عن جابر، ورواه الترمذي (١١٦٣) وابن ماجه (١٨٥١) عن عمرو بن الأوص وفيه ضعف.

(٣) رواه الترمذي (٣٨٩٥) والدارمي (٢٢٦٠) وابن حبان (٤١٧٧) عن عائشة وصححه الشيخ في الصحيحة (٥١٣/١).

(٤) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، وقد رواه أحمد (٤٧/٦، ٩٩) والبيهقي في الشعب (٨٧١٩) بلفظ «من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وأطفهم بأهله». ثم أهد صحح بها الحديث في صحيح الجامع (٣٣١٦).

(٥) لم أعثر عليه.

== للحافظ الذهبي == ١٩٥ ==

وقد روى أن رجلا جاء إلى عمر رضي الله عنه يشكو خلق زوجته، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل راجعا وقال: إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته - وهو أمير المؤمنين - فكيف حالي؟

فخرج عمر فرآه موليا على بابه فناده وقال: ما حاجتك يا رجل؟ فقال: يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتي واستطالتها على فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت: إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟ فقال عمر: يا أخى إنى احتملتها لحقوق لها على: إنها طبخة لطعامي، خبازة لخبزي، غسالة لثيابي، مرضعة لولدي... وليس ذلك كله بواجب عليها، ويسكن قلبي بها عن الحرام فأنا أحتملها لذلك. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي. قال عمر: فاحتملها يا أخى فإنما هي مدة يسيرة.

وحكى أن بعض الصالحين كان له أخ فى الله وكان من الصالحين يزوره فى كل سنة مرة، فجاء لزيارته فطرق الباب، فقالت امرأته: من؟ فقال: أخو زوجك فى الله جئت لزيارته، فقالت: راح يحتطب لا رده الله ولا سلمه وفعل به وفعل وجعلت تدمدم عليه فبينما هو واقف على الباب وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه، فجاء فسلم على أخيه ورحب به، ودخل المنزل وأدخل الحطب وقال للأسد: اذهب بارك الله فيك،

ثم أدخل أخاه والمرأة على حالها تدمدم وتأخذ بلسانها وزوجها لا يرد عليها، فأكل مع أخيه شيئا ثم ودعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة.

قال: فلما كان العام الثانى جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت امرأته: من بالباب؟ قال: أخو زوجك فلان فى الله؟ فقالت: مرحبا بك وأهلا وسهلا، اجلس فإنه سيأتى إن شاء الله بخير وعافية.

قال: فتعجب من لطف كلامها وأدبها، إذ جاء أخوه وهو يحمل الخطب على ظهره فتعجب أيضا لذلك، فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله وأحضرت المرأة طعاما لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف، فلما أراد أن يفارقه قال: يا أخى أخبرنى عما أريد أن أسالك عنه.

قال: وما هو يا أخى؟ قال: عام أول أتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تدم كثيرا ورأيتك قد أتيت من نحو الجبل والخطب على ظهر الأسد وهو مسخر بين يديك، ورأيت العام كلام المرأة لطيفاً لا تدمدم ورأيتك قد أتيت بالخطب على ظهرك فما السبب؟ قال: يا أخى، توفيت تلك المرأة الشرسة وكنت صابرا على خلقها وما يبدو منها.

كنت معها فى تعب وأنا أحتملها، فكان الله قد سخر لى الأسد الذى رأيت يحمل عنى الخطب بصبرى عليها واحتمالى لها، فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة وأنا فى راحة معها فانقطع عنى الأسد، فاحتجت أن أحمل الخطب على ظهري لأجل راحتى مع هذه المرأة المباركة الطائعة. فنسأل الله أن يرقنا الصبر على ما يحب ويرضى، إنه جواد كريم.



□ الكبيرة الثامنة والأربعون □

التصوير في الثياب والحيطان والحجر والدرهم وسائر الأشياء
سواء كانت من شمع أو عجين أو حديد أو نحاس
أو صوف أو غير ذلك، والأمر بإتلافها

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (١).

قال عكرمة : هم الذين يصنعون الصور، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم». مخرج في الصحيحين (٢)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة لى بقرام فيه تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه وقال : « يا عائشة: أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله عز وجل ». قالت عائشة رضي الله عنها : فقطعته فجعلت منه وسادتين. مخرج في الصحيحين (٣). القرام بكسر القاف وهو الستر، والسهوة كالصفة تكون بين يدي البيت. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب في نار جهنم» مخرج في الصحيحين (٤)، وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافع فيها أبدا» (٥)،

(١) سورة الأحزاب آية ٥٧.

(٢) رواه البخاري (٥٩٥١، ٧٥٥٨) ومسلم (٢١٠٨).

(٣) رواه البخاري (٥٩٥٤) ومسلم (٢١٠٦).

(٤) رواه البخاري (٢٢٢٥) ومسلم (٢١١٠).

(٥) رواه البخاري (٥٩٦٣) ومسلم (٢١١٠).

وعنه ﷺ أنه قال: «يقول الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى، فليخلقوا حبه، أو ليخلقوا شعيرة، أو ليخلقوا ذرة». مخرج فى الصحيحين^(١).
وقال ﷺ: «يخرج عنق من النار يوم القيامة فيقول: إني وكلت بثلاثة: بكل من دعا مع الله إلها آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصورين»^(٢). وقال رسول الله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة» مخرج فى الصحيحين^(٣).

وفى سنن أبى داود عن على بن أبى طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ولا جنب»^(٤).

وقال الخطابى رحمه الله تعالى قوله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ولا جنب» يريد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الملائكة الذين هم الحفظة، فإنهم لا يفارقون الجنب وغير الجنب، وقد قيل: إنه لم يرد الجنب الذى أصابته الجنابة فأخر الاغتسال إلى أوان حضور الصلاة، ولكنه الذى يجنب ولا يغتسل ويتهاون بالغسل ويتخذ عادة، فإن النبى ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد^(٥)، وفى هذا تأخير الاغتسال عن أول وقت وجوبه.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب ولا يمس ماء^(٦).

(١) رواه البخارى (٥٩٥٣، ٧٥٥٩) ومسلم (٢١١١) عن أبى هريرة.
(٢) رواه أحمد (٣٣٦/٢) والترمذى (٢٥٧٤) عن أبى هريرة وصححه الشيخ فى الصحيح (٨٠٥١) والصحيحة (٥١٢).

(٣) رواه البخارى (٥٩٤٨، ٥٩٥٨) ومسلم (٢١٠٦) والترمذى (٢٨٠٤) عن طلحة.
(٤) رواه أحمد (٨٣/١)، و١٠٤، ١٣٩، ١٥٠) وأبو داود (٢٢٧) والنسائى (١٤١/١) وابن ماجه (٣٦٥٠) وضعفه الشيخ فى ضعيف أبى داود (٣٨) وضعيف الجامع (٦٢٠٣).

(٥) متفق عليه: من رواية أنس، راجع صحيح الجامع (٤٩٧٧).

(٦) رواه أحمد وأبو داود (٢٢٨) والترمذى (١١٨، ١١٩) والنسائى وابن ماجه (٥٨١) عن عائشة وصححه الشيخ فى صحيح الجامع (٥٠١٩).

== للحافظ الذهبي == ١٩٩ ==

وأما الكلب، فهو أن يقتنى كلبا لا لزرع ولا لضرع ولا صيد، فأما إذا اضطر إليه فلا حرج إليه في بعض الأمور، أو لحراسة داره إذا اضطر إليه، فلا حرج عليه إن شاء الله.

وأما الصور فهي كل مصور من ذوات الأرواح، سواء كانت لها أشخاص منتصبة أو كانت منقوشة في سقف أو جدار أو موضوعة في نمط، أو منسوجة في ثوب أو مكان، فإن قضية العموم تأتي عليه فليجتنب، وبالله التوفيق.

ويجب إتلاف الصور لمن قدر على إتلافها وإزالتها. روى مسلم في صحيحه عن حيان بن حصين قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرا مشرفا إلا سويته ^(١).

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى، إنه جواد كريم.



(١) رواه أحمد (١/٩٦، ١٢٨) ومسلم (٦٦٩) وأبو داود (٣٢١٨) والنسائي (٨٨/٤) وأبو يعلى (٣٣٨) عن علي.

□ الكبيرة التاسعة والأربعون □

اللطم والنياحة وشق الثوب وحلق الرأس ونتفه والدعاء بالويل والشبور عند المصيبة

روينا في صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»^(١)، وروينا في صحيحيهما عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «بريء من الصالقة والحالقة والشاقة»^(٢) الصالقة: التى ترفع صوتها بالنياحة، والحالقة: التى تحلق شعرها وتتفه عند المصيبة، والشاقة: التى تشق ثيابها عند المصيبة، وكل هذا حرام باتفاق العلماء، وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود وخمش الوجه والدعاء بالويل والشبور.

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت: أخذ علينا رسول الله ﷺ فى البيعة أن لا ننوح. رواه البخارى^(٣)، وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اثنان فى الناس هما بهم كفر: الطعن فى الأنساب والنياحة على الميت» رواه مسلم^(٤)، وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة. رواه أبو داود^(٥). وعن أبى بردة قال: وجع أبو موسى الأشعرى فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنة، فلم يستطع أن يرد عليها، فلما أفاق قال: أنا بريء مما بريء منه رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة والحالقة والشاقة^(٦).

(١) رواه أحمد (١/٤٣٢، ٤٥٦، ٤٦٥) والبخارى (١٢٩٧) (٢١٩٧) ومسلم (١٠٣) والترمذى (٩٩٩) والنسائى (٢٠/٤) وابن ماجه (١٥٨٤) عن ابن مسعود.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه ابن أبى شيبة (٣/٣٨٩) وأحمد (٦/٤٠٧) والبخارى (١٣٠٦، ٣٨٩٢، ٧٢١٥) ومسلم (٩٣٦) والنسائى (٧/١٤٨، ١٤٩).

(٤) رواه ابن أبى شيبة (٣/٣٩٠) وأحمد (٢/٤٩٦) والبخارى فى الأدب المفرد (٣٩٥) ومسلم (٦٧) وابن الجارود (٥١٥)، وابن حبان (٣١٤١) عن أبى هريرة بالفاظ متقاربة.

(٥)، (٦) سبق تخريجهما.

== للحافظ الذهبي == ٢٠١ ==

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تعدد عليه فتقول: واكذا واكذا، فقال حين أفاق: ما قلت شيئاً إلا قيل لى أنت كذا أنت كذا. أخرجه البخاري (١)

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «الميت يعذب في قبره بما نيح عليه» (٢).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: مامن ميت يموت فيقوم باكيه فيقول: واسيداه! واجبلاه!، واكذا واكذا، ونحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه: أهكذا أنت؟ أخرجه الترمذي (٣).

وقال ﷺ: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» (٤). وقال ﷺ: «إنما نهيت عن صوتين أحمقن فاجرين: صوت عند نغمة ولهو ولعب ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة خمش في وجوه وشق في جيوب ورنه شيطان» (٥). وقال الحسن: صوتان ملعونان مزار عند نغمة ورنه عند مصيبة.

وقال رسول الله ﷺ: «إن هذه النوائح يجعلن صفين في النار فينبحن في أهل النار كما تنبح الكلاب» (٦).

(١) رواه البخاري (٤٢٦٧).

(٢) رواه البخاري (١٢٩٢) ومسلم (٩٢٧) والترمذي (١٠٠٢) عن عمر.

(٣) رواه الترمذي (١٠٠٣) وابن ماجه (١٥٩٤) مرفوعاً، وحسنه الشيخ في صحيح الترمذي (٨٠١).

(٤) أخرجه مسلم (٩٣٤) وأحمد (٣٤٢/٥، ٣٤٣، ٣٤٤) والحاكم (٣٨٣/١) عن أبي مالك الأشعري،

وراجع الصحيحة (١٩٥٢).

(٥) رواه الحاكم (٤٠/٤) عن عبد الرحمن بن عوف وسنده فيه ضعف لكن يشهد له حديث أنس

وهو بلفظ: «صوتان ملعونان» الحديث - وحسن به الشيخ الحديث في الصحيحة (٤٢٧) وصحيح

الجامع (٣٨٠١).

(٦) رواه الطبراني في الأوسط (٥٢٢٩) عن أبي هريرة وإسناده ضعيف

وعن الأوزاعي: أن عمر بن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره، فمال عليهن ضربا حتى بلغ النائحة فضربها حتى سقط خمارها، وقال: اضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها، إنها لا تبكي بشجوكم إنها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم، وإنها تؤذى موتاكم في قبورهم، وأحياكم في دورهم لأنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به، وتأمّر بالجزع وقد نهى الله عنه.

واعلم أن النياحة: رفع الصوت بالندب: تعديد النائحة بصوتها على محاسن الميت وقيل: هو البكاء عليه مع ذكر محاسنه.

قال العلماء: ويحرم رفع الصوت بإفراط في البكاء، وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام. وروينا في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عباد ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا. فقال: «ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا أويرحم» وأشار إلى لسانه ^(١).

وروينا في صحيحيهما عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ رفع إليه ابن ابنته وهو في الموت ففاضت عينا رسول الله ﷺ، فقال سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» ^(٢).

وروينا في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ قال: «يا ابن عوف إنها رحمة»، ثم اتبعها

(١) رواه البخاري (١٣٠٤) ومسلم (٩٢٤) وابن حبان (٣١٥٩) والبيهقي (٦٩/٤) والبخاري (١٥٢٩).
(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٩٢/٣) وأحمد (٢٠٤/٥) والطيالسي (٦٣٦) والبخاري (١٢٨٤) ومسلم (٩٢٣) والنسائي (٢١/٤).

للحافظ الذهبي

بأخرى فقال: «إن العين لتدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»^(١).

وأما الأحاديث الصحيحة : أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه فليست على ظاهرها وإطلاقها بل هي مؤولة ، واختلف العلماء في تأويلها على أقوال أظهرها والله أعلم أنها محمولة على أن يكون له سبب في البكاء إما أن يكون قد أوصاهم به أو غير ذلك .

قال أصحاب الشافعي: ويجوز قبل الموت ويعدده ولكن قبله أولى للحديث الصحيح: «إذا وجبت فلا تبكين باكية»^(٢) ، وقد نص الشافعي والأصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه ولا يحرم ، وتأولوا حديث: «فلا تبكين باكية» على الكراهة والله أعلم .

□ فصل □

وإنما كان للنائحة هذا العذاب واللعنة لأنها تأمر بالجزع وتنهى عن الصبر ، والله ورسوله قد أمر بالصبر والاحتساب ، ونهى عن الجزع والسخط . قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٣) . قال عطاء عن ابن عباس يقول: إني معكم أنصركم ولا أخذلكم . قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي لنعاملنكم معاملة المبتلى لأن الله يعلم عاقبة الأمور فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم العاقبة ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلى ، فمن صبر أثابه على صبره ومن لم يصبر لم يستحق الثواب ، وقول الله تعالى: ﴿بَشِيرٌ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٠٣) ومسلم (٢٣١٥).
(٢) رواه مالك (٢٣٣/١) وأحمد (٤٤٦/٥) وأبو داود (٣١١١) والنسائي (١٣/٤) وابن ماجه (٢٧٠٣).
وابن حبان (٣١٨٩) والطبراني (١٧٨٠) والحاكم (٣٥١/١) وصححه الشيخ الألباني
(٣) سورة البقرة آية ١٥٤ .

قال ابن عباس: يعنى الخسران خوف العدو، والجوع يعنى المجاعة والقحط، ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ يعنى بالخسران والنقصان فى المال وهلاك الموالى، ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ بالموت والقتل والمرض والشيب، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ يعنى الحوائج، وأن لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج. ثم ختم الآية بتبشير الصابرين ليدل على أن من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، ثم نعتهم فقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء ﴿وَأَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ بالهلاك وبالفناء، ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى انفراده بالحكم، إذ قد ملك فى الدنيا قوما الحكم، فإذا زال حكم العباد رجع الأمر إلى الله عز وجل.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «ما من مصيبة يصاب بها المؤمن إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها» رواه مسلم ^(١) وعن علقمة بن مرثد بن سابط عن أبيه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بى فإنها أعظم المصائب» ^(٢). وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إذا مات ولد العبد يقول الله للملائكة: قبضتم ولد عبدى؟ قالوا: نعم. قال: قبضتم ثمرة فؤاده. قالوا: نعم. قال: فما قال؟ قالوا: حمدك واسترجع. فيقول الله: ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد» ^(٣). وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدى عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسب إلا الجنة» رواه البخارى ^(٤).

(١) رواه البخارى (٥٦٤٠) ومسلم (٢٥٧٢).

(٢) رواه الدارمي (٤٠/١) وابن سعد (٢٧٥/٢) والطبراني (٦٧١٨) وأبو نعيم فى الأخبار (١٥٨/١) وصححه بطرقه الشيخ فى الصحيحة (١١٠٦).

(٣) رواه أحمد (٤١٥/٤) وابن المبارك فى زوائد الزهد (١٠٨) والترمذى (١٠٢٦) وابن حبان (٢٩٤٨) والطيالسى (٥٠٨) والبيهقى (٦٨/٤) عن أبى موسى وحسنه الشيخ فى الصحيحة (١٤٠٨).

(٤) رواه البخارى (٦٤٢٤) عن أبى هريرة.

للحافظ الذهبي

٢٠٥

وقال صلى الله عليه وسلم : «من سعادة بنى آدم رضاه بما قضى الله ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى» ^(١) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إذا قبض ملك الموت عليه السلام روح المؤمن قام على الباب ولأهل البيت ضجة ، فمنهم الصاكة وجهها ، ومنهم الناشرة شعرها ، ومنهم الداعية بويلها . فيقول ملك الموت عليه السلام : «مم هذا الجزع ومم هذا الفزع ؟ فوالله ما أنتقصت لأحد منكم عمرا ، ولا ذهبت لأحد منكم برزق ، ولا ظلمت لأحد منكم شيئا فإن كانت شكايتكم وسخطكم على فإني والله مأمور ، وإن كان على ميتكم فإنه مقهور ، وإن كان على ربكم فأنتم به كافرون ، وإن لى بكم عودة بعد عودة حتى لأبقى منكم أحدا» .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «والذى نفسى بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم» ^(٢) .

□ فصل فى التعزية □

عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من عزى مصابا فله مثل أجره» رواه الترمذى ^(٣) ، وعن أبى بردة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة رضي الله عنها : «من عزى ثكلى كسى بردا من الجنة» رواه الترمذى ^(٤) ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة رضي الله عنها : «ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟» قالت : أتيت أهل هذا البيت فترحمت إليهم ميتهم وعزيتهم به ^(٥) .

(١) رواه أحمد (١٤٤٤) والترمذى (٢١٥١) والحاكم (٥١٨/١) عن سعد بن أبى وقاص وضعفه الشيخ فى الضعيفة (١٩٠٦) .

(٢) لم أعثر عليه .

(٣) رواه الترمذى (١٠٧٣) وابن ماجه (١٦٠٢) والبيهقى (٥٩/٤) والخطيب (٤٥٠، ٢٥/٤) والعقلى عن ابن مسعود وضعفه الشيخ فى الإرواء (٧٦٥) والضعيف (٥٧٠٨) .

(٤) رواه الترمذى (١٠٧٦) وأبو يعلى والبيهقى فى الشعب وضعفه الشيخ فى ضعيف الجامع (٥٧٠٧) والإرواء (٢١٧/٣) عن أبى بردة .

(٥) رواه أبو داود (٣١٢٣) والنسائى (٢٧/٤) وابن حبان (٣١٧٧) والحاكم (٣٧٣/١) والبيهقى (٦٠/٤) عن عبد الله بن عمرو وضعفه الشيخ فى ضعيف أبى داود (٦٨٤) .

وعن عمرو بن حزم عن النبي ﷺ : «ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة»^(١).

واعلم رحمك الله أن التعزية هي التصبير ، وذكر ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبتَه ، وهي مستحبة لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي أيضا داخلة في قول الله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(٢) وهذا من أحسن ما يستدل به في التعزية .

واعلم أن التعزية «هي الأمر بالصبر» مستحبة قبل الدفن وبعده . قال أصحاب الشافعي : من حين يموت الميت وتبقى بعد الدفن إلى ثلاثة أيام . قال أصحابنا : وتكره التعزية بعد ثلاثة أيام ، لأن التعزية لتسكن قلب المصاب ، والغالب سكون القلب بعد الثلاثة فلا يجد له الحزن ، هكذا قاله الجماهير من أصحابنا .

وقال أبو العباس من أصحابنا : لا بأس بالتعزية بعد ثلاثة أيام بل تبقى أبدا وإن طال الزمان . قال النووي رحمه الله : والمختار أنها لا تفعل بعد ثلاثة أيام إلا في صورتين استثناهما أصحابنا ، وهما إذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن واتفق رجوعه بعد ثلاثة أيام ، والتعزية بعد الدفن أفضل منها قبله ، لأن أهل الميت مشغولون بتجهيزه ، ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر هذا إذا لم ير منهم جزءا ، فإن رآه قدم التعزية ليسكنهم ، والله أعلم .

ويكره الجلوس للتعزية ، يعنى أن يجتمع أهل الميت في بيت ليقصدهم من أراد التعزية ، ولفظ التعزية مشهور وأحسن ما يعزى به ماروينا في الصحيحين عن أسامة ابن زيد رضي الله عنه قال : أرسلت إحدى بنات رسول الله ﷺ للرسول تدعوه وتخبره أن ابنا لها في الموت فقال ﷺ للرسول : «ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله

(١) رواه ابن ماجه (١٦٠١) والبيهقي (٥٩/٤) وضعفه الشيخ في الإرواء (٧٦٤) .
(٢) سورة المائدة آية ٢ .

للحافظ الذهبي

٢٠٧

مأعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب»^(١)، وذكر تمام الحديث . قال النووي رحمه الله: فهذا حديث من أعظم قواعد الإسلام المشتملة على مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه والآداب، والصبر على النوازل كلها، والهموم والأسقام، وغير ذلك من الأغراض.

ومعنى قوله ﷺ: «إن لله ما أخذ» أن العالم كله ملك لله، لم يأخذ ما هو لكم بل هو أخذ ما هو له عندكم في معنى العارية. وقوله: «وله ما أعطى» ما وهبه لكم ليس خارجا عن ملكه، بل هو له سبحانه يفعل فيه ما يشاء « وكل شيء عنده بأجل مسمى»، فلا تجزعوا فإن من قبضه فقد انقضى أجله المسمى فمحال تأخيرته أو تقديمه عنه، فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم. والله أعلم

وعن معاوية بن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ: إنه فقد رجلا من أصحابه فسأل عنه، فقالوا: يارسول الله ابنه الذي رأيته هلك، فلقيه النبي ﷺ فسأله عن ابنه فأخبره أنه هلك، فعزاه عليه ثم قال: «يا فلان أيما كان أحب إليك أن تتمتع به عمرك أو لاتأتى غدا بابا من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتح لك؟» فقال: يانبي الله يسبقني إلى الجنة يفتحها لي وهو أحب إلي. قال: «فذلك لك» فقليل: يا رسول الله هذا له خاصة أم للمسلمين عامة؟ قال: «بل للمسلمين عامة»^(٢).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه خرج إلى البقيع فأتى امرأة جاثمة على قبر تبكي فقال لها: «يا أمة الله اتقي الله واصبري» قالت: يا عبد الله إني الحرة الشكلى. فقال: «يا أمة الله اتقي الله واصبري» فقالت: يا عبد الله لو كنت مصابا

(١) رواه البخاري (١٢٨٤، ٧٣٧٧، ٧٤٤٨) ومسلم (٩٢٣) والنسائي وابن ماجه (١٥٨٨) عن أسامة

وقد سبق.

(٢) أخرجه الطيالسي (١٠٧٥) وأحمد (٣٥/٥) والنسائي (٢٢/٤) وابن حبان (٢٩٤٧) والطبراني (٥٤/١٩) والحاكم (٣٨٤/١) وإسناده صحيح

عذرتنى . قال : « يا أمة الله اتقى الله واصبرى » قالت : يا عبد الله قد اسمعتنى فانصرف . قال : فانصرف عنها رسول الله ﷺ ، وبصر بها رجل من المسلمين فأتاها فسألها ما قال لك الرجل ؟ فأخبرته بما قال وبما ردت عليه ، فقال لها : أتعرفينه ؟ قالت : لا والله . قال : ويحك ذلك رسول الله ﷺ ، فبادرت تسعى حتى أدركته ، فقالت : يا رسول الله أصبر . قال : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى »^(١) أى إنما يجمل الصبر عند مفاجأة المصيبة ، وأما فيما بعد فيقع السلو طبعاً . وفى صحيح مسلم : مات ابن لأبى طلحة من أم سليم ، فقالت لأهله : لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه . فجاء أبو طلحة فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تتصنع من قبل ذلك فوقع بها ، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة أرايت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا ، قالت أم سليم : فاحتسب ابنك . قال : فغضب أبو طلحة ، فقال : تركتنى حتى إذا تلطخت أخبرتنى بابنى ، والله لا تغلبنى على الصبر ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان ، فقال رسول الله ﷺ : « بارك الله لكما فى ليلتكما » . فذكر الحديث^(٢) . وفى الحديث : « ما أعطى أحدا عطاء خيراً وأوسع من الصبر »^(٣) .

وقال على بن رضى الله عنه للأشعث بن قيس : إنك إن صبرت إيماناً واحتساباً وإلا سلوت كما تسلو البهائم ، وكتب حكيم إلى رجل قد أصيب بمصيبة : إنك قد ذهب منك ما رزقت به فلا يذهب عنك ما عوضت عنه وهو الأجر . وقال آخر : العاقل يصنع أول يوم من أيام المصيبة ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام ، قلت : قد علم أن عمر

(١) رواه أبو يعلى (٦٠٤١) وإسناده ضعيف وأصله فى الصحيحين ، فقد رواه البخارى (١٢٨٣) ومسلم (٩٢٦) وأبو داود (٣١٢٤) والترمذى (٩٨٧) والنسائى (٢٢/٨) وابن ماجه (١٥٩٦) عن أنس .
(٢) متفق عليه من رواية أنس ، وأحيل القاريء إلى تخريج هذه القصة إلى كتاب أحكام الجنائز للشيخ الألبانى رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له ، فقد وافته المنية فى نهاية شهر جمادى الآخر ١٤٢٠ هـ ، فقد جمع طرقها وألفاظها ورتبها ترتيباً غير مسبوق ، فجزاه الله خيراً ولأهمية هذه القصة وما فيها من دروس وعبر فإنى أنصح الأخوة الدعاة والدارسين أن يندندوا حولها .
(٣) رواه البخارى (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣) عن أبى سعيد .

للحافظ الذهبي

٢٠٩

الزمان يسلى المصاب، فلذلك أمر الشارع بالصبر عند الصدمة الأولى، وبلغ الشافعي رحمته الله أن عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعاً شديداً، فبعث إليه الشافعي رحمه الله يقول: يا أخى عز نفسك بما تعزى به غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك، واعلم أن أمضى المصائب فقد سرور وحرمان أجر، فكيف إذا اجتمعاً مع اكتساب وزر؟ فتناول حظك يا أخى إذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك، ألهمك الله عند المصائب صبراً وأحرز لنا ولك بالصبر أجراً، وكتب إليه يقول:

إني معزيك لا أني على ثقة من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزي يباق بعد ميتته ولا المعزي ولو عاشا إلى حين

وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بابنه: أما بعد فإن الولد على والده ماعاش حزن وفتنة، فإذا قدمه فصلاة ورحمة، فلا تحزن على مافاتك من حزنه وفتنته، ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته. وقال موسى بن المهدي لإبراهيم ابن سلمة وعزاه بابنه: أسرك وهو بلية وفتنة وأحزنك وهو صلاة ورحمة؟. وعزى رجل رجلاً فقال: إن من كان لك في الآخرة أجراً خيراً ممن كان في الدنيا سروراً وفرحاً. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه دفن ابناً له ثم ضحك عند القبر، فقيل له: أتضحك عند القبر؟ فقال: أردت أن أرغم الشيطان^(١). وعن ابن جريج رحمه الله قال: من لم يتعرض مصيبتيه بالأجر والاحتساب سلا كما تسلو البهائم، وعن حميد الأعرج قال: رأيت سعيد بن جبير رحمه الله يقول في ابنه ونظر إليه: إني أعلم خير خلة فيك، قيل: وما هي؟ قال: يموت فأحتسبه^(٢).

(١) قلت: أشك في نسبة هذا الأثر إلى عبد الله بن عمر، لأنه معروف بشدة تحريه للسنّة، ومن أشد الناس اتباعاً، وهذا مخالف لحال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جمع بين الرحمة والرضا بالقضاء، فبكى ولم يسخط صلى الله عليه وسلم.

(٢) رواه الدميّاطي في التسلّي (٩٦) والبيهقي شعب (٩٧٦٨) وأبو نعيم (٢٧٥/٤).

وعن الحسن البصري رحمه الله: أن رجلا حزن على ولد له وشكا ذلك إليه فقال الحسن: كان ابنك يغيب عنك؟ قال: نعم كان غيبته أكثر من حضوره، قال: فتركه غائبا فإنه لم يغيب عنك غيبة إلا لك فيها أجر أعظم من هذه. فقال: يا أبا سعيد هونت على وجدى على ابنى.

ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه فى وجعه فقال: يا بنى كيف تجدك؟ قال: أجدنى فى الحق. قال: يا بنى لأن تكون فى ميزانى أحب إلى من أن أكون فى ميزانك. قال: يا أبت لأن يكون ما تحب أحب إلى من أن يكون ما أحب^(١).

ومات ابن الإمام الشافعى فأنشد يقول:

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له رؤية مال أو فراق حبيب

ووقعت فى رجل عروة الأكلة فقطعها من الساق ولم يمسه أحد وهو شيخ كبير ولم يدع ورده تلك الليلة. إلا أنه قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ وتمثل بهذه الأبيات:

لعمري ما أهويت كفى لريبة ولا نقلتني نحو فاحشة رجلي
ولا قاذني سمعي ولا بصري لها ولادلني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلم أنني لم تصبني مصيبة من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي

وقال رحمه الله: اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت، وإن كنت أخذت فقد أبقيت، أخذت عضوا وأبقيت أعضاء وأخذت ابنا وأبقيت أبناء.

وقدم على الوليد فى ليلة رجل أعمى من بنى عُبس فسأله عن عينيه فقال: بت ليلة فى بطن واد ولم أعلم فى الأرض عبسيا يزيد ماله على مالى، فطرقنا سيل

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب «المحتضرين» (١٥٥) وتاريخ دمشق (٢٠٢/١٥).

== ٢١١ == للحافظ الذهبي

فذهب ماكان لى من مال وأهل وولد غير بعير وصبى، وكان البعير صعباً فندَّ (أى شرد) فاتبعته، فما جاوزت الصبى إلا ييسير حتى سمعت صوته فرجعت فإذا رأس الصبى فى بطنه فقتله، ثم اتبعت البعير لآخذه فنفحنى برجله فأصاب وجهى فحطمه وأذهب عينى، فأصبحت لا أهل لى ولا مال لى ولا ولد ولا بعير.

فقال الوليد: انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن فى الأرض من هو أشد منه بلاء.

وذكر أن عثمان رضي الله عنه لما ضرب جعل يقول والدماء تسيل على لحيته : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، اللهم إنى أستعين بك عليهم، وأستعينك على جميع أمورى، وأسألك الصبر على ما ابتليتنى^(١).

وقال المدائنى : رأيت بالبادية امرأة لم أر جلدا أنضر منها ولا أحسن وجهها منها، فقلت : تالله إن فعل هذا بك الاعتدال والسرور؟، فقالت : كلا والله إنى لبدع أحزان وخلف هموم وسأخبرك : كان لى زوج، وكان لى منه ابنان، فذبح أبوهما شاة فى يوم الأضحى والصبيان يلعبان، فقال الأكبر للأصغر: أتريد أن أريك كيف ذبح أبى الشاة؟ قال : نعم. فذبحه، فلما نظر إلى الدم جزع ففرع نحو الجبل فأكله الذئب، فخرج أبوه فى طلبه فتاه أبوه فمات عطشا فأفردنى الدهر. فقلت لها: وكيف أنت والصبر؟ فقالت : لو دام لى لدمت له ولكنه كان جرحا فاندمل.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من كان له فرطان من أمتى أدخله الله بهما الجنة». قالت عائشة رضي الله عنها : بأبى أنت وأمى فمن كان له فرط؟ قال صلى الله عليه وسلم : «ومن كان له فرط يا موفقة!». قلت : فمن لم يكن له فرط من أمتك؟ قال : «أنا فرط أمتى لن يصابوا بمثلى»^(٢) فرطان : ولدان.

وعن أبى عبيدة رضي الله عنه عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حصنا من النار». فقال أبو ذر : قدمت اثنين قال :

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى المحتضرين (٤٩) وتاريخ دمشق (٢٢١/١٦) والرقعة والبكاء لابن قدامة (ص ١٩٤) والرياض النضرة (٧٢/٣).

(٢) رواه الترمذى (١٠٦٨) وأحمد (٣٣٤/٢) والطبرانى (١٢٨٨٠) والديمياطى فى التسلي (٤١، ٤٠) والبعوى (١٥٥٠) وضعفه الشيخ فى ضعيف الجامع (٥٨١٣).

«واثنين». قال أبى بن كعب سيد القراء قدمت واحدا. قال عليه السلام: «واحدا ولكن ذلك فى أول صدمة»^(١).

وعن وكيع قال: كان لإبراهيم الحربى ابن وكان له إحدى عشرة سنة قد حفظ القرآن وتفقه من الفقه والحديث شيئا كثيرا فمات فجئت أعزيه قال لى: كنت اشتبهى موت ابنى هذا. قلت: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا؟ قد أنجب وحفظ القرآن وتفقه الفقه والحديث، قال: نعم رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وكأن صبيانا فى أيديهم قلال ماء يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم يوم حار شديد حره، قال: فقلت لأحدهم: اسقنى من هذا الماء. قال: فنظر إلى، وقال لى: ليس أنت أبى. فقلت: ومن أنتم؟ قالوا: نحن الصبيان الذين متنا فى الإسلام وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء، قال: فلهذا تمنيت موته.

وروى مسلم عن أبى حسان قال: قلت لأبى هريرة رضي الله عنه: حدثنا بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم، صغارهم دعاميص^(٢) الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه، فيأخذ بثوبه أو قال بيده فلا ينتهى حتى يدخله الجنة^(٣).

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: كنت فى أول أمرى منكبا على اللهو وشرب الخمر فاشتريت جارية وتسريت بها وولدت لى بتا فأحببتها حبا شديدا، إلى أن دبّت ومشت فكنت إذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتنى عليه فأهرقته بين يدي، فلما بلغت من العمر ستين ماتت فأكمدنى حزنها. قال: فلما كان ليلة النصف من شعبان بت وأنا ثمل من الخمر، فرأيت فى النوم كأن القيامة قد قامت

(١) رواه الترمذى (١٠٧٦) وابن ماجه (١٦٠٦) والدمياطى فى التسلى (٣٥) وقال الترمذى: غريب لم يسمع أبو عبيدة من أبيه، وهكذا قال ابن أبى حاتم فى مراسيله (٤٦٠) وضعفه الشيخ فى ضعيف ابن ماجه (٣٥١).

(٢) دعاميص - جمع دعموص أى صغار أهلها.

(٣) رواه مسلم (٢٦٣٥) وأحمد (٤٨٨/٢) والبخارى فى الادب المفرد (١٤٥) والدمياطى فى التسلى (١٤) والبيهقى (٦٧/٤).

للحافظ الذهبي

٢١٣

وخرجت من قبري ، وإذا بتنين قد تبعني يريد أكلني - والتنين الحية العظيمة - قال :
فهربت منه فتبعني ، وصار كلما أسرعت يهرع خلفي وأنا خائف منه ، فمررت في
طريقي على شيخ نقي الثياب ضعيف ، فقلت : يا شيخ بالله أجرنى من هذا التنين
الذي يريد أكلني وإهلاكني . فقال : يا ولدي أنا شيخ كبير وهذا أقوى مني ولا طاقة
لي به ، ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه . قال : فأسرعت في الهرب وهو
ورائي ، فأشرفت على طبقات النار وهي تفور ، فكدت أن أهوى فيها ، وإذا قائل
يقول : لست من أهلي فرجعت هاربا ، والتنين في أثرى ، فأشرفت على جبل
مستدير وفيه طاقات وعليها أبواب وستور وإذا بقائل يقول : أدركوا هذا البائس قبل
أن يدركه عدوه فتحت الأبواب ورفعت الستور ، وأشرقت على منها أطفال بوجوه
كالأقمار وإذا ابنتي معهم ، فلما رأنتي نزلت إلى كفة من نور ، وضربت بيديها
اليمنى إلى التنين فولى هاربا ، وجلست في حجرى وقالت : يا أبت ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ
آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(١) . فقلت : يا بنية وأنتم
تعرفون القرآن؟ قالت : نحن أعرف به منكم . قلت : يا بنية ماتصنعون ههنا؟ قالت :
نحن من مات من أطفال المسلمين أسكنا ههنا إلى يوم القيامة نتظركم تقدمون
علينا . فقلت : يا بنية ما هذا التنين الذي يطاردني ويريد إهلاكني؟ قالت : يا أبت
ذلك عملك السوء قويته فأراد إهلاكك ، فقلت : ومن ذلك الشيخ الضعيف الذي
رأيت؟ قالت : ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك
السوء ، فتب إلى الله ولا تكن من الهالكين ، قال : ثم ارتفعت عني واستقيظت فتبت
إلى الله من ساعتى^(٢) .

فانظر رحمك الله إلى بركة الذرية إذا ماتوا صغارا ذكورا كانوا أو إناثا ، وإنما
يحصل للوالدين النفع بهما في الآخرة إذا ماصبروا واحتسبوا وقالوا : الحمد لله إنا

(١) سورة الحديد آية ١٦ .

(٢) ذكره المقدسى فى كتاب التوابين (ص ١٠٤) .

لله وإنا إليه راجعون ، فيحصل ما وعد الله تعالى بقوله : ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ أى نحن وأموالنا يصنع بنا ما يشاء ﴿وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إقرار بالهلاك والفناء .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما أصاب عبدا مصيبة إلا ياحدى خلتين ، إما بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بتلك المصيبة . أو بدرجة لم يكن الله يبلغه إياها إلا بتلك المصيبة»^(١) .

وقال سعيد بن جبير : لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء قبلهم ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ، ولو أعطيته الأنبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ يقول : ﴿يَا أَسْفَى عَلَى يَوْسُفَ﴾ .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من قال عند المصيبة ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لى خيرا منها إلا أجره الله وأخلف له خيرا منها» . قالت : فلما توفى أبو سلمة قالت : من خير من أبى سلمة؟ ثم قلتها فأخلفنى الله رسول الله ﷺ . رواه مسلم^(٢) .

وعن الشعبي أن شريحا قال : إني لأصاب المصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات : أحمده إذ لم يكن أعظم منها ، وأحمده إذ رزقنى الصبر عليها ، وأحمده إذ وفقنى للاسترجاع لما أرجو من الثواب ، وأحمده إذ لم يجعلها فى دينى^(٣) . وقوله : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ الصلوات من الله الرحمة والمغفرة

(١) رواه البيهقى (٩٨٥٤) شعب عن بريدة الأسلمى مرفوعا وإسناده صحيح وأما حديث ثوبان فهو بلفظ «لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر» وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه» رواه أحمد (٢٨٧/٥ ، ٢٨٠) وابن ماجه (٤٠٢٢) والطحاوى مشكل (١٦٩/٤) والطبرانى (١٤٤٢) والحاكم (٤٩٣/١) والقضاعى (٨٣١) وصححه الشيخ فى الصحيحه (١٥٤) .

(٢) رواه مسلم (٩١٨) والبيهقى (٩٦٩٧) .

(٣) رواه البيهقى (٩٩٨٠) عن الشعبي به .

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ يريد الذين اهتدوا للترجيع وقيل إلى الجنة والثواب.

وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: نعم العدلان ونعم العلاوة: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ نعم العدلان ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ نعم العلاوة (١).

وأما إذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالويل والثبور، أو لطم خدا، أو شق جيبا، أو نشر شعرا أو حلقه أو قطعه أو نتفه فله السخط من الله تعالى وعليه اللعنة رجلا كان أو امرأة.

وقد روى أيضا أن الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر، وقد روى أن من أصابته مصيبة فخرق عليها ثوبا أو لطم خدا أو شق جيبا أو نتف شعرا فكأنما أخذ رمحا يريد أن يحارب ربه. وقد تقدم أن الله عز وجل لا يعذب بيبكاء العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - يعنى ما يقوله صاحب المصيبة بلسانه - يعنى من الندب والنياحة. وقد تقدم أن الميت يعذب فى قبره بما نوح عليه إذا قالت النائحة: واعضداه، واناصره، واكاسياه، جبد الميت. وقيل له: أنت عضدها؟ أنت ناصرها؟ أنت كاسيها؟ فالنواح حرام لأنه مهيج للحزن ودافع عن الصبر، وفيه مخالفة التسليم للقضاء، والإذعان لأمر الله تعالى.

□ حكاية □

قال صالح المري: كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر فنمت، وإذا بالقبور قد شققت وخرج الأموات منها وجلسوا حلقا حلقا، ونزلت عليهم أطباق مغطية، وإذا فيهم شابا يعذب بأنواع العذاب من بينهم. قال: فتقدمت إليه وقلت: يا شاب ما شأنك تعذب من بين هؤلاء القوم؟ فقال: يا صالح بالله عليك بلغ ما أمرك به وأد

(١) رواه الحاكم (٢/ ٢٧٠) والبيهقي (٩٦٨٨).

الأمانة وارحم غربتي ، لعل الله عزوجل أن يجعل لى على يدك مخرجاً : إني لما مت ولى والده جمعت النوادب والنوائح يندبن على وينحن كل يوم ، فأنا معذب بذلك ، النار عن يمينى وعن شمالى وخلفى وأمامى لسوء مقال أُمى ، فلا جزاها الله عنى خيراً ، ثم بكى حتى بكيت لبكائه ، ثم قال : يا صالح بالله عليك اذهب إليها فهي فى المكان الفلانى وعلم لى المكان ، وقل لها : لم تعذبى ولدك يا أماء ، ريتينى ومن الأسواء وقيتينى ، فلما مت فى العذاب رمتينى .

يا أماء لورأيتنى : الأغلال فى عنقى والقيد فى قدمى ، وملائكة العذاب تضربنى وتنهرنى ، فلو رأيت سوء حالى لرحمتينى ، وإن لم تتركى مانت عليه من الذنب والنياحة ، الله بينى وبينك يوم تشقق سماء عن سماء ، ويرز الخلائق لفصل القضاء . قال صالح : فاستيقظت فزعاً ، ومكثت فى مكانى قلقاً إلى الفجر .

فلما أصبحت دخلت البلد ولم يكن لى هم إلا الدار التى لأم الصبى الشاب ، فاستدلت عليها فأتيتها ، فإذا بالباب مسود ، وصوت النوادب والنوائح خارج من الدار . فطرقت الباب فخرجت إلى عجوز فقالت : ما تريد يا هذا؟ فقلت : أريد أم الشاب الذى مات فقالت : ومات صنع بها؟ هى مشغولة بحزنها .

فقلت : أرسلها إلى ، معى رسالة من ولدها . فدخلت فأخبرتها ، فخرجت أم وعليها ثياب سود ووجهها قد أسود من كثرة البكاء واللطم ، فقالت لى : من أنت ؟ قلت : أنا صالح المرى جرى لى البارحة فى المقابر مع ولدك وكذا وكذا ، رأيته فى العذاب وهو يقول : يا أُمى ريتينى ومن الأسواء وقيتينى ، فلما مت فى العذاب رمتينى ، وإن لم تتركى مانت عليها الله بينى وبينك يوم تشقق سماء عن سماء . فلما سمعت ذلك غشى عليها وسقطت إلى الأرض ، فلما أفاقت بكت بكاء شديداً ، وقالت : يا ولدى يعز على ولو علمت ذلك بحالك ما فعلت ، وأنا تائبة إلى الله تعالى من ذلك ، ثم دخلت وصرفت النوائح ولبست غير تلك الثياب ،

للحافظ الذهبي

٢١٧

وأخرجت إلى كيسا فيه دراهم كثيرة وقالت: يا صالح تصدق بهذه عن ولدي. قال صالح: فودعتها ودعوت لها وانصرفت وتصدقت عن ولدها بتلك الدراهم، فلما كان ليلة الجمعة الأخرى أتيت المقابر على عادتي فتمت، فرأيت أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وجلسوا على عادتهم، وأتتهم الأطباق، وإذ ذاك الشاب ضاحك فرح مسرور فجاءه أيضا طبق فأخذه، فلما رأيته جاء إلى فقال: يا صالح جزاك الله عني خيرا، خفف الله عني العذاب، وذلك بترك أُمي ما كانت تفعل، وجاءني ما تصدقت به عني.

قال صالح: فقلت: وما هذه الأطباق؟ فقال: هذه هدايا الأحياء لأمواتهم من الصدقة والقراءة^(١) والدعاء ينزل عليهم كل ليلة جمعة يقال له هذه هدية فلان إليك فارجع إلى أُمي واقرئها مني السلام، وقل لها: جزاك الله عني خيرا، قد وصل إلى ما تصدقت به عني وأنت عندي عن قريب فاستعدي. قال صالح: ثم استيقظت وأتيت بعد أيام إلى دار أم الشاب. وإذا بنعش موضوع على الباب، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لأم الشاب، فحضرت الصلاة عليها ودفنت إلى جانب ولدها بتلك المقبرة فدعوت لهما وانصرفت.

فنسأل الله أن يتوفانا مسلمين، ويلحقنا بالصالحين، ويعصمنا من النار، إنه جواد كريم، رؤوف رحيم.



(١) هذا لا يدل على جوار قراءة القرآن على المقابر، أو على الأموات فهذا لا يجوز والله أعلم - إنما يصل للميت من الأحياء، ما جاء في صحيح مسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث » الحديث وأما من قال أن قراءة القرآن يهدي ثوابها إلى الميت فهذا قد جانب الصواب، لأنه لا يعلم أحد هل نال ثواب قراءته أم لا؟

□ الكبيرة الخمسون □

البغى

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١).

وقال النبي ﷺ: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد» رواه مسلم (٢).

وفى الأثر: لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغى منهما دكا (٣).

وقال ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغى وقطيعة الرحم» (٤).

وقد خسف الله بقارون الأرض حين بغى على قومه ، فقد أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ (٥).

قال ابن الجوزي رحمه الله: فى بغى قارون أقوال: (أحدها): أنه جعل للبغية جعلا على أن تقذف موسى عليه السلام بنفسها ففعلت ، فاستحلفها موسى على ما قالت فأخبرته بقصتها مع قارون وكان هذا بغيه . قاله ابن عباس . (والثاني): إنه بغى بالكفر بالله عز وجل قاله الضحاك . (والثالث): بالكفر قاله قتادة ، (والرابع): أنه

(١) سورة الشورى آية ٤٢ .

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٥) وأبو داود (٤٨٩٥) وابن حبان (٤١٧٩) والطبراني (١٧/٣٦٤/١٠٠٠) وأحمد (١٦٢/٤) عن عياض بن حمار .

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٨٨) وابن حبان في روضة العقلاء (ص ٦٦) والبيهقي شعب (٦٦٩٣) عن ابن عباس وصححه الألباني في صحيح الأدب (٤٥٧) .

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد (٦٧) وأبو داود (٤٩٠٢) والترمذي (٢٥١١) وابن ماجه (٤٢١١) والطيالسي (٨٨٠) والحاكم (٣٥٦/٣) وأحمد (٣٦/٥) عن أبي بكره وصححه الشيخ .

(٥) سورة القصص آية ٧٦: ٨١ .

== للحافظ الذهبي == ٢١٩ ==

أطال ثيابه شبرا قاله عطاء الخرساني ، والخامس أنه كان يخدم فرعون فاعتدى على بنى إسرائيل فظلمهم حكاها الماوردي^(١) .

قوله : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ ، لما أمر قارون البغي بقذف موسى غضب موسى فدعا عليه ، فأوحى الله إليه : إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فمرها ، فقال موسى : يا أرض خذيه فأخذته حتى غيبت سريرته ، فلما رأى قارون ذلك ناشد موسى بالرحم ، فقال : يا أرض خذيه . فأخذته حتى غيبت قدميه ، فما زال يقول : يا أرض خذيه حتى غيبتته . فأوحى الله إليه : يا موسى ما أفضلك وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته!^(٢) قال ابن عباس : فخسفت به الأرض إلى الأرض السفلى . قال سمرة ابن جندب : إنه كل يوم يخسف به قامة فتبلغ به الأرض السفلى يوم القيامة^(٣) . قال مقاتل : فلما هلك قارون قال بنو إسرائيل إنما أهلكه موسى ليأخذ ماله وداره فخسف الله بداره وماله بعد ثلاثة أيام .

﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أى يمنعونه من الله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ أى من الممتنعين مما نزل به ، والله أعلم^(٤) .

اللهم إنك إذا قبلت سلمت ، وإذا أعرضت أسلمت ، وإذا وفقت ألهمت ، وإذا خذلت اتهمت .

اللهم أذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك ، واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض عمن سواك ، واغفر لنا ولوالدينا وسائر المسلمين آمين .



(١) زاد المسير (٢٦٣/٦) .

(٢) رواه الطبري بنحوه (١١٧/٢٠) وفي سنده رجل مجهول ، ورواه أحمد في الزهد مختصراً عن عون بن عبد الله القاري .

(٣) قال الحافظ في «الفتح» رواه الطبري في «التاريخ» من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : ذكر لنا . . . فذكره ، وقال السيوطي في الدر (١٣٨/٥) رواه ابن أبي حاتم من طريق قتادة عن سمرة .

(٤) زاد المسير (٢٤٥/٦) .

□ الكبيرة الحادية والخمسون □

الاستطالة

على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدابة

لأن الله تعالى قد أمر بالإحسان إليهم بقوله تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا﴾ (١).

قال الواحدى : فى قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ : أخبرنا أحمد ابن محمد بن إبراهيم المهرجاني بإسناده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار ، فقال : يامعاذ ، قلت : لبيك وسعديك يا رسول الله . قال : «هل تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟» قلت : الله ورسوله أعلم؟ قال : « فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا» (٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال : يا نبي الله أوصني ، قال : « لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقت ، ولا تدع الصلاة لوقتها فإنها ذمة الله ، ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر» (٣).

(١) سورة النساء آية ٣٦ .

(٢) رواه عبد الرزاق (٢٠٥٤٦) وأحمد (٢٢٨/٥) والبخاري (٢٨٥٦، ٥٩٦٧) مسلم (٣٠/٤٩) وأبو عوانة (١٦/١٧) والطيالسي (٥٦٥) والترمذي (٢٦٤٣) وابن ماجه (٤٢٩٦) وابن حبان (٢١٠).

(٣) رواه أحمد (٢٣٨/٥) والطبراني (١٥٦/٨٢/٢٠) عن معاذ بن جبل ورواه البخاري فى الأدب المفرد (١٨) والطبراني وابن ماجه (٤٠٣٤) والبيهقى شعب (٥٥٨٩) عن أبي الدرداء ، ورواه البيهقى فى الشعب (٧٨٦٥) وابن عساكر (١٧/٣٢٢/١) عن أم أيمن وصححه الشيخ فى الإرواء (٢٠٢٦) ولم أعثر عليه من رواية ابن مسعود.

للحافظ الذهبي

٢٢١

قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب ، ولا يغلظ لهما الجواب ، ولا يحد النظر إليهما ، ولا يرفع صوته عليهما ، بل يكون بين أيديهما مثل العبد بين يدي السيد تذللًا لهما .

قوله: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ قال: يصلهم ويتعطف عليهم ، ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ يرفق بهم ويدنيههم ويمسح رؤوسهم ، ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ يبذل يسير ورد جميل ، ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ يعنى الذى بينك وبينه قرابة فله حق الجوار وحق الإسلام ، ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ هو الذى ليس بينك وبينه قرابة يقال رجل جنب إذا كان غريبًا متباعدًا أهله ، وقوم أجانب والجنابة : البعد . عن عائشة رضي الله عنها أن النبی صلی الله علیه وسلم قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلی الله علیه وسلم: «إن الجار لیتعلق بالجار يوم القيامة يقول: يارب أوسع علي أخى هذا وقترت علي، أمسى طاويا ويمسى هذا شعبان، سله لم أغلق بابه وحرمنى ما قد وسعت به عليه»^(٢).

﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: هو الرفيق فى السفر له حق الجوار وحق الصحبة، ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾: هو الضيف يجب إقراؤه إلى أن يبلغ حيث يريد، وقال ابن عباس: هو عابر سبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: يريد المملوك يحسن رزقه ويعفو عنه فيما يخطئ قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا﴾، قال ابن عباس: يريد بالمختال العظيم فى نفسه الذى لا يقوم بحقوق الله ، والفخور هو الذى يفخر على عباد الله بما خوله الله من كرامته وما أعطاه من نعمه .

(١) رواه أحمد (٢٣٨/٦) ومسلم (٢٦٢٤) والبخاري في الأدب المفرد (١٠١) والصحيح (٦٠١٤) وأبو داود (٥١٥١) والترمذي (١٩٤٢) وابن ماجه (٣٦٧٣) عن عائشة، ورواه البخاري (٣٠١٥) ومسلم (٢٦٢٥) عن ابن عمر.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١١) عن ابن عمر بلفظ: «كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول: يارب هذا أغلق بابه دوني فمنع معروفه» وقال الشيخ فى صحيح الأدب (٨١) حسن لغيره.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « بينما رجل شاب ممن كان قبلكم يمشى في حلة مختالا فخورا إذ ابتلعتة الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة»^(١). وعن أسامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»^(٢) هذا ما ذكره الواحدى.

وكان رسول الله ﷺ عند خروجه من الدنيا فى آخر مرضه يوصى بالصلاة، وبالإحسان إلى المملوك، ويقول: «الله الله الصلاة وما ملكت أيمانكم»^(٣).

وفى الحديث: «حسن الملكة يمن وسوء الملكة شؤم»^(٤) وقال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة سيء الملكة»^(٥).

قال أبو مسعود رضي الله عنه: كنت أضرب مملوكا لى بالسوط فسمعت صوتا من ورائى: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام» قال: قلت: يا رسول الله لا أضرب مملوكا لى بعده أبدا. وفى رواية: سقط السوط من يدى من هيبة رسول الله ﷺ، وفى رواية: فقلت: هو حر لوجه الله، فقال: «أما إنك لولم تفعل للفحتك النار يوم القيامة» رواه مسلم^(٦). وروى مسلم أيضا من حديث

-
- (١) سبق تخريجه فى الكبيرة ١٧.
 (٢) رواه أحمد (٢/٤٤، ٤٦، ٨١) والبخارى (٥٧٨٣) ومسلم (٢٠٨٥) والنسائى (٢٠٦/٨) وابن ماجه (٣٥٦٩) عن ابن عمر.
 (٣) رواه أحمد (١١٧/٣) وابن سعد (٢/٢٥٣) والطحاوى مشكل (٤/٢٣٥) وابن ماجه (٣٦٩٧) وابن حبان (٦٦٠٥) والحاكم (٣/٥٧) عن أنس بلفظ «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم»، وأخرجه أحمد (١/٧٨) وأبو داود (٥١٥٦) وابن ماجه (٢٦٩٨) والبيهقى (٨/١١) عن علي بن أبي طالب نحوه، وأحمد (٦/٣١١) وابن سعد (٢/٢٥٤) وابن ماجه (١٦٢٥) والبغوي (٢٤١٥) عن أم سلمة نحوه وهو صحيح بطريقه.
 (٤) رواه عبد الرزاق (٢٠١١٨) وأحمد (٣/٥٠٢) والطبرانى (٤٤٥١) والقضاعي (٢٤٥) عن رافع بن مكيت مرفوعا بلفظ «حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم والبر زيادة فى العمر، والصدقة تمنع ميتة السوء» وإسناده ضعيف، رواه أبو داود (٥١٦٢، ٥١٦٣) عنه بلفظ «حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم» وكذا أبو يعلى (١٥٤١) وأحمد (٣/٥٠٢) وضعفه الشيخ فى الضعيف (٧٩٦).
 (٥) رواه الترمذى (١٩٤٦) وابن ماجه (٣٦٩١) وأبو يعلى (٩٢) وأبو نعيم (٤/١٦٤) والطبرانى أوسط (٩٣١٢) وضعفه الشيخ فى ضعيف الجامع (٦٢٥٥).
 (٦) رواه مسلم (١٦٥٩) وأبو داود (٥١٥٩) والترمذى (١٩٤٨).

== للحافظ الذهبي ==

ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من ضرب غلاماً له حداً لم يأت به أو لطمه فكفارته أن يعتقه»^(١)، ومن حديث حكيم بن حزام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا»^(٢).

وفي الحديث: «من ضرب بسوط ظلماً اقتص الله منه يوم القيامة»^(٣)، وقيل لرسول الله ﷺ: كم نعفو عن الخادم؟ قال: «في اليوم سبعين مرة»^(٤).

وكان في يد النبي ﷺ يوماً سواك فدعا خادماً له فأبطأ عليه فقال: «لولا القصاص لضربتك بهذا السواك»^(٥)، وكان لأبي هريرة رضي الله عنه جارية زنجية فرفع يوماً عليها السوط فقال: لولا القصاص لأغشيتكيه ولكن سأبيعك لمن يوفيني ثمنك، اذهبي فأنت حرة لوجه الله.

وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني قلت لأمتي يازانية، قال: «وهل رأيت عليها ذلك؟» قالت: لا. قال: «أما إنها ستستقيد منك يوم القيامة» فرجعت إلى جارتها فأعطتها سوطاً، وقالت: اجلديني. فأبّت الجارية فأعتقتها ثم رجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته بعقتها. فقال: «عسى» أي عسى أن يكفر عتقتك لها ما قذفتها به^(٦) وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من قذف مملوكه وهو برئ مما قاله جلد يوم القيامة حداً إلا أن يكون كما قال»^(٧).

-
- (١) رواه أحمد (٦١/٢) ومسلم (١٦٥٧) عن ابن عمر.
 (٢) رواه أحمد (٤٠٤/٣) ومسلم (٢٦١٣) وأبو داود (٣٠٤٥) وابن حبان (٥٦/٢) والبيهقي (٢٠٥/٩) عن هشام بن حكيم.
 (٣) سبق تخريجه.
 (٤) رواه أبو داود (٥١٦٤) والترمذي (١٩٤٩) وأحمد (١١١/٢) عن ابن عمر وصححه الشيخ في الصحيحة (٤٨٨).
 (٥) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨٤) وأبو يعلى (٦٩٠/١) وأبو نعيم (٣٧٨/٨) عن أم سلمة وصححه الشيخ في صحيح الأدب (٣٤).
 (٦) رواه الحاكم (٣٧٠/٤) وإسناده ضعيف جداً.
 (٧) رواه البخاري (٦٨٥٨) ومسلم (١٦٦٠) وأحمد (٤٣١/٢) والدارقطني (٢١٤/٣) والبخاري (٢٤١٢) عن أبي هريرة.

وفى الحديث : « للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف ما لا يطيق »^(١) ، وكان ﷺ يوصيهم عند خروجه من الدنيا ويقول : « الله الله فى الصلاة وماملكت أيمانكم »^(٢) ، أطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تكتسون ، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون ، فإن كلفتموهم فأعينوهم ، ولا تعذبوا خلق الله ، فإنه ملككم إياهم ، ولو شاء لملكهم إياكم »^(٣) .

ودخل جماعة على سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو أمير على المدائن فوجدوه يعجن عجين أهله ، فقالوا له : ألا تترك الجارية تعجن ؟ فقال رضي الله عنه : إنا أرسلناها فى عمل فكرهنا أن نجمع عليها عملا آخر . وقال بعض السلف : لا تضرب المملوك فى كل ذنب ولكن احفظ له ذلك ، فإذا عصى الله فاضربه على معصية الله وذكره الذنوب التى بينك وبينه .

فصل

ومن أعظم الإساءة إلى المملوك والجارية التفريق بينه وبين ولده ، أو بينه وبين أخيه لما جاء عن النبى ﷺ أنه قال : « من فرق بين والدته وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة »^(٤) . قال على كرم الله وجهه : وهب لى رسول الله ﷺ غلامين أخوين فبعت أحدهما ، فقال رسول الله ﷺ : « رده رده »^(٥) . ومن ذلك أن يجوع المملوك والجارية والدابة . يقول رسول الله ﷺ : « كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته »^(٦) ، ومن ذلك أيضا أن يضرب الدابة ضربا جوعا أو يحبسها ولا يقوم بكفائتها ، أو يحملها فوق طاقتها فقد روى فى تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ

(١) رواه أحمد (٢٤٧/٢) والبخاري فى الأدب (١٩٢، ١٩٣) ومسلم (١٦٦٢) وابن حبان (٤٣١٣) عن أبي هريرة .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) رواه البخاري (٢٥٤٥) ومسلم (١٦٦١) من حديث أبي ذر .

(٤) رواه أحمد (٤١٣/٥) والترمذي (١٥٦٦) والدارمي (٢٤٧٩) والحاكم (٥٥/٢) والبيهقي (١١٠٨١) عن أبي أيوب وهو فى صحيح الجامع (٦٤١٢) .

(٥) رواه الترمذي (١٢٨٤) وابن ماجه (٢٢٤٩) عن علي بن أبي طالب وضعفه الشيخ فى ضعيف ابن ماجه (٤٩٢) قال الشيخ وثبت بلفظ آخر ، راجع صحيح أبي داود (٢٤١٥) .

(٦) رواه مسلم (٩٩٦) وأحمد (١٦٠/٥) عن عبد الله بن عمرو .

للحافظ الذهبي

= ٢٢٥ =

دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ^(١). قيل : يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة فيقضى بينهم ، حتى أنه ليؤخذ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء حتى يقاد للذرة من الذرة ، ثم يقال لهم : كونوا ترابا ، فهناك يقول الكافر : ياليتني كنت ترابا . وهذا من الدليل على القضاء بين البهائم وبينها وبين بنى آدم ، حتى أن الإنسان لو ضرب دابة بغير حق أو عطشها أو كلفها فوق طاقتها فإنها تقبض يوم القيامة بقدر ما ظلمها أو جوعها والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «عذبت امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت جوعا لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض» أي من حشرات ^(٢).

وفي الصحيح أنه ﷺ رأى امرأة معلقة في النار والهرة تخذشها في وجهها وصدرها وهي تعذبها كما عذبتها في الدنيا بالحبس والجوع ^(٣) ، وهذا عام في سائر الحيوان ، وكذلك إذا حملها فوق طاقتها تقتص منه يوم القيامة لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : «بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها ، فقالت : إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث» ^(٤). فهذه بقرة أنطقها الله في الدنيا تدافع عن نفسها بأنها لا تؤذى ولا تستعمل في غير ما خلقت له ، فمن كلفها غير طاقتها أو ضربها بغير حق فيوم القيامة تقتص منه بقدر ضربه وتعذيبه .

قال أبو سليمان الداراني : ركبت مرة حمارا فضربته مرتين أو ثلاثا ، فرفع رأسه ونظر إلى وقال : يا أبا سليمان هو القصاص يوم القيامة فإن شئت فأقلل وإن شئت فأكثر . قال : فقلت : لا أضرب شيئا بعده أبدا . ومر ابن عمر بصبيان من قریش قد نصبوا طيرا وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن

(١) سورة الأنعام آية ٣٨ .

(٢) رواه البخاري (٢٣٦٥، ٢٣١٨) ومسلم (٢٢٤٢) عن ابن عمر ، والبخاري (٣٣١٨) ومسلم (٢٢٤٢)

وابن ماجه (٤٢٥٦) عن أبي هريرة .

(٣) رواه البخاري (٧٤٥، ٢٣٦٤) عن أسماء بنت أبي بكر .

(٤) رواه البخاري (٣٤٧١) ومسلم (٢٣٨٨) عن أبي هريرة .

عمر تفرقوا فقال: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً^(١). والغرض كالهدف وما يرمى إليه. ونهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم يعنى أن تحبس للقتل^(٢)، وإن كان مما أذن الشرع بقتله كالحية والعقرب والفأرة والكلب العقور، قتله بأول دفعة ولا يعذبه لقوله ﷺ: «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»^(٣).

وكذلك لا يحرقه بالنار لما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلاتا بالنار، وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما»^(٤).

قال ابن مسعود: كنا مع رسول الله ﷺ في سفره فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت ترفرف، فجاء النبي ﷺ وقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا عليها ولديها»، ورأى رسول الله ﷺ قرية نمل - أي مكان نمل - قد أحرقناه فقال: «من حرق هذه؟» قلنا: نحن، فقال ﷺ: «إنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا ربها»^(٥). وفيه من النهي عن القتل والتعذيب بالنار حتى في القملة والبرغوث وغيرهما.

(١) رواه البخاري (٥٥١٥) ومسلم (١٩٥٨) عن ابن عمر.
(٢) رواه البخاري (٥٥١٣) ومسلم (١٩٥٦) وأبو داود (٢٨١٦) عن أنس.
(٣) رواه مسلم (١٩٥٥) والطيالسي (١١١٩) وأبو داود (٢٨١٥) والترمذي (١٤٠٩) والنسائي (٢٢٧/٧) وابن ماجه (١٣٧٠) عن شداد بن أوس.
(٤) رواه البخاري (٣٠١٦) والترمذي (١٥٧١) عن أبي هريرة.
(٥) رواه البخاري في الأدب (٣٨٢) وأبو داود (٢٦٧٥) والحاكم (٢٣٩/٤) عن ابن مسعود وصحح الشيخ الحديث في الصحيح (٢٥).

فصل

ويكره قتل الحيوان عبثاً لما روى عن النبي ﷺ أنه قال: «من قتل عصفوراً عبثاً عجز إلى الله يوم القيامة، وقال: يارب سل هذا لم يقتلني عبثاً ولم يقتلني لمنفعة؟»^(١). ويكره صيد الطير أيام فراخه لما روى في ذلك في الأثر، ويكره ذبح الحيوان بين يدي أمه لما روى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله، قال: ذبح رجل عجلاً بين يدي أمه فأبى الله يده.

فصل

في فضل عتق المملوك. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو من أعضائه عضواً من أعضائه من النار حتى يعتق فرجه بفرجه» أخرجه البخاري^(٢).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أيما امرئ مسلم أعتق امرأة مسلماً كان فكاً كالأله من النار يجزى كل عضو منه عضواً منه، وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاً كاله من النار يجزى كل عضوين منهما عضواً منه، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة كانت فكاً كاله من النار يجزى كل عضو منها عضواً منها» رواه الترمذي وصححه^(٣).

اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين.



(١) رواه أحمد (٣٨٩/٥) والنسائي (٢٣٩/٧) والطبراني (٧٢٤٥) والحاكم (٢٣٣/٤) والبيهقي شعب (١١٠٧٥) وضعفه الشيخ في الضعيف (٥٧٦٣).

(٢) رواه البخاري (٢٥١٧) ومسلم (١٥٠٩) والترمذي (١٥٤١).

(٣) رواه الترمذي (١٥٤٧) عن أبي أمامة والطبراني عن عبد الرحمن بن عوف وأبو داود وابن ماجه والطبراني عن مرة بن كعب، وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٢٧٠٠).

□ الكبيرة الثانية والخمسون □

أذى الجار

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من لا يأمن جاره بوائقه»^(١). أى غوائله وشروره، وفى رواية: «لا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوائقه»^(٢).

وسئل رسول الله ﷺ عن أعظم الذنب عند الله فذكر ثلاث خلال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك، وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، وأن تزنى بحليلة جارك»^(٣) وفى الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»^(٤) «والجيران ثلاثة: جار مسلم قريب له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة، وجار مسلم له حق الجوار وحق الإسلام، والجار الكافر له حق الجوار»^(٥).

وكان ابن عمر رضيهما له جار يهودى، فكان إذا ذبح الشاة يقول: احملوا إلى جارنا اليهودى منها^(٦). وروى أن الجار الفقير يتعلق بالجار الغنى يوم القيامة، ويقول: يارب سل هذا لم منعنى معروفه وأغلق عني بابه^(٧).

وينبغى للجار أن يحتمل أذى الجار، فهو من جملة الإحسان.

(١) رواه البخاري (٦١٠٦) عن أبي شريح.

(٢) رواه مسلم (٤٦) عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري (٤٤٧٧) ومسلم (٨٦) وأبو داود (٢٣١٠) عن ابن مسعود.

(٤) رواه البخاري (٦١٣٦، ٦٠١٨) ومسلم (٤٧) وأبو داود (٥١٥٤) عن أبي هريرة.

(٥) رواه البزار (١٨٩٦) وأبو نعيم (٢٠٧/٥) والأصبهاني في الترغيب (٨٧٠) والخراطي في مكارم الأخلاق (٤١) وابن أبي الدنيا في الأخلاق (٣٤٠) والبيهقي شعب (٩٥٦٠) عن جابر وضعفه الشيخ في الضعيف (٢٦٧٣).

(٦) ذكره الترمذي في الحديث رقم (١٩٤٣) والبيهقي (٩٥٦٢) (٩٥٦٣).

(٧) رواه الأصبهاني في الترغيب عن ابن عمر وسنده ضعيف، ورواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٣٤٦) عنه وسنده حسن وقد سبق نحوه.

== للحافظ الذهبي == ٢٢٩ ==

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا قمت به دخلت الجنة. فقال: «كن محسناً»، فقال: يا رسول الله كيف أعلم أني محسن؟ قال: «سل جيرانك فإن قالوا أنك محسن فأنت محسن، وإن قالوا إنك مسيء فأنت مسيء» ذكره البيهقي من رواية أبي هريرة (١).

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «من أغلق باباً عن جاره مخافة على أهله وماله فليس بمؤمن، وليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه» (٢)، وقيل: «لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر من أن يزني بامرأة جاره، ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره» (٣)، وفي سنن أبي داود من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكوه جاره فقال له: «اذهب فاصبر»، فأتاه مرتين أو ثلاثاً ثم قال: «اذهب فاطرح متاعك على الطريق» ففعل، فجعل الناس يمرون به، ويسألونه عن حاله فيخبرهم خبره مع جاره، فجعلوا يلعنون جاره ويقولون: فعل الله به وفعل ويدعون عليه، فجاء إليه جاره وقال: يا أخى ارجع إلى منزلك فإنك لن ترى ماتكره أبداً (٤).

وأن يحتمل أذى جاره وإن كان ذمياً، فقد روى عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله أنه كان له جار ذمى، وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت في دار سهل بثق، فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف

(١) رواه الحاكم (٣٧٨/١) والبيهقي شعب (٩٥٦٧) وقال الحاكم علي شرطهما ووافقه الذهبي قلت: بل هو على شرط مسلم فقط.

(٢) رواه ابن عدي (١٧١/٥) والبيهقي (٩٥٦٠) وإسناده ضعيف.

(٣) رواه البخاري (١٠٣) أدب، وأحمد (٨/٦) والطبراني في الكبير (٢٠/٢٥٦/٦٠٥) وفي الأوسط (٦٣٣٣) عن المقداد بن الأسود وصححه الشيخ في الصحيحة (٦٥).

(٤) رواه أبو داود (٥١٥٣) والبخاري في الأدب (١٢٤) والحاكم (٤/١٦٠) وابن حبان (٥٢٠) وقال الشيخ حسن صحيح في صحيح الأدب (٩٢).

المجوسى ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد فمكث رحمه الله على هذه الحال زمانا طويلا إلى أن حضرت سهلا الوفاة ، فاستدعى جاره المجوسى وقال له : ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه ، فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يسقط منه فى الجفنة ، فقال : ماهذا الذى أرى؟ قال سهل : هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا ألتقاه بالنهار وألقيه بالليل ، ولولا أنه حضرنى أجلى ، وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيرى لذلك وإلا لم أخبرك فافعل ماترى ، فقال المجوسى : أيها الشيخ أنت تعاملنى بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفرى؟ مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم مات سهل رحمه الله .

فنسأل الله أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال ، وأن يحسن عاقبتنا إنه جواد كريم رؤوف رحيم .



الكبيرة الثالثة والخمسون

أذى المسلمين وشتمهم

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾^(١) وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢) وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾^(٣).

وقال ﷺ: «إِن مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَدَّعَهُ النَّاسُ أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فَحْشِهِ»^(٤)، وقال ﷺ: «عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ الْحَرْجَ إِلَّا مِنْ اقْتِرَاضٍ بِعَرَضٍ أَخِيهِ فَذَلِكَ الَّذِي حَرَجَ أَوْ هَلَكَ»^(٥) وفي الحديث: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ»^(٦) وقال ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»^(٧) وفيه أيضا: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فَسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(٨)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله إن فلانة تصلي الليل وتصوم النهار وتؤذي جيرانها بلسانها فقال: «لَا خَيْرَ فِيهَا هِيَ فِي النَّارِ»^(٩) صححه الحاكم.

-
- (١) سورة الأحزاب آية ٥٨ .
 (٢) سورة الحجرات آية ١١ .
 (٣) سورة الحجرات آية ١٢ .
 (٤) رواه البخاري (٦١٣١، ٦٠٥٤) ومسلم (٢٥٩١) وأبو داود (٤٧٩١) والترمذي (١٩٩٦) والحميدي (٢٤٩) عن عائشة .
 (٥) رواه البخاري في الأدب (٢٩١) والحميدي (٨٢٤) وأبو داود (٢٠١٥) والترمذي (٢٠٣٨) والطيالسي (١٢٣٢) وابن ماجه (٣٤٣٦) وابن حبان (٦٠٦١) والطبراني صغير (٥٥٩) والكبير (٤٦٣، ٤٦٤) عن أسامة بن شريك وهو صحيح .
 (٦) رواه مسلم (٢٥٦٤) وأحمد (٢/٢٧٧، ٢٨٧، ٢٨٨) عن أبي هريرة .
 (٧) جزء من الحديث السابق .
 (٨) رواه البخاري (٤٨) ومسلم (٦٤) والترمذي (١٩٨٣) وابن ماجه (٦٩) عن ابن مسعود .
 (٩) رواه أحمد (٢/٤٤٠) والبخاري في الأدب (١١٩) وابن حبان (٥٧٦٤) والبيهقي شعب (٩٥٤٦) وصححه الشيخ في الصحيحه (١٩٠) .

وفي الحديث أيضا: «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم»^(١) وقال رسول الله ﷺ: «من دعا رجلا بالكفر أو قال ياعدو الله وليس كذلك إلا حار عليه»^(٢). وقال ﷺ: «مررت ليلة أسرى بي بقوم لهم أظفار من النحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»^(٣).

□ فصل □

في الترهيب من الإفساد والتحريش بين المؤمنين وبين

البهائم والدواب

صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم»^(٤)، فكل من حرش بين اثنين من بنى آدم ونقل بينهما ما يؤذى أحدهما فهو غمام من حزب الشيطان من أشر الناس، كما قال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بشراركم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «شراركم المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرءاء العنت»^(٥) والعنت المشقة.

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة نمام»^(٦)، والنمام هو الذي ينقل الحديث بين الناس وبين اثنين بما يؤذى أحدهما أو يوحش قلبه على صاحبه أو صديقه بأن يقول له: قال عنك فلان كذا وكذا وفعل كذا وكذا، إلا أن يكون في

(١) رواه الترمذي (١٠١٩) وأبو داود (٤٩٠٠) والطبراني (١٣٥٩٩) وابن حبان (٣٠٢٠) والحاكم (٣٨٥/١) وضعفه الشيخ في ضعيف أبي داود (١٠٤٧).

(٢) رواه مسلم (٦١) عن أبي ذر ولفظه «ليس من رجل ادعي لغير أبيه».

(٣) رواه أبو داود (٤٨٧٨) وأحمد (٣/١٨٠، ٣٢٩) وابن أبي الدنيا في الغيبة (٢٦) والصمت (١٦٥) والبيهقي شعب (٦٧١٦) وصححه الشيخ في صحيح أبي داود.

(٤) رواه مسلم (٢٨١٢) والترمذي (١٩٣٧) عن جابر.

(٥) رواه البخاري (٣٢٣) أدب، والطبراني (٤٢٣/١٦٧، ٢٤) والحاكم (٤/٢٧٠) وأحمد (٤٥٩/٦).

وابن أبي الدنيا في الغيبة (١٢٠) وفي الصمت (٢٥٧) وأبو الشيخ في التوبيخ (٤/٢٣٠) والبيهقي شعب (١١١٠٨) وحسنه الألباني في صحيح الأدب (٢٤٦) عن أسماء بنت يزيد.

(٦) سبق تخريجه.

للحافظ الذهبي

٢٣٣

ذلك مصلحة أو فائدة ، كتحذيره من شر يحدث أو يترتب . وأما التحريش بين البهائم والدواب والطيور وغيرهم ، فحرام كمنافرة الديوك ونطاح الكباش وتحريش الكلاب بعضها على بعض وما أشبه ذلك ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك فمن فعل ذلك فهو عاص لله ورسوله . ومن ذلك إفساد قلب المرأة على زوجها ، والعبد على سيده . لما روى أن رسول الله ﷺ قال : « ملعون من خيب امرأة على زوجها أو عبدا على سيده » ^(١) نعوذ بالله من ذلك .

□ فصل □

في الترغيب في الإصلاح بين الناس

قال الله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ^(٢) قال مجاهد هذه الآية عامة بين الناس ، يريد أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال الخير ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ﴾ ثم حذف المضاف ﴿ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾ ، قال ابن عباس : بصلة الرحم ويطاعة الله ، ويقال لأعمال البر كلها معروف لأن العقول تعرفها ، قوله تعالى : ﴿ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ هذا مما حث عليه رسول الله ﷺ فقال لأبي أيوب الأنصاري : « ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم » قال : بلى يا رسول الله . قال : « تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا » ^(٣) وروى أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر لله » ^(٤) .

(١) سبق تخريجه .

(٢) سورة النساء آية ١١٤ .

(٣) رواه البزار عن أنس والبيهقي شعب (١١٠٩٣) والأصبهاني في الترغيب (١٨٠) عن أبي أيوب .

(٤) رواه الترمذي (٢٤١٢) وابن ماجه (٣٩٧٤) وأبو يعلى (٧١٣٢) والحاكم (٥١٢/٢) والطبراني (٤٨٤/٢٤٣/٢٣) وابن أبي الدنيا في الصمت (١٤) عن أم حبيبة وضعفه الشيخ في

ضعيف ابن ماجه (٨٦١) .

وروى أن رجلا قال لسفيان : ما أشد هذا الحديث ، قال سفيان : ألم تسمع إلى قول الله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ الآية ، فهذا هو بعينه ، ثم علم سبحانه أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند الله . قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ أي ثوابا لا حدله .

وفي الحديث : « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمى خيرا أو يقول خيرا » رواه البخاري^(١) . وقالت أم كلثوم : ولم أسمع من رسول الله ﷺ يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاثة أشياء : في الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها^(٢) ، وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شر فخرج رسول الله ﷺ ليصلح بينهم في أناس معه من أصحابه . رواه البخاري^(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما عمل شيء أفضل من مشى إلى الصلاة أو إصلاح ذات البين وحلف جائز بين المسلمين »^(٤) . وقال رسول الله ﷺ : « من أصلح بين اثنين أصلح الله أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفورا له ما تقدم من ذنبه »^(٥) . وبالله التوفيق .

اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك يا أرحم الراحمين .



(١) رواه عبد الرزاق (٢٠١٩٦) وأحمد (٤٠٣/٦، ٤٠٤) والبخاري (٢٦٩٢) وفي الأدب (٣٨٥) ومسلم (٢٦٠٥) وأبو داود (٤٩٢٠) والترمذي (١٩٣٨) عن أم كلثوم بنت عقبة .

(٢) هذه الزيادة عند مسلم والنسائي .

(٣) رواه البخاري (١٢٣٤) .

(٤) رواه البخاري في تاريخه الكبير (٦٣/١) والبيهقي شعب (١١٠٩٠) والأصبهاني ترغيب (١٨١) وصححه الشيخ في الصحيحة (١٤٤٨) .

(٥) أخرجه الأصبهاني في الترغيب (١٨٦) .

□ الكبيرة الرابعة والخمسون □

أذية عباد الله والتطول عليهم

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾^(١) وقال الله تعالى: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب»، وفي رواية: «فقد بارزني بالمحاربة»^(٣) أى أعلمته أنى محارب له. وفي الحديث: أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لقد أغضبت ربك». فأتاهم أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا إخواناه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخى^(٤). وقولهم مأخذها: أى لم تستوف حقها منه.

□ فصل □

في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(٥).

وهذه الآيات في تفضيل الفقراء، وسبب نزولها أن النبي ﷺ أول من آمن به الفقراء، وكذلك كل نبي أرسل أول من آمن به الفقراء، فكان رسول الله ﷺ يجلس مع فقراء أصحابه مثل سلمان وصهيب وبلال وعمار بن ياسر رضي الله عنهم، فأراد

(١) سورة الاحزاب آية ٥٨ .

(٢) سورة الشعراء آية ٢١٥ .

(٣) صحيح : رواه البخاري (٦٥٠٢) وابن حبان (٣٤٧).

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٠٤).

(٥) سورة الكهف آية ٢٨ .

المشركون أن يحتالوا عليه في طرد الفقراء لما سمعوا أن علامة الرسل أن يكون أول أتباعهم الفقراء، فجاء بعض رؤساء المشركين فقالوا: يا محمد اطردهم الفقراء عنك، فإن نفوسنا تأنف أن تجالسهم، فلو طردتهم عنك لآمن بك أشرف الناس ورؤسائهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ فلما أيس المشركون من طردهم قالوا: يا محمد لأن لم تطردهم فاجعل لنا يوما ولهم يوما فأنزل الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١) أى لا تتعدهم ولا تتجاوز بنظرك رغبة عنهم وطلبا لصحبة أبناء الدنيا.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٢) ثم ضرب لهم مثل الغنى والفقير لقوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾^(٣) ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٤) فكان رسول الله ﷺ يعظم الفقراء ويكرمهم.

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة هاجروا معه فكانوا فى صفة المسجد مقيمين متبتلين فسموا أصحاب الصفة، فكان يتمى إليهم من يهاجر من الفقراء حتى كثروا ﷺ.

هؤلاء شاهدوا ما أعد الله لأوليائه من الإحسان وعائنه بنور الإيمان فلم يعلقوا قلوبهم بشيء من الأكوان بل قالوا: إياك نعبد ولك نخضع ونسجد وبك نهتدى ونسترشد، وعليك نتوكل ونعتمد وبذكرك نتنعم ونفرح، وفى ميدان ودك نرتع ونسرح ولك نعمل ونكدح وعن بابك أبدا لا نبرح، فحيثما عمر لهم سبيله وخاطب فيهم رسوله فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ﴾^(٥)،

أى: ولا تطرد قوما أمسوا على ذكر ربهم يتقلبون، وإن أصبحوا فلبابه ينقلبون،

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (٦٢١) وسنده ضعيف جدا، وراجع زاد المسير (١٣٢/٥).

(٢) سورة الكهف آية ٢٩.

(٣) سورة الكهف آية ٣٢.

(٤) سورة الكهف آية ٤٥.

(٥) سورة الأنعام آية ٥٢.

للحافظ الذهبي

== ٢٣٧ ==

لا تطرد قوم المساجد مأواهم والله مطلوبهم ومولاهم ، والجوع طعامهم والسهر إذا نام
الناس إدامهم ، والفقر والفاقة شعارهم ، والمسكنة والحياء دثارهم . ربطوا خيل عزمهم
على باب مولاهم ، وبسطوا وجوههم فى محاريب نجواهم .

فالفقر عام وخاص ،

فالعالم الحاجة إلى الله تعالى وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر ، وهو معنى
قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ (١) ،

والخاص وصف أولياء الله وأحبابه ، خلو اليدين من الدنيا ، وخلو القلب من
التعلق بها ، اشتغالا بالله عز وجل وشوقا إليه ، وأنسا بالفراغ والخلوة مع الله عز
وجل .

اللهم أذقنا حلاوة مناجاتك ، وأن تسلك بنا طريق مرضاتك ، واقطع عنا كل ما
يبعدنا من حضرتك ، ويسر لنا ما يسرته لأهل محبتك ، واغفر لنا ولوالدينا
وللمسلمين .



□ الكبيرة الخامسة والخمسون □

إسبال الإزار والثوب واللباس والسرراويل تعززا وعجبا وفخرا وخيلاء

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١).

وقال النبي ﷺ: «ما أسفل الكعبين من الإزار فهو في النار» (٢)،

وقال ﷺ: «لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطرا» (٣)، وقال ﷺ: «ثلاثة لا

يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل والمنان

والمنفق سلعته بالهلف الكاذب» (٤). وفي الحديث أيضا: «بينما رجل يمشي في حلة

تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» (٥).

وقال ﷺ: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» (٦)، وقال

ﷺ: «الإسبال في الإزار والعمامة من جر شيئا منها خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» (٧).

وقال ﷺ: «أزرة المؤمن إلى نصف ساقه ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين،

ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار» (٨).

(١) سورة لقمان آية ١٨ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) رواه البخاري (٥٧٨٨) ومسلم (٢٠٨٧) عن أبي هريرة .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) رواه البخاري (٥٧٨٩) ومسلم (٢٠٨٨) عن أبي هريرة .

(٦) رواه البخاري (٥٧٩١) ومسلم (٢٠٨٥) عن ابن عمر .

(٧) رواه أبو داود (٤٠٩٤) وابن ماجه (٣٥٧٦) والنسائي (٢٠٨/٨) والطبراني (١٣٢٠٩) عن ابن عمر، وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٢٧٧٠) .

(٨) رواه مالك (٩١٤/٢) وأحمد (٣٠، ٥/٣) والطيالسي (٢٢٢٨) وأبو داود (٤٠٩٣) وابن ماجه (٣٥٧٣) وابن حبان (٥٤٤٦) عن أبي سعيد وسنده صحيح

للحافظ الذهبي

٢٣٩

وهذا عام في السراويل والثوب والجبّة والقباء والفرجية وغيرها من اللباس فنسأل الله العافية ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما الرجل يصلي مسبلاً إزاره قال له رسول الله ﷺ : « اذهب فتوضأ » ، ثم جاء فقال : « اذهب فتوضأ » فقال له الرجل : يا رسول الله مالك أمرته أن يتوضأ ؟ ثم سكت عنه فقال : « إنه كان يصلي وهو مسبل إزاره ، ولا يقبل الله صلاة رجل مسبلاً إزاره »^(١).

ولما قال ﷺ : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله إن إزارى يسترخى إلا أن أتعاheadه ، فقال له رسول الله ﷺ : « إنك لست ممن يفعله خيلاء »^(٢).

اللهم عاملنا بلطفك الحسن الجميل برحمتك يا أرحم الراحمين .



(١) رواه أبو داود (٤٠٨٦، ٦٣٨) عن أبي هريرة وضعفه الشيخ في الضعيف منه (١٢٤، ٨٨٤).
(٢) رواه أحمد (١٣٦/٢) والبخاري (٣٦٦٥، ٥٧٨٤) ومسلم (٢٠٨٥) وأبو داود (٤٠٨٥) والنسائي (٢٠٨/٨) وابن ماجه (٣٥٧٦).

□ الكبيرة السادسة والخمسون □

لبس الحرير والذهب للرجال

في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»^(١). وهذا عام في الجند وغيرهم لقوله ﷺ: «حرم لبس الحرير والذهب على ذكور أمتي»^(٢)

وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباغ وأن نجلس عليها، أخرجه البخاري.^(٣)

فمن استحل لبس الحرير من الرجال فهو كافر، وإنما رخص فيه الرسول ﷺ لمن به حكة أو جرب أو غيره^(٤)، وللمقاتلين عند لقاء العدو. أما لبس الحرير للزينة في حق الرجال فحرام بإجماع المسلمين، سواء كان قباء أو قبطيا أو كلوثة وكذلك إذا كان الأكثر حريراً كان حراماً، وكذلك الذهب لبسه حرام على الرجال، سواء كان خاتماً أو حياصة أو سقط سيف حرام لبسه وعمله.

وقد رأى النبي ﷺ في يد رجل خاتماً من ذهب فتزعه وقال: «يعمد أحدكم

(١) رواه البخاري (٥٨٣٢) ومسلم (٢٠٧٣) عن أنس ورواه البخاري (٥٨٣٣) عن ابن الزبير، ورواه البخاري (٥٨٣٤) عن عمر.

(٢) رواه أحمد (٣٩٦/٤) والطحاوي (٥٠٦) والنسائي (١٦١/٨) والترمذي (١٧٢٠) عن أبي موسى، وأحمد (٩٦/١) وأبو داود (٤٠٥٧) والنسائي (١٦٠/٨) وابن ماجه (٣٥٩٥) والطحاوي (٢٥٠/٤) عن علي وهو حديث صحيح.

(٣) رواه البخاري (٥٨٣٧) ومسلم (٢٠٦٧) عن حذيفة.

(٤) أخرجه أحمد (٢٧٢، ٢٥٥/٣) والبخاري (٢٩٢٢، ٢٩٢١) ومسلم (٢٠٧٦) وأبو داود (٤٠٥٦) والنسائي (٢٠٢/٨) وابن ماجه (٣٥٩٢) عن أنس قال: رخص النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام في لبس الحرير من حكة كانت بهما.

== ٢٤١ == للحافظ الذهبي

إلى جمرة من النار فيجعلها في يده»^(١). وكذلك طراز الذهب وكلوثة الزركش حرام على الرجال . واختلف العلماء في جواز إلباس الصبي الحرير والذهب فرخص فيه قوم ومنع آخرون لعموم قوله ﷺ عن الحرير والذهب: «هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم»^(٢)، فدخل الصبي في النهي ، وهذا مذهب الإمام أحمد وآخرين رحمهم الله .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .



(١) رواه مسلم (٢٠٩٠) عن ابن عباس
(٢) راجع الحديث رقم (٢) من هذه الكبيرة .

□ الكبيرة السابعة والخمسون □

إباق العبد

روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : «إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة»^(١) وقال ﷺ : «أما عبد أبق فقد برئت منه الذمة» .^(٢)

وروى ابن خزيمة فى صحيحه من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يصعد لهم إلى السماء حسنة : العبد الأبى حتى يرجع إلى مولاه ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو»^(٣) .

وعن فضالة بن عبيد مرفوعا : «ثلاثة لا يسأل عنهم : رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ، وعبد أبى ومات عاصيا ، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها المؤونة فتبرجت بعده»^(٤) أى أظهرت محاسنها كما يفعل أهل الجاهلية وهم ما بين عيسى ومحمد ﷺ . كذا ذكره الواحدى رحمه الله .



(١) رواه مسلم (٧٠) وأبو داود (٤٣٦٠) عن جرير .

(٢) رواه مسلم (٦٩) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) رواه أحمد (١٩/٦) والبخارى أدب (٥٩٠) والطبرانى (٧٨٨/١٨) وابن حبان (٤٥٥٩) والحاكم (١١٩/١) والبيهقى شعب (٧٧٩٧) عن فضالة بن عبيد وهو صحيح .

□ الكبيرة الثامنة والخمسون □

الذبح لغير الله عز وجل

مثل من يقول : بسم الشيطان أو الصنم أو باسم الشيخ فلان . قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (١) .

قال ابن عباس : يريد الميتة والمنخقة إلى قوله : ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ . وقال الكلبي : ما لم يذكر اسم الله عليه أو يذبح لغير الله تعالى . وقال عطاء : ينهى عن ذبائح كانت تذبح قریش والعرب على الأوثان وقوله : ﴿وَأَنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ يعنى : وإن كان ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق أو خروج عن الحق والدين ﴿إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ (٢) أى يوسوس الشيطان لوليه فيلقى فى قلبه الجدل بالباطل ، وهو أن المشركين جادلوا المؤمنين فى الميتة .

قال ابن عباس أوحى الشيطان إلى أوليائه من الإنس كيف تعبدون شيئاً لا تأكلون ما يقتل وأنتم تأكلون ما قتلتم ؟ فأنزل الله هذه الآية ﴿وَأَن أَطْعَمُوهُمْ﴾ يعنى فى استحلال الميتة ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ .

قال الزجاج : وفى هذا دليل على أن كل من أحل شيئاً مما حرم الله أو حرم شيئاً مما أحل الله فهو مشرك ، فإن قيل : كيف أباحت ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية والآية كالنص فى التحريم ؟ قلت : إن المفسرين فسروا ﴿مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ فى هذه الآية بالميتة ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية وفى الآية أشياء تدل على أن الآية فى تحريم الميتة ومنها قوله : ﴿وَأَنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ ولا يفسق أكل ذبيحة المسلم التارك للتسمية ،

ومنها قوله: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ والمناظرة إنما كانت في الميتة بإجماع المفسرين لا في ذبيحة تارك التسمية من المسلمين ، ومنها قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ والشرك في استحلال الميتة لا في استحلال الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها ، وقد أخبرنا أبو منصور بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله تعالى؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اسم الله على فم كل مسلم»^(١).

وأخبرنا أبو منصور أيضاً بإسناده عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يكفيه اسمه وإن نسي يسمى حين يذبح فليسم ويذكر الله ثم ليأكل»^(٢).

وأخبرنا عمرو بن أبي عمرو بإسناده عن عائشة رضي الله عنها أن قوما قالوا: يا رسول الله إن قوما يأتونا باللحم لاندري أذكر اسم الله عليه أم لا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سموا عليه وكلوا»^(٣)، هذا آخر كلام الواحدى رحمه الله وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله من ذبح لغير الله»^(٤).



(١) موضوع : رواه ابن عدي (٣٨٥/٦) والدارقطني (٩٤/٢٨٥/٤) والطبراني في الأوسط (٤٧٦٩) والبيهقي (٢٤٠/٩) وقال الشيخ: موضوع انظر ضعيف الجامع (٩٥٥).

(٢) رواه الدارقطني (٩٨٠٩٦/٢٩٦/٤) والبيهقي (٢٣٩/٩) عن ابن عباس مرفوعاً وموقوفاً ورجح البيهقي الموقوف.

(٣) رواه مالك (١/٤٨٨/٢) والبخاري (٥٥٠٧) والدارقطني (٩٩/٢٩٦/٤) عن عائشة.

(٤) سبق تخريجه.

□ الكبيرة التاسعة والخمسون □

فيمن ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم

عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام»^(١) رواه البخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كافر» رواه البخاري^(٢) .

وفيه أيضا: «من ادعى إلى غير أبيه فعليه لعنة الله»^(٣) . وعن زيد بن شريك قال: رأيت عليا رضي الله عنه يخطب على المنبر فسمعتة يقول: والله ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله تعالى وما في هذه الصحيفة فنشرها ، فإذا فيها أسنان الإبل وشيء من الجراحات ، وفيها : قال رسول الله ﷺ: «المدينة حرام ما بين عير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثا ، أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله يوم القيامة منه صرفا ولا عدلا، ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك، وذمة المسلمين واحدة» رواه البخاري^(٤) . وعن أبي ذر أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن ادعى ماله له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلا بالكفر أو قال ياعدو الله وليس كذلك إلا حار عليه» أي رجع عليه ، رواه مسلم^(٥) . فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .



(١) رواه البخاري (٦٧٦٧) ومسلم (٦٣) عن سعد .
(٢) رواه البخاري (٦٧٦٨) ومسلم (٦٢) .
(٣) رواه مسلم (١٣٧٠) وقد سبق .
(٤) رواه البخاري (١٨٧٠) (٦٧٥٥) ومسلم (١٣٧٠) .
(٥) رواه البخاري (٦٠٤٥) ومسلم (٦١) وهذا لفظه .

□ الكبيرة الستون □

الجدل والمراء واللد

قال الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (١).

ومما يذم من الألفاظ : المراء ، والجدال ، والخصومة .

قال الإمام «حجة الإسلام» الغزالي رحمه الله : «المراء طعنك في كلام لإظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله وإظهار مزيتك عليه . وقال : وأما الجدال فعبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها . قال : وأما الخصومة فلجاجة في الكلام ليستوفى به مقصودا من مال أو غيره وتارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون إلا اعتراضا . هذا كلام الغزالي (٢) .

وقال النووي رحمه الله : اعلم أن الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل ، قال الله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٣) ، وقال الله تعالى ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٤) ، وقال الله تعالى ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٥) ، قال : فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محمودا ، وإن كان في مدافعة الحق أو كان جدالا بغير علم كان مذموما ، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمه ، والمجادلة والجدال بمعنى واحد . قال بعضهم : مارأيت شيئا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أشغل للقلب من الخصومة .

(١) سورة البقرة آية ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٢) انظر الإحياء (٣/٢٦١) .

(٣) سورة العنكبوت آية ٤٦ .

(٤) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٥) سورة غافر آية ٤ .

للحافظ الذهبي

٢٤٧

(فإن قلت): لا بد للإنسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه، (فالجواب): ما أجاب به الغزالي رحمه الله: اعلم أن الذم المتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل وبغير علم كوكيل القاضى فإنه يتوكل فى الخصومة قبل أن يعرف الحق فى أى جانب هو فيخاصم بغير علم.

ويدخل فى الذم أيضا من يطلب حقه لأنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللد والكذب والإيذاء والتسليط على خصمه، كذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذى وليس له إليها حاجة فى تحصيل حقه، كذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره فهذا هو المذموم.

وأما المظلوم الذى ينصر حجته بطريق الشرع من غير لد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا إيذاء، ففعل هذا ليس حراما ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا، لأن ضبط اللسان فى الخصومة على حد الاعتدال متعذر، والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر ويحزن لمسرته ويطلق لسانه فى عرضه، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات، وأقل مافيها اشتغال القلب حتى أنه يكون فى صلاته، وخياطره متعلق بالمحاجة والخصومة فلا تبقى حاله على الاستقامة. والخصومة مبدأ الشر وكذا الجدال والمراء فينبغى للإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لا بد منها.

روينا فى كتاب الترمذى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بك إثما أن لا تزال مخاصما»^(١)، وجاء عن على رضي الله عنه قال: إن الخصومة لها قحم قلت: القحم بضم القاف وفتح الحاء المهملة وهى المهالك.

(١) رواه الترمذى (١٩٩٤) والطبرانى (١١٠٣٢) والبيهقى (٨٤٣٢) فى الشعب عن ابن عباس، روى ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٤١٩١).

□ فصل □

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط حتى ينزع»^(١).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً﴾ الآية»^(٢).

وقال ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق في القرآن ودنيا تقطع أعناقكم» رواه ابن عمر^(٣). وقال النبي ﷺ: «المراء في القرآن كفر»^(٤).

□ فصل □

يكره التغيير في الكلام بالتشديد، وتكلف السجع بالفصاحة بالمقدمات التي يعتادها المتفاسحون، فكل ذلك من التكلف المذموم، بل ينبغي أن يقصد في مخاطبته لفظا يفهمه جاليا ولا يثقله.

روينا في كتاب الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة»^(٥). قال الترمذي: حديث حسن.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (١٥٣) وفي الغيبة (١٤) والأصبهاني ترغيب (٩٧٤) والعقيلي في الضعفاء، وهو في ضعيف الجامع (٥٥٥١).

(٢) رواه أحمد (٥٥٢/٥) والترمذي (٣٢٥٣) وابن ماجه (٤٨) والحاكم (٤٤٧/٢) وابن جرير (٨٨/٢٥) والطبراني (٨٠٧٦) وحسنه الشيخ في صحيح الجامع (٥٦٣٣).

(٣) رواه البيهقي شعب (١٠٣١١، ١٠٣١٢) والأصبهاني في الترغيب (٩٧٧) عن ابن عمر وإسناده ضعيف.

(٤) رواه أحمد (٢٨٦/٢، ٣٠٠) وأبو داود (٤٦٠٣) والحاكم (٢٢٣/٢) عن أبي هريرة وهو صحيح انظر صحيح الجامع (٦٦٨٧).

(٥) رواه أحمد (١٦٥/٢، ١٨٧) وأبو داود (٥٠٠٥) والترمذي (٢٨٥٣) وابن أبي الدنيا في الغيبة (٩) وفي الصمت (١٤٩) وصححه الشيخ الألباني.

للحافظ الذهبي

== ٢٤٩ ==

وروينا فيه أيضا عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : «إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» .

قالوا: يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما المتفيهقون؟ قال :
« المتكبرون » قال الترمذى : حديث حسن ^(١) . قال : والثرثار هو كثير الكلام ،
والمتشدد : من يتناول على الناس فى الكلام ويبدو عليهم .

واعلم أنه لا يدخل فى الذم تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ إذا لم يكن فيها إفراط
وإغراب ، إلا أن المقصود منها تهيج القلوب إلى طاعة الله تعالى ولحسن اللفظ فى
هذا أثر ظاهر ، والله أعلم .



(٤) رواه الترمذى (٢٠١٨) والخطيب فى تاريخه (٦٣/٤) وحسنه الشيخ فى الصحيح (٢٢٠١) وفى
الصحيحة (٧٩١) .

الكبيرة الحادية والستون □

منع فضل الماء

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ (١).

قال النبي ﷺ: « لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلاء» (٢).

وقال ﷺ: «من منع فضل مائه وفضل كلته منعه الله فضله يوم القيامة» (٣).

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه منها وفى له وإن لم يعطه منها لم يف له، ورجل بايع رجلا بسعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذتها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك»

أخرجاه في الصحيحين وزاد في البخاري :

«ورجل منع فضل مائه فيقول الله اليوم أمنعت فضلي كما منعت فضل مالم تعمل يداك» (٤).



(١) سورة الملك آية ٣٠ .

(٢) رواه البخاري (٢٣٥٣) ومسلم (١٥٦٦) عن أبي هريرة .

(٣) رواه أحمد (١٧٩/٢، ٢٢١) عن عبد الله بن عمرو، وصححه الشيخ في الصحيح (١٤٢٢).

(٤) رواه البخاري (٢٣٥٨) ومسلم (١٠٨) عن أبي هريرة والزيادة عند البخاري (٢٣٦٩) عنه .

□ الكبيرة الثانية والستون □

نقص الكيل والذراع وما أشبه ذلك

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ يعنى الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم فى الكيل والوزن. قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾^(١) يعنى يستوفون حقوقهم منها. قال الزجاج: المعنى إذا أكتالوا من الناس استوفوا عليهم وكذلك إذا اتزنوا ولم يذكر (إذا اتزنوا) لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن فأحدهما يدل على الآخر. ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أى ينقصون فى الكيل والوزن.

وقال السدى: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس بخمس»، قالوا: يارسول الله وما خمس بخمس؟ قال: «مانقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا أنزل الله بهم الطاعون (يعنى كثرة الموت)، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر»^(٣)

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ قال الزجاج: المعنى لو ظنوا أنهم مبعوثون ما نقصوا فى الكيل والوزن ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أى يوم القيامة. ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ من قبورهم ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أى لأمره ولجزائه وحسابه، وهم

(١) سورة المطففين آية ٢، ١.

(٢) ذكره الواحدي فى أسباب النزول (٩٠٩) بغير إسناد ونقله ابن الجوزي فى زاد المسير (٥٢/٩).

(٣) سبق تخريجه.

يقومون بين يديه لفصل القضاء . وعن مالك بن دينار قال : دخل على جار لى وقد نزل به الموت وهو يقول : جبليْن من نار ، جبليْن من نار . قال : قلت : ماذا تقول ؟ . قال : يا أبا يحيى كان لى مكيالان كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر . وقال مالك بن دينار : فقمْتُ فجعلت أضرب أحدهما بالآخر ، فقال : يا أبا يحيى كلما ضرب أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظما وشدة فمات فى مرضه .

والمطفف : هو الذى ينقص الكيل والوزن وسمى مطففا لأنه لا يكاد يسرق إلا الشيء الطفيف ، وذلك ضرب من السرقة والخيانة وأكل الحرام . ثم وعد الله من فعل ذلك بويل وهو شدة العذاب وقيل واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره . وقال بعض السلف : أشهد على كل كيال أو وزان بالنار لأنه يكاد يسلم إلا من عصم الله . وقال بعضهم : دخلت على مريض وقد نزل به الموت فجعلت ألقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها ، فلما أفاق قلت له : يا أخى مالى ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها ؟ قال : يا أخى لسان الميزان على لسانى يمنعنى من النطق بها . فقلت له : بالله أكنت تزن ناقصا ؟ قال : لا والله ولكن ماكنت أقف مدة لاختبر صحة ميزانى . فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه فكيف حال من يزن ناقصا ؟ !

وقال نافع : كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول : اتق الله وأوف الكيل والوزن ، فإن المطففين يوقفون حتى أن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم ، وكذا التاجر إذا شد يده فى الذراع بوقت البيع وأرخى وقت الشراء ، وكان بعض السلف يقول : ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السموات والأرض ، ويبيع لمن يشتري الويل بحبة يأخذها رائدة . فنسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم .



□ الكبيرة الثالثة والستون □

الأمن من مكر الله

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ (١) أى أخذهم عذابنا من حيث لا يشعرون. قال الحسن: من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأى له، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر إليه فلا رأى له ثم قرأ هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

وقال: مكر القوم ورب الكعبة أعطوا حاجتهم ثم أخذوا.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يَحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (٢). الإبلّاس: اليأس من النجاة عند ورود الهلكة. وقال ابن عباس: أيسوا من كل خير. وقال الزجاج: المبلّس الشديد الحسرة اليأس الحزين. وفي الأثر: إنه لما مكر إبليس - وكان من الملائكة - طفق جبريل وميكايل يبكيان؟ فقال الله عز وجل لهما: مالكما تبكيان؟ قالا: يارب مانأمن مكرك. فقال الله تعالى: «هكذا كونا لا تأمنا مكرى» (٣)، وكان النبي ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك» ف قيل له: يا رسول الله أتخاف علينا؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يَقْلِبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ» (٤).

(١) سورة الأنعام آية ٤٤ .

(٢) رواه أحمد (١٤٥/٤) والدولابي (كني) (١١١/١) والطبراني (١٧/٣٣٠/٩١٣) والأوسط (٩٢٧٢).

وابن أبي الدنيا في الشكر (ص ٩) والبيهقي شعب (٤٥٤٠) وضححه الشيخ في الصحيح (٤١٤).

(٣) لم أعثر عليه، غير أن علامات الوضع واضحة.

(٤) رواه الترمذي (٢١٤٠) وابن ماجه (٢٨٣٤) عن أنس وله شواهد يصح بها الحديث.

وفى الحديث الصحيح: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»^(١).
وفى صحيح البخارى عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه قال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم»^(٢).

وقد قص الله تعالى فى كتابه العزيز قصة بلعام، وأنه سلب الإيمان بعد العلم والمعرفة^(٣)، وكذلك برصيصا العابد مات على الكفر^(٤).

وروى أنه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للأذان والصلاة، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة، فرقى يوما المنارة على عبادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصرانى ذمى فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار - وكانت جميلة - فافتتن بها وترك الأذان ونزل إليها فقالت له: ماشأنك وما تريد؟ فقال: أنت أريد. قالت: لا أجيبك إلى ريبة. قال لها: أتزوجك، قالت له: أنت مسلم وأبى لا يزوجنى بك، قال: أتتصر. قالت له: إن فعلت أفعل، فتتصر ليتزوج بها وأقام معهم فى الدار، فلما كان فى أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان فى الدار فسقط فمات، فلا هو فاز بدينه ولا هو تمتع بها^(٥). نعوذ بالله من مكره وسوء العاقبة وسوء الخاتمة.

وعن سالم عن عبد الله قال: كان كثيرا ما كان رسول الله صلوات الله عليه يحلف: «لا ومقلب القلوب» رواه البخارى^(٦)، ومعناه يصرفها أسرع من ممر الريح

(١) رواه البخارى (٧٤٥٤) ومسلم (٢٦٤٣) عن ابن مسعود.

(٢) رواه البخارى (٦٦٠٧) ومسلم (١١٢).

(٣) ذكره الطبري فى تاريخه (٢٥٨/١) وهى لا تصح.

(٤) راجع قصة هذا العابد فى تلبس إبليس بطرقها (ص ٤٤، ٤٧) بتحقيقى طبعة دار العقيدة.

(٥) ذكر هذه القصة ابن الجوزي فى ذم الهوى (ص ٣٤٨).

(٦) رواه البخارى (٧٣٩١) وأبو داود (٣٢٦٢) والترمذى (١٥٤٠).

على إختلاف فى القبول والرد. والإرادة والكرهه وغير ذلك من الأوصاف. وفى التنزيل: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾^(١)، قال مجاهد: المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ماتصنع بنانه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(٢) أى عقل، واختار الطبرى أن يكون ذلك إخبارا من الله تعالى أنه أملك لقلوب العباد منهم وأنه يحول بينهم وبينها إن شاء حتى لا يدرك الإنسان شيئا إلا بمشيئة الله عزوجل. وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلوات الله عليه وآله يكثّر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك». فقلت: يا رسول الله إنك تكثّر أن تدعو بهذا فهل تخشى؟ قال: «وما يؤمننى يا عائشة وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء، إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه»^(٣). فإذا كانت الهداية معروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة والعاقبة مغيبة والإرادة غير مغالبة، فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك ذلك إن كان من كسبك، فإنه من خلق ربك وفضله الدار عليك، فمهما افتخرت بذلك كنت مفتخرا بمتاع غيرك، ربما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف العير.

فكم من روضة أمت وزهرها يانع عميم، أضحت وزهرها يابس هشيم، إذ هبت عليها الريح العقيم، كذلك العبد يمسى وقلبه بطاعة الله مشرق سليم، ويصبح وهو بمعصية الله مظلم سقيم، ذلك تقدير العزيز العظيم.

ابن آدم . الأقلام عليك تجرى، وأنت فى غفلة لا تدري، ابن آدم دع المغانى والأوتار، والمنازل والديار، والتنافس فى هذه الدار، حتى ترى ما فعلت فى أمرك الأقدار.

(١) سورة الأنفال آية ٢٤ .

(٢) سورة ق آية ٣٧ .

(٣) رواه أحمد (٩١/٦) وابن أبي عاصم (٢٢٤) وأبو يعلى (٤٦٦٩) والأجري فى الشريعة (٢١٧) وصححه الشيخ فى ظلال الجنة بشواهده.

□ الكبيرة الرابعة والستون □

الإياس من روح الله والقنوط (*)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (١)

وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ (٢)

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (٣)

وقال النبي ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» (٤)

إلهنا لولا محبتك للغفران مأمهلت من يبارزك بالعصيان، ولولا عفوك
وكرمك ماسكنت الجنان.

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا.

اللهم انظر إلينا نظر الرضى، وأثبتنا فى ديوان أهل الصفا، ونجنا من
ديوان أهل الجفا.

اللهم حقق بالرجاء آمالنا، وحسن فى جميع الأحوال أعمالنا، وسهل
فى بلوغ رضاك سبلنا وخذ إلى الخيرات بنواصينا، وآتنا فى الدنيا حسنة
وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

(*) سقطت هذه الكبيرة من الكتاب المحقق، وكذلك من كثير من النسخ واثبتتها من نسخة دار
الصابونى لمحققها/ عبد المحسن قاسم البزار.

(١) سورة يوسف آية ٨٧.

(٢) سورة الشورى آية ٢٨.

(٣) سورة الزمر آية ٥٣.

(٤) رواه مسلم (٢٨٧٧) عن جابر

□ موعظة □

قال الربيع : قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : ينادى مناد من قبل العرش : أين فلان أين فلان فلا يسمع أحد ذلك الصوت إلا وتضطرب فرائصه ، قال : فيقول الله عز وجل لذلك الشخص : أنت المطلوب هلم إلى العرض على خالق السماوات والأرض فيشخص الخلق بأبصارهم تجاه العرش ويوقف ذلك الشخص بين يدي الله عز وجل ، فيلقى الله عز وجل عليه من نوره ما يستره عن المخلوقين ثم يقول له : عبدى أما علمت أنى كنت أشاهد عملك فى دار الدنيا ؟

فيقول : بلى يارب ، فيقول الله تعالى : عبدى أما سمعت بنقمتى وعذابى لمن عصانى ؟ فيقول : بلى يارب ، فيقول الله تعالى : أما سمعت بجزائى وثوابى لمن أطاعنى ؟ فيقول : بلى يارب ، فيقول الله تعالى : يا عبدى عصيتنى ؟ فيقول : يارب قد كان ذلك ، فيقول الله تعالى : عبدى فما ظنك اليوم بى ؟ فيقول : يارب أن تعفو عني ، فيقول الله تعالى : عبدى تحققت أنى أعفو عنك ؟ فيقول : نعم يارب لأنك رأيتنى على المعصية وسترتها على . قال : فيقول الله عز وجل : قد عفوت عنك وغفرت لك وحققت ظنك ، خذ كتابك بيمينك فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها ، وما كان من سيئة فقد غفرتها لك وأنا الجواد الكريم^(١) .



(١) هذه الموعظة بعض النسخ أثبتتها فى نهاية الموعظة السابقة وبعضها لم يذكرها مطلقا - وأرى أن موضعها المناسب هنا فى هذه الكبيرة - والله أعلم .

□ الكبيرة الخامسة والستون □

تارك الجماعة فيصلي وحده من غير عذر

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجماعة: «لقد هممت أن أمر رجل يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجماعة بيوتهم» رواه مسلم^(١)، وقال عليه السلام: «ليتتهين أقوام عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» رواه مسلم^(٢).

وقال عليه السلام: «من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه» أخرجه أبو داود والنسائي^(٣)، وقال: «من ترك الجمعة من غير عذر ولا ضرر، كتب منافقا في ديوان لا يمحي ولا يبدل»^(٤).

وعن حفصة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رواح الجمعة واجب على كل محتلم» أي على كل بالغ^(٥).

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.



(١) سبق تخريجه.
(٢) رواه مسلم (٨٦٥) والنسائي (٨٨/٣) وابن ماجه (٧٩٤) والدارمي (١٥٧٠) عن أبي هريرة.
(٣) رواه أحمد (٤٢٤/٣) وأبو داود (١٠٥٢) والترمذي (٥٠٠) والنسائي في كتاب الجمعة (٥) وابن ماجه (١١٢٥) والدارمي (١٥٧١) والحاكم (٢٨٠/١) وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٦١٤٠).
(٤) رواه ابن حبان (٢٥٨) وابن خزيمة (١٨٥٧) عن أبي الجعد الضمري وصححه الشيخ في تعليقه علي ابن خزيمة.
(٥) رواه أبو داود (٣٤٢) والنسائي في الجمعة (٩) والبيهقي (١٨٧/٣) عن حفصة وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٣٥٢١).

□ الكبيرة السادسة والستون □

الإصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ (١).

قال كعب الأحبار: ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات. وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين - رحمه الله -: كانوا يسمعون حتى على الصلاة حتى على الفلاح فلا يجيئون وهم سالمون أصحاء.

وفي الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قال : «والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطب يحتطب ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم أمر رجلا فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة في الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار» (٢)، وفي رواية لمسلم أيضا من حديث أبي هريرة : «لقد هممت أن أمر فتيتي أن يجمعوا لي حزما من حطب ثم أتى قوما يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم» (٣). وفي هذا الحديث الصحيح والآية التي قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر فقد روى أبو داود في سننه بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «من سمع المنادي فلم يمنع من إتيانه عذر - قيل : وما العذر يا رسول الله؟ قال خوف أو مرض - لم تقبل منه الصلاة التي صلى» (٤) يعنى في بيته.

وروى الترمذى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى في جماعة ولا يجمع ، فقال : إن مات هذا فهو في النار (٥).

(١) سورة القلم آية ٤٢، ٤٣ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) رواه مسلم (٦٥١) .

(٤)، (٥) سبق تخريجهما .

وروى مسلم أن رجلا أعمى جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ فرخص له، فلما ولى دعاه فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» قال: نعم، قال: «فأجب»^(١). وفي رواية أبي داود أن ابن أم مكتوم جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال له النبي ﷺ: «تسمع حي على الصلاة حي على الفلاح؟» قال: نعم. قال: «فأجب، فحي هلا». وفي رواية أنه قال: يا رسول الله إنني ضرير شاسع الدار ولي قائد لا يلائمني فهل لي رخصة. وقوله: «فحي هلا» أي تعال أقبل^(٢).

وروى الحاكم في مستدركه على شرط الصحيحين عن ابن عباس رضيهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر فلا صلاة له». قالوا: وما العذر يا رسول الله؟ قال: «خوف أو مرض»^(٣) وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن الله ثلاثة: من تقدم قوما وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجلا سمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لم يجيب»^(٤). قال أبو هريرة: «لأن تمتليء أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير من أن يسمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لا يجيب»^(٥). وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد، قيل: من جار المسجد؟ قال: من يسمع الأذان، قال أيضا: من سمع النداء فلم يأت به لم تجاوز صلاته رأسه إلا من عذر^(٦)، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من سره أن يلقي الله غدا مسلما فليحافظ على هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنها من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض. وقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف، يعني يتكئ عليهما من ضعفه حرصا على فضلها وخوفا من الإثم في تركها^(٧).

(١) رواه مسلم (٦٥٣) وقد سبق.
(٢)، (٣)، (٤)، (٥)، (٦)، (٧) سبق تخريجهم.

□ فصل □

وفضل صلاة الجماعة عظيم كما فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١) إنهم المصلون الصلوات الخمس فى الجماعات . وفى قوله تعالى: ﴿وَنَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾^(٢) أى خطاهم .

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة»^(٣) فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام فى مصلاه الذى صلى فيه يقولون: اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ما لم يؤذ فيه أو يحدث فيه»^(٤).

وقال ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله ؟ قال: «إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط» رواه مسلم^(٥).



(١) سورة الأنبياء آية ١٠٥ .

(٢) سورة يس آية ١٢ .

(٣) رواه مسلم (٦٦٦) من حديث أبي هريرة .

(٤) رواه البخاري (٤٧٧، ٦٤٧) عنه بلفظ «صلاة الرجل فى الجماعة» . الحديث .

(٥) رواه مالك (١٧٦/١) ومسلم (٢٥١) والنسائي (٨٩/١) والترمذي (٥١، ٥٢) وابن خزيمة (٢٧٧/٢)

عن أبي هريرة .

□ الكبيرة السابعة والستون □

الإضرار فى الوصية

قال الله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ (١). أى غير مدخل الضرر على الورثة ، وهو أن يوصى بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فمنع الله منه . وقال الله تعالى: ﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ .

قال ابن عباس : يريد ما أحل الله من فرائضه فى الميراث ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فى شأن الموارث ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (٢) قال مجاهد : فيما فرض الله من الموارث ، وقال عكرمة عن ابن عباس : من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا﴾ . وقال الكلبي : يعنى يكفر بقسمة الله الموارث ويتعدى حدوده استحلالاته ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلوات الله عليه : «إن الرجل أو المرأة لعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار» ثم قرأ أبو هريرة هذه الآية : ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ رواه أبو داود (٣) ، وجاء عنه صلوات الله عليه أنه قال : «من فر بميراث وارث قطع الله ميراثه من الجنة» (٤) وقال صلوات الله عليه : «إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث» صححه الترمذى (٥) .

(١) سورة النساء آية ١٢ .

(٢) سورة النساء آية ١٤ .

(٣) رواه أبو داود (٢٨٦٧) والترمذى (٢٢١٥) عن أبى هريرة وضعفه الشيخ فى ضعيف الجامع (١٤٥٧) .

(٤) رواه ابن ماجه (٢٧٠٣) وضعفه الشيخ فى ضعيف ابن ماجه برقم (٥٩٠) وفى المشكاة (٣٠٧٨) والحديث رواه أنس .

(٥) رواه عبد الرزاق (١٦٣٠٨) وأحمد (٢٦٧/٥) وأبو داود (٢٨٥٣) والترمذى (٢٢٥٣، ٦٦٥) وابن ماجه (٢٧١٣، ٢٠٠٧) والطبرانى (٧٦١٥) والبيهقى (١٩٣/٤) عن أبى أمامة وصححه الشيخ فى الإرواء (١٤١٣، ١٦٥٥) وصحيح الجامع (١٧٨٨، ١٧٨٩) .

□ الكبيرة الثامنة والستون □

المكر والخديعة

قال الله عز وجل : ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (١).

وقال النبي ﷺ : «المكر والخديعة في النار» (٢).

وقال ﷺ : «لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان» (٣) وقال الله تعالى
عن المنافقين : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (٤).

قال الواحدى : يعاملون عمل المخادع على خداعهم وذلك أنهم يعطون
نورا كما يعطى المؤمنون ، فإذا مضوا على الصراط أطفئ نورهم وبقوا فى
الظلمة .

وقال ﷺ فى حديث : «وأهل النار خمسة» - وذكر منهم - «رجلا لا يصبح
ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك» (٥)



(١) سورة فاطر آية ٤٣ .

(٢) صحيح : جاء عن أنس وقيس بن سعد وأبي هريرة وعبد الله بن مسعود ومجاهد والحسن ،
راجع تخريجه فى الصحيحة (١٠٥٧) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سورة النساء آية ١٤٢ .

(٥) رواه مسلم (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار .

□ الكبيرة التاسعة والستون □

من جس على المسلمين ودل على عورتهم

فيه حديث حاطب بن أبى بلتعة وأن عمر أراد قتله بما فعل ، فمنعه رسول الله ﷺ من قتله لكونه شهد بدرا ^(١) ، إذا ترتب على جس هـن عرى الإسلام وأهله ، وقتل أو سبى أو نهب أو شيء من ذلك ، فهذا ممن سعى فى الأرض فسادا وأهلك الحرث والنسل فيتعين قتله وحق عليه العذاب . فنسأل الله العفو والعافية . وبالضرورة يدرى كل ذى جس أن النميمة إذا كانت من أكبر المحرمات فنيمة الجاسوس أكبر وأعظم .

نعوذ بالله من ذلك ونسأله العفو والعافية ، إنه لطيف خبير جواد كريم .



(١) قصته رواها البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي .

□ الكبيرة السبعون □

سبب أحد الصحابة رضوان الله عليهم

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب»^(١)، وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدأ أحدهم ولا نصيفه» مخرج في الصحيحين^(٢).

وقال ﷺ: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدى، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أوشك أن يأخذه» أخرجه الترمذي^(٣).

ففي هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضا بعد رسول الله ﷺ وسبهم وافتري عليهم وعابهم وكفرهم واجترأ عليهم.

وقوله ﷺ: «الله الله» كلمة تحذير وإنذار كما يقول المحذر: النار النار أى أحذروا النار، وقوله: «لا تتخذوهم غرضا بعدى» أى لا تتخذوهم للسب والطعن، وكما يقال: اتخذ فلان غرضا لسبه أى هدفا للسب. وقوله: «فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم»، فهذا من أجل الفضائل والمناقب لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله ﷺ ونصروه وآمنوا به وعزروه وواسوه بالأنفس والأموال، فمن أحبهم فإنما أحب النبي ﷺ.

(١) سبق تخريجه .
(٢) رواه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١) وابن ماجه (١٦١) وابن حبان (٦٩٩٤) وأبو يعلى (١١٧١)
عن أبي سعيد .
(٣) سبق تخريجه .

فحب أصحاب النبي ﷺ عنوان محبته وبغضهم عنوان بغضه كما جاء في الحديث الصحيح : «حب الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق»^(١) ، وماذا لك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدي رسول الله ﷺ وكذلك حب على ﷺ من الإيمان وبغضه من النفاق ، وإنما يعرف فضائل الصحابة ﷺ من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان والمجاهدة للكفار ، ونشر الدين ، وإظهار شعائر الإسلام ، وإعلاء كلمة الله ورسوله ، وتعليم فرائضه وسننه ، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع ، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضاً ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئاً .

فمن طعن فيهم أوسبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين ، لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضممار الحقد فيهم وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم ؛ ومالرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم ، ولأنهم أرضى الوسائل من الماثور والوسائط من المنقول ، والطعن في الوسائط طعن في الأصل ، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول ، هذا ظاهر لمن تدبره ، وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته ، وحسبك ما جاء في الأخبار والآثار من ذلك :

كقول النبي ﷺ : «إن الله اختارني واختار لي أصحاباً ، فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»^(٢) ، وعن أنس بن مالك ﷺ قال : قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ إنا نُسب ، فقال رسول الله ﷺ :

(٤) رواه البخاري (٣٧٨٤) ومسلم (٧٤) عن أنس ، والبخاري (٣٧٨٣) ومسلم (٧٥) عن البراء .
(٢) رواه ابن أبي عاصم (١٠٠٠) وأبو نعيم (١١/٢) والحاكم (٦٣٢/٣) وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (١٥٣٦) .

«من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(١).

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله اختارني واختار لي أصحابي وجعل أصحابا وإخوانا وأضهارا ، وسيجيء قوم بعدهم يعيبونهم وينقصونهم فلا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم»^(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا»^(٣).

قال العلماء : معناه من فحص عن سر القدر في الخلق ، وهو : أي الإمساك علامة الإيمان والتسليم لأمر الله ، وكذلك النجوم ومن اعتقد أنها فعالة أو لها تأثير من غير إرادة الله عز وجل فهو مشرك ، وكذلك من ذم أصحاب رسول الله ﷺ بشيء وتتبع عثراتهم وذكر عيبا وأضافه إليهم كان منافقا .

بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله ، وحب ما جاء به ، وحب من يقوم بأمره ، وحب من يأخذ بهديه ويعمل بسنته ، وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وغلمانه وخدامه ، وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم ، لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله .

قال أيوب السخيتاني رضي الله عنه : من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن قال الخير في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برىء من النفاق .

(١) رواه ابن عدي (٢١٢/٥) والخطيب في تاريخه (٢٤١/١٤) عن أنس ، والطبراني (١٢٧٠٩) عن

ابن عباس ، وحسنه الشيخ في صحيح الجامع (٦٢٨٥).

(٢) رواه العقيلي (١٢٦/١) في ترجمة أحمد بن عمران الأحنس عن أنس وهو حديث منكر وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (١٥٣٧).

(٣) حديث صحيح : جاء عن ابن مسعود وثوبان وابن عمر وطاووس وكلها ضعيفة الأسانيد ولكن بعضها يشد بعضها هكذا قال الشيخ في الصحيحة (٣٤) فراجع تخريجه هناك .

فصل

وأما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر ، وأجمعت علماء السنة أن أفضل الصحابة العشرة المشهود لهم ، وأفضل العشرة : أبو بكر ، ثم عمر ابن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، ولا يشك في ذلك إلا مبتدع منافق خبيث .

وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم في حديث العرياض بن سارية حيث قال : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور» الحديث .^(١)

والخلفاء الراشدون هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين . وأنزل الله في فضائل أبي بكر رضي الله عنه آيات من القرآن ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفَضْلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ﴾^(٢) .

لا خلاف أن ذلك فيه ، فنعته بالفضل رضوان الله عليه وقال الله تعالى : ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ ، لا خلاف أيضا أن ذلك في أبي بكر رضي الله عنه شهدت له الربوبية بالصحبة ، وبشره بالسكينة ، وحلاه بثاني اثنين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من يكون أفضل من ثاني اثنين الله ثالثهما؟ وقال الله تعالى : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٣) .

قال جعفر الصادق : لا خلاف أن الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه . وأي منقبة أبلغ من ذلك فيهم؟ رضى الله عنهم أجمعين .

(١) رواه أحمد (١٢٧/٤) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٤٦٧٦) وابن ماجه (٤٢) والدارمي (٩٥) وابن حبان (٥) والحاكم (٩٤/١) والخطيب في الكفاية (ص ٥) وابن أبي عاصم (٢٧، ٣٤) والأجري (٤٦) وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٢٥٤٩) .

(٢) سورة النور آية ٢٢ .

(٣) سورة الزمر آية ٣٣ .

| | |
|-----|--|
| ٣ | ترجمة الإمام الحافظ الذهبي : باختصار من كتاب أعلام السلف للشيخ أحمد فريد |
| ١١ | الكبيرة الأولى : الشرك بالله |
| ١٤ | الكبيرة الثانية : قتل النفس |
| ١٧ | الكبيرة الثالثة : في السحر |
| ١٩ | الكبيرة الرابعة : في ترك الصلاة |
| ٣٥ | الكبيرة الخامسة : منع الزكاة |
| ٤٠ | الكبيرة السادسة : إفتار يوم من رمضان بلا عذر |
| ٤١ | الكبيرة السابعة : ترك الحج مع القدرة عليه |
| ٤٢ | الكبيرة الثامنة : عقوق الوالدين |
| ٥٠ | الكبيرة التاسعة : هجر الأقارب |
| ٥٣ | الكبيرة العاشرة : الزنا |
| ٥٨ | الكبيرة الحادية عشرة : اللواط |
| ٦٦ | الكبيرة الثانية عشرة : أكل الربا |
| ٧٠ | الكبيرة الثالثة عشرة : أكل مال اليتيم وظلمه |
| ٧٦ | الكبيرة الرابعة عشرة : الكذب على الله ورسوله |
| ٧٧ | الكبيرة الخامسة عشرة : الفرار من الزحف |
| ٧٨ | الكبيرة السادسة عشرة : غش الإمام الرعية وظلمه لهم |
| ٨٣ | الكبيرة السابعة عشرة : الكبر والفخر والخيلاء والعجب والته |
| ٨٦ | الكبيرة الثامنة عشرة : شهادة الزور |
| ٨٨ | الكبيرة التاسعة عشرة : شرب الخمر |
| ٩٧ | الكبيرة العشرون : القمار |
| ١٠١ | الكبيرة الحادية والعشرون : قذف المحصنات |
| ١٠٣ | الكبيرة الثانية والعشرون : الغلول من الغنيمة |
| ١٠٦ | الكبيرة الثالثة والعشرون : السرقة |
| ١٠٨ | الكبيرة الرابعة والعشرون : قطع الطريق |
| ١١٠ | الكبيرة الخامسة والعشرون : اليمين الغموس |
| ١١٣ | الكبيرة السادسة والعشرون : الظلم |

- الكبيرة السابعة والعشرون: المكاس ١٢٥
- الكبيرة الثامنة والعشرون: أكل الحرام وتناوله على أى وجه كان ١٢٨
- الكبيرة التاسعة والعشرون: أن يقتل الإنسان نفسه ١٣٣
- الكبيرة الثلاثون: الكذب فى غالب أقواله ١٣٥
- الكبيرة الحادية والثلاثون: القاضى السوء ١٣٩
- الكبيرة الثانية والثلاثون: أخذ الرشوة على الحكم ١٤٢
- الكبيرة الثالثة والثلاثون: تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء ١٤٥
- الكبيرة الرابعة والثلاثون: لديوث المستحسن على أهله والقواد الساعى بين الاثنين بالفساد ١٤٨
- الكبيرة الخامسة والثلاثون: المحلل والمحلل له ١٥٠
- الكبيرة السادسة والثلاثون: عدم التنزه من البول وهو شعار النصارى ١٥٣
- الكبيرة السابعة والثلاثون: الرياء ١٥٥
- الكبيرة الثامنة والثلاثون: التعلم للدنيا وكتمان العلم ١٥٨
- الكبيرة التاسعة والثلاثون: الخيانة ١٦١
- الكبيرة الأربعون: المنان ١٦٤
- الكبيرة الحادية والأربعون: التكذيب بالقدر ١٦٦
- الكبيرة الثانية والأربعون: التسمع على الناس وما يسرون ١٧٢
- الكبيرة الثالثة والأربعون: النمام ١٧٣
- الكبيرة الرابعة والأربعون: اللعان ١٧٧
- الكبيرة الخامسة والأربعون: الغدر وعدم الوفاء بالعهد ١٨٣
- الكبيرة السادسة والأربعون: تصديق الكاهن والمنجم ١٨٥
- الكبيرة السابعة والأربعون: نشوز المرأة على زوجها ١٨٨
- الكبيرة الثامنة والأربعون: التصوير فى الثياب ١٩٧
- الكبيرة التاسعة والأربعون: اللطم والنياحة وشق الثوب وحلق الرأس ونتفه والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة ٢٠٠
- الكبيرة الخمسون: البغى ٢١٨
- الكبيرة الحادية والخمسون: الاستطالة ٢٢٠
- الكبيرة الثانية والخمسون: أذى الجار ٢٢٨
- الكبيرة الثالثة والخمسون: أذى المسلمين وشتيمهم ٢٣١

- الكبيرة الرابعة والخمسون: أذية عباد الله والتطول عليهم..... ٢٣٥
- الكبيرة الخامسة والخمسون: إسبال الإزار والثوب..... ٢٣٨
- الكبيرة السادسة والخمسون: لبس الحرير والذهب للرجال..... ٢٤٠
- الكبيرة السابعة والخمسون: إباق العبد..... ٢٤٢
- الكبيرة الثامنة والخمسون: الذبح لغير الله عزوجل..... ٢٤٣
- الكبيرة التاسعة والخمسون: فيمن أدعى إلى غير أبيه وهو يعلم..... ٢٤٥
- الكبيرة الستون: الجدل والمرء واللدن..... ٢٤٦
- الكبيرة الحادية والستون: منع فضل الماء..... ٢٥٠
- الكبيرة الثانية والستون: نقص الكيل والزراع وما أشبه ذلك..... ٢٥١
- الكبيرة الثالثة والستون: الأمن من مكر الله..... ٢٥٣
- الكبيرة الرابعة والستون: الإياس من روح الله والقنوط..... ٢٥٦
- الكبيرة الخامسة والستون: تارك الجماعة فيصلى وحده من غير عذر..... ٢٥٨
- الكبيرة السادسة والستون: الإصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر..... ٢٥٩
- الكبيرة السابعة والستون: الإضرار في الوصية..... ٢٦٢
- الكبيرة الثامنة والستون: المكر والخديعة..... ٢٦٣
- الكبيرة التاسعة والستون: من جس على المسلمين ودل على عورتهم..... ٢٦٤
- الكبيرة السبعون: سب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم..... ٢٦٥



Bibliotheca Alexandrina



1100370